ملخص البحث

ان هذا البحث يحاول أن يلقى الضوء على المحبة في الإسلام والقران الكريم، وما تعملة المحبة بين أفراد المجتمع من الألفة والتلاحم ونشر الأخلاق والسلوكيات الرفيعة العالية بين افراد المجتمع ونبذ الكراهية والعنصرية المذهبية، والبعد عن المحبة التي حرمها الله تعالى لما تجره من الخزي والعار في الدنيا والاخرة.

لهذا فان تساؤلات الدراسة تهدف الى التعرف على ما تقدمه المحبة بين افراد المجتمع وتبعدهم عن الانزلاق في الشهوات والمعاصي المحرمة.

واستخدم المنهج التاريخي والوصفي في البحث ،ومن ضمن نتائج الدراسة ما يلى :-

١. ان محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من أسمى معانى الإسلام .
٢. أن تكون محبة الله ورسوله أكثر من محبته لنفسه وأهله وولده والناس جميعا وكل شيئ .
٣. أسباب عدم الوقوع في المعاصى والشهوات .
٤. من أسماء الله الحسنى ،(الودود) الذى يتقرب الى عباده بكل أنواع العطاء مع ما يفعلونه من المعاصى .
٥. وقد أوصت الدراسة في ضوء هذه النتائج بأن محبة الله تعالى ورسوله من كمال الايمان ونبذ العنف والعنصرية المذهبية .

Summery

This research paper tries to shed light on love and harmony in Islam and the holy Quran. It discusses what love and harmony could do between members of the society by teaching compassion, unity and spreading high and elegant manners and behaviours, and condemning hatred, sectarianism and staying away from attachments that Allah has forbade for what it could bring from disgrace and humiliation here and in the hereafter.

For these reasons, this research aims to interduce the benefits of what love could bring to the members of the society and prevents them from going astray and falling into desires and probated sins.

Some of the results of this research are as follow:

1. Love of Allah and his messenger (peace be upon him) is one of the highest values of Islam.
2. The love of Allah and his messenger (peace be upon him) should be more and before the love of oneself, family, children, people and everything else. As it will lead to becoming a loving person to humanity.
3. The love of Allah and his messenger (peace be upon him) is a reason not to fall into sins and desires.
4. Among the names of Allah is “Al Wadood”, which is the one who endears himself to his slaves by bestowing his innumerable divine favors upon them.

This research paper concludes with that the love of Allah and his messenger is from a complete faith and it condemns aggression and sectarianism.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم. الحمد لله الذى اعزنا بالإسلام واتم علينا به النعمة ورضيه لنا منهاجا في الحياة الدنيا والآخرة، وجعل المحبة أساسا تجمع المخلوقات للعيش مع بعضها على الأرض

يقتصر علماء النفس المحدثون في دراستهم للحب على حب الذات والحب الجنسي والحب الأسرى ولكنهم لا يتعرضون لحب الانسان لله والأنبياء والرسل وحب للمثل الإنسانية العليا كالعدل والصدق على الرغم من ان هذه الأنواع من الحب هي من أرقى أنواع الحب الانساني وبها وحدها يتميز الانسان عن الحيوان.[١]

قال تعالى:" وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين ،وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم "[٢]

ان الله تعالى في هذه الآية نصرهم وأعانهم اعانه سماوية وان النصر منه تعالى الذى لا يقاومه شيء ومعونة المؤمنين بأن قيضهم لنصرك ، فاجتمعوا وائتلفوا وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعى أحد ولا بقوه غير قوه الله .فلو أنفقت ما في الأرض جميعا من ذهب وفضة وغيرها لتأليفهم بعد النفرة والفرقة الشديدة ما ألفت بينهم جميعا لانه لا يقدر على تقلب القلوب الا الله تعالى ومن عزته أن ألف بين قلوبهم وجمعها بعد الفرقة[٣]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبا طالب

وهو يحتضر قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فأبى فأنزل قوله تعالى[٤]"انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين"[٥] يقول الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم انك يا محمد وغيرك لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس اليك .فان هذا أمر غير مقدور للخلق هداية التوفيق

وخلق الايمان في القلب بل هذا بيد الله تعالى الله يهدى به من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلال[٦]قال تعالى :"يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء"[٧] وان من أجل نعم الله على عباده محبه الله لهم ، وأفضل فضيلة تفضل الله بها عليهم ، واذا احب الله عبدا يسر له الأسباب وهون عليه كل عسير ، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات وأقبل بقلوب عباده اليه بالمحبة والمودة . قال تعالى:"يأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله على المؤمنين أعزه على الكافرين"[٨] يقول القرطبى في تفسير هذه الآية يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم من قولهم دابة ذلول اى سهلة وليس من الذل في شيء ويغلظون على الكافرين ويعادونهم [٩]

ومن لوازم محبة العبد لربه أنه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا في أقواله وافعاله وجميع أحواله .قال تعالى:" قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم،قل أطيعوا الله والرسول

(١) محمد السيد الزعبلاوى ،تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، مكتبة التوبة ،م ،ع ،س ، الرياض ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ،ص ٢٦٢
(٢) سورة الأنفال ،آية ٦٢-٦٣
(٣) عبد الرحمن الناصر السعدى ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مجلة البيان ، ص٣٧٠
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ،ج ١ ،ص ٢١٦
(٥) سورة القصص ،آية ،٥٦

[6] - عبد الرحمن السعدى ، تيسير الكريم الرحمن ، ص ٧٢٨
[7] سورة المدثر ، آية ٣١
[8] سورة المائدة ، آية ٥٤
[9] القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ط١، ج٦، ص ١٤٣

فان تولوا فان الله لا يحب الكفرين"[١٠] في هذه الآية وجوب محبة الله تعالى وعلاماتها، ونتيجتها ،وثمراتها أي انكم ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة ،فلا يكفى فيها مجرد الدعوى بل لا بد من الصدق فيها وعلامة الصدق اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع احواله واقواله وافعاله في أصول الدين وفروعه ،في الظاهر والباطن ،فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى وأحبه الله وغفر له ذنبه ورحمه وسدده فى جميع حركاته وسكناته ،ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى ،لان محبة الله تعالى توجب له اتباع رسوله واذا لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب ان ادعاها مع انها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها. وبهذه الآية يوزن جميع الخلق فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون ايمانهم وحبهم لله وما نقص من ذلك نقص.[١١]

ومن لوازم محبة الله للعبد ان يكثر العبد من التقرب الى الله بالفرائض والنوافل ، قال صلى الله عليه وسلم:(وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ،فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ،وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها ،وان سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه"[١٢]

والمؤمنون جعلهم الله أفضل الفرق وهداهم الى أقرب الطرق،بالصدق في محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم حصلوا سؤلهم وتم وصولهم لانه لا حياة للقلوب الا بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ففي القلب طاقه لا يسدها الا محبه الله ومحبة رسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وآلام وحسرات لان محبته صلى الله عليه وسلم شرط في صحة الايمان[١٣].

---

10 سورة آل عمران ، آية ٣١-٣٢

11 عبد الرحمن السعدى ، ص ١٣٣

12 - صحيح البخارى ، ج١١، ص ٢٤، وج٧، ص ١٩٠

13 رشيد الراشد التاذفى ، الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم ، مكتبة النجاح ، طرابلس ، ص ٢

موضوع البحث

يحاول البحث الحالي دراسة المحبة في الإسلام والقران الكريم وما ينتج عن المحبة في الدنيا والأخرة .

تساؤلات البحث

يجيب البحث الحالي على السؤال الرئيسى التالى :-

١. ما هي أسماء المحبة ؟
٢. من هم أحق بالمحبة ؟
٣. ماذا قال بعض العلماء عن المحبة ؟
٤. ما هي أقسام النفس في القرآن الكريم ؟
٥. ما هي الفتن التي تنتج عن المحبة المحرمة ؟
٦. ما هي شهوات النفس ؟
٧. ما المثال الذى جاء في القرآن الكريم نتيجة الحب المحرم ؟

أهداف البحث

١. التعرف على أسماء المحبة .
٢. معرفة من أحق بالمحبة في الحياة الدنيا والآخرة .
٣. التعرف على رأى بعض العلماء في المحبة .
٤. توضيح النفس الإنسانية كما وردت في القرآن الكريم .
٥. معرفة الفتن التي تنتج عن المحبة .
٦. توضيح شهوات النفس .
٧. التعرف على نتيجة الحب المحرم كما جاء في القرآن الكريم .

أهمية البحث

لقد وردت كلمة الحب في القرآن الكريم في ٨٣ موضعا اثباتا ونفيا ، ووضح القرآن الكريم أن من أعظم المحبة هي محبة الله تعالى والرسول محمد صلى الله عليه وسلم . ومن المحبة أيضا الأعمال الصالحة بجميع أنواعها بين جميع البشر . والبعد عن المحبة المحرمة وما يقرب اليها واليوم المجتمعات الإسلامية في أشد الحاجة الى نشر المحبة الحقيقية بين أفراد المجتمعات .

وتظهر أهمية البحث في وضع المجتمعات الإسلامية اليوم وما يتخللها من عنصرية بين المذاهب الإسلامية وظهور الجماعات الإرهابية .كما تسعى الدراسة الى اظهار فعل المحبة بين الناس كما وردت في القرآن الكريم .

حدود المحبة

يركز البحث على دراسة المحبة في القرأن الكريم وبعض المراجع الأخرى .

منهج البحث

١. المنهج التاريخى .
٢. المنهج الوصفى .

أداة البحث

المصادر التى ساعدتنى بالمادة لاعداد هذا البحث هي :-

١. القرآن الكريم .
٢. بعض كتب تفسير القرآن الكريم .
٣. بعض الكتب الأخرى وأقوال العلماء في هذا الموضوع .

الفصل الأول

الحب في القرآن الكريم

وردت كلمة الحب ومشتقاتها في القرآن الكريم في ٨٣ موضعا اثباتا ونفيا، وهى كما يلى :--

١. حبب :مرة واحدة ،قال تعالى: "ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم"[١٤]

٢. أحببت : مرتين: منها قوله تعالى: "انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء"[١٥]

٣. أحب :مرة واحدة :قال تعالى :"قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الافلين"[١٦]

٤. تحبوا:مرة واحدة :قال تعالى :"وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون"[١٧]

٥. تحبون :سبع مرات :منها خمسة إيجابا مثل قوله تعالى :"لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون"[١٨]ومرة بالنفى مثل قوله تعالى:"ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين"[١٩]

٦. ومرة بصيغة سؤال :قال تعالى:"ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم"[٢٠]

٧. تحبونها:مرة واحدة :قال تعالى:"وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب"[٢١]

٨. تحبونهم:مرة واحدة : قال تعالى:"هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله"[٢٢]

---

[14] سورة الحجرات ، آية ٧
[15] سورة القصص ، آية ٥٦
[16] سورة الآنعام آية ٧٦
[17] سورة البقرة ،آية ٢١٦
[18] سورة آل عمران ، آية ٩٢
[19] سورة الأعراف ، آية ٧٩
[20] سورة النور ، آية ٢٢
[21] سورة الصف ، آية ١٣
[22] سورة آل عمران ، آية ١١٩

٩. يحب : احدى وأربعون مرة: منها ثلاث وعشرون مرة بالنفى منها قوله تعالى :"ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور"[٢٣]

١٠. وسبعة عشرة مرة إيجابا منها قوله تعالى:"فان عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين"[٢٤]

١١. ومرة واحدة بصيغة سؤال:قال تعالى: "أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه"[٢٥]

١٢. يحببكم : مرة واحدة :قال تعالى :"قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله "[٢٦]

١٣. يحبهم : مرة واحة :قال تعالى :"فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله على المؤمنين"[٢٧]

١٤. يحبون : خمس مرات :منها : قوله تعالى :"ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة "[٢٨]

١٥. يحبونكم :مرة واحدة ،قال تعالى:"هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله"[٢٩]

١٦. يحبونه : مرة واحدة ،قال تعالى:" فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين"[٣٠]

١٧. يحبونهم : مرة واحدة ، قال تعالى:" ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله "[٣١]

---

[23] سورة لقمان ، آية ١٨
[24] سورة ال عمران ، آية ١٥٩
[25] سورة الحجرات ، آية ١٢
[26] سورة آل عمران ، آية ٣١
[27] سورة المائدة ، آية ٥٤
[28] سورة النور ، آية ١٩
[29] سورة آل عمران ، آية ١١٩
[30] سورة المائدة ، آية ٥٤
[31] سورة البقرة ، آية ١٦٥

١٨. استحبوا : ثلاث مرات ، قال تعالى :" لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان"[٣٢]

١٩. يستحبون : مرة واحدة ،قال تعالى :"الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة "[٣٣]

٢٠. حب : في اربعة مواضع :منها ،قال تعالى :"زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين..."[٣٤]

٢١. حبا : في ثلاثة مواضع :منها ، قال تعالى :"امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا"[٣٥]

٢٢. حبة :مرتين ،قال تعالى:"وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين "[٣٦]

٢٣. أحب : في ثلاث مواضع منها ،قال تعالى :"ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره"[٣٧]

٢٤. أحباؤه: مرة واحدة ، قال تعالى :"وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه"[٣٨]

٢٥. محبة : مرة واحدة ، قال تعالى :"وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى"[٣٩]

مودة : وردت كلمة مودة ومشتقاتها في القرآن الكريم في احدى عشرة موضعا بمعنى محبة منها كلمة مودة ثمانية مرات ، وكلمة ودا مرة واحدة ، وكلمة ودود مرتين وهى كما يلى :

---

[32] سورة التوبة ، آية ٢٣

[33] سورة إبراهيم ، آية ٣

[34] سورة آل عمران ، آية ١٤

[35] سورة يوسف ، آية ٣٠

[36] سورة البقرة ، آية ١٧٧

[37] سورة التوبة ، آية ٢٤

[38] سورة المائدة ،آية ١٨

[39] سورة طه ، آية ٣٩

١. قال تعالى " "ذلك الذى يبشر الله عباده الذين ءامنوا وعملوا الصلحت قل لا أسئلكم علية أجرا ألا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور"[٤٠]

٢. "ولئن أصبكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما"[٤١]

٣. "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا الذين قالوا انا نصرى "[٤٢]

٤. "وقال انما اتخذتم من دون الله أوثنا مودة بينكم في الحيواة الدنيا"[٤٣]

٥. "ومن ءايته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة "[٤٤]

٦. "يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهدا في سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم"[٤٥]

٧. "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم"[٤٦]

٨. "ان الذين ءامنوا وعملوا الصلحت سيجعل لهم الرحمن ودا "[٤٧]

٩. "وهو الغفور الودود "[٤٨]

---

40 سورة الشورى ، آية ٢٣
41 سورة النساء ، آية ٧٣
42 سورة المائدة ، آية ٨٢
43 سورة العنكبوت ، آية ٢٥
44 سورة الروم ، آية ٢١
45 سورة الممتحنة ، آية ١
46 سورة الممتحنة ، آية ٧
47 سورة مريم ، آية ٩٦
48 سورة البروج ، آية ١٤

١٠."واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود"[٤٩]

خليلا : وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات بمعنى محبة وهى أعلى درجات المحبة .

الاخلاء : وردت في القرآن الكريم مرة واحدة ، وهى كما يلى :-

قال تعالى :-

١. "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين "[٥٠]

٢. "واتخذ الله إبراهيم خليلا"[٥١]

٣. "وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلاً"[٥٢]

٤. "يويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا "[٥٣]

تعريف الحب لغة :-

حبب : الحب : نقيض البغض . والحب الوداد والمحبة .وكذلك الحب بالكسر وأحبه فهو محب، وهو محبوب، وحبه يحبه بالكسر ،فهو محبوب ، والمحبة : اسم للحب .

والحباب بالكسر : المحابه والموادة والحب . وتحبب اليه :تودد ،وامرأة محبة لزوجها ومحب أيضا ، حب الشيء فهو محبوب ،ثم لا يقولون : حببته ، كما قالوا : جن فهو مجنون، ثم يقولون : أجنه الله . والحب : الحبيب ، مثل خدن وخدين ، قال بن بري : الحبيب يجيء تارة بمعنى المحب ،كقول المخبل :-

أتهجر ليلى بالفراق حبيبها وما كان نفسا بالفراق تطيب

---

[49] سورة هود ، آية ٩٠

[50] سورة الزخرف ،آية ٦٧

[51] سورة النساء ، آية ١٢٥

[52] سورة الآسراء ، آية ٧٣

[53] سورة الفرقان ، آية ٢٨

أي محبها، ويجي بمعنى المحبوب ،كقول ابن الدمينة :-

وان الكثيب الفرد من جانب الحمى الي وان لم آته الحبيب- اى المحبوب -

والحب المحبوب ، وكان زيد بن حارثة رضى الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفى الحديث : من يجترىء على ذلك الا أسامه ،حب رسول الله صل الله عليه وسلم أي محبوبه[٥٤] ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه كثيرا .وفى حديث فاطمة رضى الله عنها قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبى هذه [٥٥]

انها حبة أبيك . الحب بالكسر :المحبوب ، والانثى حبة .

وجمع الحب أحباب ، وحبان ،وحبوب ،وحبة ،والحبيب والحباب بالضم : الحب ويقال للحبيب حباب مخفف، وقال الليث : الحبة والحب بمنزلة الحبيبة والحبيب وحكى ابن الأعرابى : أنا حبيبكم أي محبكم وأنشد : ورب حبيب ناصح غير محبوب .

والحباب بالضم : الحب ، قال ابن برى : المشهور:من حبابك ، بكسر الحاء ،وفيه وجهان :

أحدهما أن يكون مصدر حابيته محابة وحبابا .

والثانى أن يكون جمع حب مثل عش وعشاش .وحببت اليه : صرت حبيبا(٣)

وحبب اليه الأمر : جعله يحبه .

وهم يتحابون :أي يحب بعضهم بعضا .وحب الى هذا الشيء، يحب حبا، والتحبب: اظهار الحب ، والحبة بالضم : الحب:: نعم وحبة وكرامة ، والحب : المحبة – والحب : الحبيب(١)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ،ج ١١،ص١٨٦-١٨٧

(٢)صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٥ ،ص٢٠٥ ----------(٣)ابن منظور ،لسان العرب ، ج ١ ، ص ٢٨٩-٢٩٢

المحبة : ميل الطبع الى الشئ الملذ(٢)

الحب : الوداد ،كالحباب والحب بكسرهما والمحبة والحباب بالضم ،أحبه ، وهو محبوب ،وحببته أحبه بالكسر ،شاذ ، حبا بالضم والكسر ،وأحببته واستحببته ،والحبيب والحباب بالضم والحب ،بالكسر،والحبة بالضم : المحبوب وهى بهاء،وجمع الحب:أحباب وحبان وحبوب وحببة،محركه ،وحب بالضم ،عزيز ،أو اسم جمع .وحبتك بالضم :ما أحببت أن تعطاه،أو يكون لك . والحبيب : المحب ،ومصغرا حبيب بن حبيب ، وحب بفلان .أى :ما أحبه .وحببت اليه، ككرم :صرت حبيبا له ولا نظير له الا شررت ولببت ،اى هو حبيب .

وحب ألى هذا الشيء حبا ،وحببه الي :جعلنى أحبه وحبابك كذا ، أي غاية محبتك أو مبلغ جهدك .وتحابوا :أحب بعضهم بعضا ،وتحبب : أظهره . وحبان وحبان وحبان وحبيب مصغرا والمحبة والمحبوبة والمحببة والحبيبة : مدينة النبى صلى الله عليه وسلم .

وحبة القلب : سويداؤه أو مهجته أو ثمرته ،أو هنة سوداء فيه . وحبة :امرأة علقها منظور الجني ،فكانت تطبب بما يعلمها منظور(٣)

أحببت –الشئ بالألف فهو محب واستحببته مثله ويكون الاستحباب بمعنى الاستحسان وحببته أحبه من باب ضرب والقياس أحبه بالضم لكنه غير مستعمل وحببته أحبه من باب تعب لغة وفيه لغة لهذيل حابته حبابا من باب قاتل والحب اسم منه فهو محبوب وحبيب وحب بالكسر والانثى حبيبة وجمعها حبائب وجمع المذكر أحباء(٤)[٥٦]

---

56 الجوهرى،الصحاح،تحقيق،أحمد عبد الغفور عطار،١٤٠٢هـ|١٩٨٢م،ج١،ص١٠٥

٢ فؤاد افرام البستانى،منجد الطلاب ،دار المشرق بيروت .ط١٣،ص١٠٣

٣ الفيروزأبادى.القاموس المحيط، بيروت،ط٢، ١٤٠٧هـ|١٩٨٧م ،ص٩٠-٩١

٤ أحمد مصطفى الفيومى المقرى .المصباح المنير ،مكتبة لبنان،بيروت،١٩٨٧م ،ص٤٥

تعريف المحبة (الحب) اصطلاحا

(الحب انفعال وجدانى يوجه سلوك الفرد نحو ذات المحبوب أو الشيء المرغوب ،وهذا الانفعال يتميز بكثرة مجالاته في النفس الإنسانية ،[٥٧]قال تعالى:"ومن ءآتيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة"[٥٨]

أو هي تعلق القلب بين الهمة والانس .

- المحبة أول أودية الفناء ،والعاقبة التي ينحدر منها على منازل المحو وهى آخر منزل تلتقى فيه مقدمة العامة، وساقة الخاصة .
- وانها أول أودية الفناء لأنها تفنى خواطر المحب عن التعلق بالغير ، وأول ما يفنى من الحب خواطره المتعلقة بما سوى محبوبه ،لأنه أذا انجذب قلبه بكليته الى محبوبه انجذبت خواطره تبعا لذلك[٥٩]
- ويرى الحارث المحاسبى أن المحبة ميلك الى الشيء بكليتك ،ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ،ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه.
- وقيل : المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد الحبيب من محبه .
- والمحبة شجرة في القلب عروقها الذل للمحبوب ، وساقها معرفته ، وأغصانها خشيته ،وورقها الحياء منه ، وثمرتها طاعته ومادتها التي تسقيها ذكره ، فمتى خلا الحب عن شيء من ذلك كان ناقصا[٦٠]

وارى ان الحب هو مشاعر عاطفية تجذب الناس إلى بعضهم البعض مثل حب الرجل للمرأة وحب الأخوة والاخوات والأزواج والآباء والامهات والأبناء ويختلف هذا الحب من حالة الى حالة وفى المقدار فمثلاُ حب الآباء لآبنائهم فطرى وضعه الله في

---

57 محمد السيد الزعبلاوى ،تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ،رسالة دكتوراة منشورة ، مكتبة التوبة ،م،ع،س،١٤١٤هـ/١٩٩٤م،ص٢٦٢

58 سورة الروم ،آية ٢١

59 ابن قيم الجوزية ،مدارج السالكين ،ج ٢، ص ٢٣٩-٢٤٠

60 ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ٤٠٨-٤٠٩

قلوبهم حتى يقوموا على تربيتهم وتنشأتهم ، وحب الناس لبعضهم وحب الأقارب والأصدقاء يكون انجذاب للجمال أو غيره أو لمصلحة بين الناس وبعضه يزول بزوال المصلحة والمنفعة والحب الصادق يبقى مهما قابلته من عواصف.

وأسمى أنواع الحب هو حب الناس لله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، وهناك حب غريب وعجيب حب الدنيا وزينتها وحب السلطة والتسلط على رقاب الناس وحب الجاه.

حدود المحبة

اختلف في تحديد المحبة على نحو ثلاثين قولا : ولا تحد المحبة بحد أوضح منها ،فالحدود لا تزيدها الا خفاء وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج الى تحديد كالماء والهواء والتراب والجوع.[٦١]

- لا تحد المحبة بحد أوضح منها ، فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة . ويتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وثمراتها وشواهدها وأحكامها .[٦٢]
- ما قيل في حدود المحبة : –

١. الميل الدائم بالقلب الهائم .
٢. ايثار المحبوب على جميع المصحوب .
٣. موافقة الحبيب في المشهد والمغيب .
٤. محو المحب لصفاته واثبات المحبوب لذاته .
٥. مواطأة القلب لمرادات المحبوب .
٦. خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة .
٧. استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك .

[61] ابن ابى العز الحنفى ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٧٦، ومدارج السالكين ، ص ٢٢٠
[62] ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ص ٢٢٠

٨. استكثار القليل من جنايتك ، واستقلال الكثير من طاعتك .
٩. معانقة الطاعة ، ومباينة المخالفة .
١٠. دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب .
١١. أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء .
١٢. أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب .
١٣. إقامة العتاب على الدوام .
١٤. أن تغار على المحبوب : أن يحبه مثلك .
١٥. إرادة غرست أغصانها في القلب .فأثمرت الموافقة والطاعة .
١٦. أن ينسى المحب حظه في محبوبه وينسى حوائجه اليه .
١٧. مجانبة السلو على كل حال .
١٨. توحيد المحبوب بخالص الإرادة وصدق الطلب
١٩. سقوط كل محبة من القلب الا محبة الحبيب
٢٠. غض طرق القلب عما سوى المحبوب غيره ، وعن المحبوب هيبة
٢١. ميلك للشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك،ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه.
٢٢. المحبة نار في القلب تحرك ما سوى مراد المحبوب .
٢٣. المحبة بذل المجهود وترك الاعتراض على المحبوب .
٢٤. سكر لايصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه .ثم السكر الذى يحصل عند المشاهدة لا يوصف .
٢٥. ان لا تؤثر على المحبوب غيره وأن لا يتولى أمورك غيره .
٢٦. الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته والحرية من استرقاق ما سواه .
٢٧. المحبة سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام .
٢٨. ان المحبة هي ما لا ينقص بالجفاء ولا تزيد بالبر .

٢٩. المحبة أن يكون كلك بالمحبوب مشغولا .

٣٠. من أجمع ما قيل فيها على لسان الجنيد : عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر اليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيبته ،وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه ،فان تكلم فبالله وان نطق فعن الله وان تحرك فبامر الله، وان سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله [٦٣].

أسماء المحبة ومعانيها من معاجم اللغة العربية وكتب أخرى

أسماء الحب

لكثرة اهتمام الناس بالحب شبه ابن القيم آثاره بثلاث تشبيهات :

كالأسد والسيف والثانى كالداهية ، والثالث كالخمر في أفعالها ،وقد اجتمعت هذه المعانى الثلاثة في الحب فوضعوا له ما يقرب من ستين اسما ،ذكر ابن القيم خمسين اسما منها ما يلى :

أسماء الحب

المحبة – والعلاقة –والهوى – والصبوة – والصبابة – والشغف – والمقة – والوجد – والكلف – والتتيم – والعشق – والجوى – والدنف – والشجو – والشوق – والخلابة – والبلابل – والتباريح – والسدم – والغمرات – والوهل – والشجن – واللاعج – والاكتئاب – والوصب – والحزن – والكمد – واللذع – والحرق – والسهد – والارق – واللهف – والحنين – والاستكانة – والتبالة – واللوعة – والفتون – والجنون – واللمم – والخبل – والرسيس – والداء – والمخامر – والود – والخلة – والحلم – والغرام – والهيام – والتدلية – والوله – والتعبد[٦٤]– والتبل – والولول – والشعف – والألفة – والاصطلام – .

---

63 مدارج السالكين ، ص٢٢٢-٢٢٦

64 - ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٣١

- والمحبة لها معان كثيرة ،وكثيرا ما اشتق لفظها من فعل المحبة ومن صفاتها ،وهى كأنها الاسم العلم لهذه الأقسام ، وهى راجعة اليها ومعطوفة عليها وهى أم بناتها [٦٥].
- مما سبق نرى أن الألفاظ السابقة هي صفات للحب ومظاهرة وآثاره .

معانى بعض أسماء الحب في معاجم اللغة العربية ومراجع أخرى

الخلة :

والخلة: الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل تكون في عفاف الحب ،وجمعها خلال ،وهى الخلالة والخلالة بفتح الخاء وكسرها على التوالي والخلولة بضم الخاء .

والخلال والمخالة :المصادقة ،وقد خال الرجل والمرأة مخالة وخلالا، قال تعالى : "لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة"[٦٦]

قال الزجاج : يعنى يوم القيامة ،والخلة الصداقة ، يقال : خاللت الرجل خلالا ، قال تعالى :"من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال "[٦٧]،قيل هو :مصدر خاللت ، وقيل هو جمع خلة . والخل : الود والصديق ،أي أنه ، أي أنه لكريم الخل والخلة ، كلاهما بالكسر ،أي كريم المصادقة والموادة والاخاء .الخلة بالضم : الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه .

-والخليل : الصديق ، فعيل بمعنى مفاعل ،وقد يكون بمعنى مفعول.قيل : وهذا لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى ، فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة ، وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب ولا اجتهاد لأن الطباع غالبة ، وانما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل الرسول محمد صلى الله عليه

---

65 ا- ابن الخطيب السلمانى ، روضة التعريف بالحب الشريف ، الرباط ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، ص ٣٣٣-٣٣٤

66 سورة البقرة ، آية ٢٥٤

67 سورة إبراهيم ، آية ٣١

وسلم . قال صلى الله عليه وسلم :"لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وان صاحبكم خليل الله "[٦٨] وقال صلى الله عليه وسلم

"ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا"[٦٩]

"الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل "[٧٠]

والخلة : الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجمع في ذلك سواء ،لأنه في الأصل مصدر قولك خليل بين الخلة والخلولة ،والخليل :كالخل، قال تعالى : "واتخذ الله إبراهيم خليلا"[٧١]

والجمع أخلاء وخلان ، والانثى خليلة والجمع خليلات .

- الخليل المحب الذى ليس في محبته خلل . قال تعالى : "واتخذ الله إبراهيم خليلا "[٧٢]
- أي أحبه محبة تامة لا خلل فيها ، وقيل للصداقة خلة لان كل واحد منهما يسد خلل صاحبه في المودة والحاجة اليه .
- الخليل الحبيب ،والخليل الصادق والناصح والرفيق [٧٣]
- وعلى هذا تكون الخلة هي توحد الحب للمحبوب أي صرف المحبة لله تعالى وحده أي المحبة لله تعالى التي لا تقبل المشاركة .
- والخلة هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله .ومن الرب سبحانه كمال الربوبيه لعباده الذين يحبهم ويحبونه .ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب .كما قيل في المعنى :
- (قد تخللت مسلك الروح منى) ولهذا سمي الخليل خليلا[٧٤]

---

68 الترمذى ، سنن الترمذى ، ج٥، ص ٦٠٦، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٥، ص ١٥٢-١٥٣

69 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٥، ص ١٣

70 الترمذى ، سنن الترمذى ، ج٤، ص ٥٨٩

71 سورة النساء ، آية ١٢٤

72 سورة النساء ، آية ١٢٤

73 ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١، ص ٢١٧-٢١٩

74 ابن تيمية ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، علم السلوك ، ج١٠، ص ٢٠٣-٢٠٤

- والخلة :الخصلة ،ج : خلال وبالضم : الخليلة والصداقة المختصة لا خلل فيها .تكون في عفاف .والخلة بكسرهما أي المصادقة والاخاء .والخلة أيضا: الصديق للذكر والانثى والواحد والجمع .
- والخل بالكسر والضم : الصديق المختص ، او لا يضم الا مع ود ، يقال: كان لى ودا وخلا ، ج، اخلال كالخليل ، ج :أخلاء وخلان .أو الخليل : الصادق وهو من أصفى المودة وأصحها ، وجمعها : خليلات وخلائل [٧٥]
- خليلى : هل بعد الصبابة سلوة-------- وهل لشباب فات بالأمس مرجع[٧٦]
- كل خليل كنت خاللته---------- لا يترك الله له سارحه[٧٧]

الخلابة :-

في المثل : اذا لم تغلب فاخلب أي فاخدع ،عن الأصمعى : فاخلب أي اخدعه حتى تذهب بقلبه. قال ابن الأثير: اذا أعياك الأمر مغالبة فاطلبه مخادعة .

وخلب المرأة عقلها يخلبها خلبا : سلبها إياه ،وخلبت هي قلبه ،تخلبه خلبا ،واختلبته :أخذته، وذهبت به.الخلابة أن تخلب المرأة قلب الرجل بألطف القول وأخلبه ،وامرأة خلابة للفؤاد وخلوب .

والخلباء من النساء : الخدوع ،وامرأة خالبة وخلوب وخلابة : خداعة.

ويروى الخلبة بفتح اللام على أنه جمع،وهم الذين يخدعون النساء .

وفلان خلب نساء اذا كان يخالبهن أي يخادعهن ،وفلان حدث نساء،وزير نساء اذا كان يحادثهن ويزاورهن .ورجل خلب نساء : يحبهن للحديث والفجور ،ويحببنه لذلك ، وهم أخلاب نساء .وخلباء نساء .

---

75 الفيروز آبادى ، القاموس المحيط ، ص ١٢٨

76 محمود سامى البارودى باشا، ديوان البارودى ، دار المعارف بمصر ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٢، ص ٢٣٣

77 عبدالرحمن بن محمد بن خميس ، الأدب الشعبى في جزيرة العرب ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط٢، ١٤٠٢هـ، ص ٣٢٦

وقيل للرجل الذى يحبه النساء :انه لخلب نساء أي يحبه النساء [٧٨].

الخلابة : الخديعة باللسان . والخلبة :الخداعة من النساء ويروى بفتح اللام على أنه جمع وهم الذين يخدعون النساء ، يقول ابن السكيت : رجل خلاب وخلبوت أي خداع كذاب .

قال الشاعر:-

ملكتم فلما أن ملكتم خلبتم ------- وشر الرجال الغادر الخلوب[٧٩]

ويسمى الحب بهذا الاسم لأنه يعمى ويصم ويخدع لب المحب وقلبه ،قال صلى الله عليه وسلم:

(حبك الشئ يعمى ويصم"[٨٠]

اللوعة :-

ألم القلب من المرض والحب والحزن ، وقيل هي : حرقة الحزن والهوى والوجد .

لاعه الحب يلوعه لوعا فلاع يلاع والتاع فؤاده أي احترق من الشوق ،ولوعة الحب حرقته.

يقال لاع يلاع ليعا من الضجر والجزع والحزن وهى اللوعة،ويقال لاع يلاع لوعة اذا جزع أو مرض .[٨١]

طورا أدارى لوعتى بالمنى---------- وتارة يغلبنى مدمعى[٨٢]

الصبابة :-

الشوق : وقيل رقته وحرارته،وقيل رقة الهوى. صببت اليه صبابة ،فأنا صب أي عاشق مشتاق. عن ابن الأعرابى :

78 ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ٣٦٤

79 الجوهرى ، الصحاح ، ج١، ص ١٢٢

80 مسند أحمد ، ج٥، ص ١٩٤، وج٦، ص ٤٥٠

81 - ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨، ص ٣٢٧-٣٢٨، والجوهرى ، الصحاح ، ج٣، ص ١٢٨١

82 ديوان البارودى ، ج٢، ص ٢٣١

صب الرجل اذا عشق يصب صبابة ،ورجل صب ،ورجلان صبان ،ورجال صبون ، وامرأتان صبتان ،ونساء صبات[٨٣].

والصبابة : رقة الشوق وحرارته ،يقال رجل صب : عاشق مشتاق [٨٤].

قال تعالى :"والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجهلين"[٨٥]

-صبا فلان الى فلانة وصبا لها يصبو صبا منقوص وصبوة أي مال اليها.

-والصبا من الشوق ،ويقال صبا الى اللهو صبا وصبوا وصبوة[٨٦]

-اكفكف من فرط الصبابة عبرة ---------فتتئق عينى مرة وأغيضها [٨٧]

الشوق :-

الشوق والاشتياق : نزاع النفس الى الشئ ، يقال : شاقنى الشئ ،يشوقنى ،فهو شائق وأنا مشوق :وشوقنى فتشوقت ،اذا هيج شوقك [٨٨].

شوق : الشوق والاشتياق: نزاع النفس الى الشئ والجمع أشواق ،شاق اليه شوقا وتشوق واشتاق اشتياقا . والشوق : حركة الهوى .والشوق :العشاق ، ويقال:شق اذا أمرته أن يشوق انسانا الى الاخر . ويقال :شاقنى الشئ يشوقنى ،فهو شائق وأنا مشوق [٨٩]

هيج الشوق لى معارف منها ----------حين حل المشيب دار الشباب [٩٠]

الشوق والاشتياق: نزاع النفس الى الشئ. يقال: شاقنى الى الشئ يشوقنى، فهو شائقُ وأنا مشوق : وشوقنى فتشوقت، إذا هيج شوقك[٩١]

---

83 ابن منظور ، لسان العرب ، ج١، ص ٥١٨

84 الجوهرى ، الصحاح ، ج١، ص ١٦٠

85 سورة يوسف ،آية٣٣

86 ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤، ص ٤٥٠-٤٥١

87 ديوان ذي الرمة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ط٢، ج٢، ص ٧٠٥

88 الجوهرى ، الصحاح ، ج٤، ص ١٥٠٤

89 ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠، ص ١٩٢

90 مختار الشعر الجاهلى ، ج٢، ص ١٧

91 الجوهرى، الصحاح، ج٤،ص١٥٠٤

شوق: الشوق والاشتياق : نزاع النفس ألى الشيئ والجمع أشواق، شاق اليه شوقاً وتشوق واشتاق اشتياقاً . والشوق: حركة الهوى والشوق : العشاق. ويقال شُق إذا أمرته ان يُشوق انساناُ إلى الأٌخر. ويقال : شاقنى الشيئ يشوقنى، فهو شائق وأنا مشوق[٩٢].

قال الشاعر:

هيج الشوق لى معارف منها حين حل المشيب دار الشباب[٩٣]

الشعف :-

وشعفة الحب، أي أحرق قلبه، وقيل أمرضه.وقد شعف بكذا فهو مشعوف[٩٤]

والشعف: شدة الحب ، والحب الشديد يتمكن من سواد القلب لامن طرفه. وشعفنى حبها : أصاب ذلك منى . والشعف : إحراق الحب القلب مع لذة يجدها. والشعاف أن يذهب الحب بالقلب، وقوله تعالى" قد شغفها حُباً" قرئت بالعين والغين ، فمن قرأها بالعين المهملة فمعناه تيمها، ومن قرأها بالغين المعجمة أي أصاب شغافها. وشعفة الهوى إذا بلغ منه وفلان مشعوف بفلانة، وقراءة الحسن شعفها، بالعين المهملة.

وسعفه حبها يشعفه إذا ذهب بفؤاده مثل شعفة المرض إذا أذابه. وشعفة الحب : أحرق قلبه، وقيل أمرضه.

وعن أبى العلاء : الشعف، بالعين غير المعجمة، أن يقع في القلب شيئ فلا يذهب. ويقال : شعفنى يشعفنى شعفا.

ويقال يكون بمعنى علا حبه على قلبه، والمشعوف: الذاهب القلب.

وهناك من يقول للمجنون مشعوف ، وبه شعاف أي جنون [٩٥]

---

92 ابن منطور، لسان العرب ،ج١٠،ص١٩٢

93 مختار الشعر الجاهلى ، تحقيق وشرح / محمد سيد كيلانى ، ط١، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، ج٢، ص ١٧

94 الجوهرى، الصحاح،ج٤،ص١٣٨٢

95 ابن منطور، لسان العرب،ج٩،ص١٧٧-١٧٨

الشغف :-

قال تعالى:" قد شغفها حُباً"[٩٦] ، أي دخل حبه تحت الشغاف.

والشغاف غلاف القلب وهو جلده دونه كالحجاب ، يقال شغفه الحب أي بلغ شغافه[٩٧]

وقيل غش الحب قلبها، وقيل أصاب شغافها ، شغاف القلب وشغفه غلافه ، وقال الزجاج في قوله تعالى:" شغفها حباً" ، ثلاثة أقول

أ-الشغاف غلاف القلب .

ب- هو حبة القلب وهو سويداء القلب .

ج-هو داء يكون في الجوف في الشراسيف .

وقيل الشغاف هو الخلب وهو جليدة لاصقة بالقلب، ومنه قيل خَلبَة أذا بلغ شغاف قلبه. وقال الفراء:" شغفها حباً" ، أي خرق شغاف قلبها ووصل إليه[٩٨]

عن ابن عباس: الشغف : الحب القاتل، والشغف دون ذلك ، والشغاف حجاب القلب.

أي قد وصل حبه إلى شغاف قلبها وهو غلافه[٩٩].

هَجَرَ الحبيب فمتُ من شغف - لما حُرمتُ عزيمة الصبر.[١٠٠]

العشق :-

العشق:- العشق فرط الحب ، وقيل هو عُجب المحب بالمحبوب يكون في عفاف الحب ، عشقه يعشقه عشقاً وعشقاً وتعشقه ، وقيل التعشق تكلف العشق، وقيل العِشقُ الاسم والعَشَقُ المصدر.

---

96 سورة يوسف آية ٣٠

97 الجوهرى، الصحاح،ج٤،ص١٣٨٢، وابن منظور ، لسان العرب ج٩،ص١٧٨-١٧٩جا

98 ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩،ص ١٧٨-١٧٩

99 محمد على الصابونى، مختصر تفسير ابن كثير،ج٢،ص٢٤٨

100 ديوان البحترى، تحقيق/ حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف بمصر ، ج٤، ص٢٥٨١

ورجل عاشقُ من قوم عشاق، وعشيقٌ : كثير العشق . وامرأة عاشق وعاشقةٌ. وسئل أبو العباس أحمد بن يحي عن الحب والعشق أيهما أحمد، قال: الحب لأن العشق فيه إفراط، وسمى العاشق عاشقاً لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل القشة إذا قطعت[١٠١].

العشق فرط الحب ، وقد عشقه عشقاً. مثال علمه عِلماً وعشقاً، ورجل عشيق ،أي كثير العشق. والتعشق: تكلف العشق، ويقولون امرأة محب لزوجها وعاشق[١٠٢].

والعاشق الفاعل، والمعشوق المفعول، والعشيق يقال للفاعل والمفعول ، وامرأة عاشق وعاشقة.

وقال جمهور الناس: لا يطلق ذلك في حقه تعالى، فلا يقال إنه يعشق ولايقال عشقه عبده، واختلفوا بسبب المنع على ثلاثة آراء:

١-عدم التوقيف بخلاف المحبة.

٢-أن العشق إفراط المحبة ولا يمكن ذلك في حق الله تعالى ، فإن الله تعالى لايوصف بالإفراط في الشئ ولا يبلغ عبده ما يستحقه من حبه فضلاً أن يقال أفرط في حبه.

٣-أنه مأخوذ من التغير كما يقال للشجرة عاشقة: العَشَقَةُ اللبلابة ، تخضر وتصفر وتعلق بالذى يليها من الأشجار، فاشتق من ذلك العاشق ، ولا يطلق ذلك على الله تعالى[١٠٣].

وقال الجاحظ: العشق اسم لما فضل عن المحبة، كما أن الإسراف اسم لما جاوز الجود.

---

101 ابن منظور، لسان العرب، ج١٠،ص٢٥١-٢٥٢

102 الجوهرى، الصحاح،ج٤،ص١٥٢٥

103 ابن القيم ، روضة المحبين ، ص٤٤

وقال أعرابى :- العشق خفى أن يرى وجلى أن يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر إن قدحته أورى ، وإن تركته توارى، وقيل أول العشق النظر ، وأول الحريق الشرر.

وعندما سأل أمير المؤمنين يحى بن أكثم عن العشق ماهو ، قال: هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها في نفسه.

وقال ثمامة : العشق جليس ممتع ، وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة، ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة.

ملك الأبدان وأرواحها والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها والعقول وأراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها ، توارى عن الأبصار مدخلة وخفى في القلوب مسلكه[١٠٤].

أرى كل معشوق غيرى وغيرها يلذان في الدنيا ويغتبطان [١٠٥]

والجمهور لا يطلقون لفظ العشق في حق الله تعالى، لأن العشق هو المحبة المفرطة الزائدة على الحد الذي ينبغي ، والله تعالى محبته لا نهاية لها فليست تنتهى إلى حد لاتنبغى مجاوزته.

ويرى الجمهور أن العشق مذموم مطلقاَ لا يمدح لا في محبة الخالق ولا المخلوق لانه المحبة المفرطة الزائدة عن الحد المحمود ، ولإن لفظ العشق يستعمل في العرف في محبة الإنسان لامرأة أو صبى لا يستعمل في محبة كمحبة الأهل والمال والوطن والجاه ، ومحبة الأنبياء ، وهو مقرون كثيراَ بالفعل المحرم: إما بمحبة امرأة أجنبية أو صبى يقترن به النظر المحرم واللمس المحرم وغيرها من الأفعال المحرمة[١٠٦].

---

104 شهاب الدين الأبشيهى، المستطرف في كل فن مستظرف، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ،١٩٨٨م،ص١٩٥-١٩٦

105 ديوان جميل ، شعر الحب العذرى ، جمع وتحقيق/ حسين نصار ، مكتبة مصر ، دار الطباعة ، ص ٢٠٠

106106 ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية ، علم السلوك ، ج١٠، ص١٣١

العلاقة :-

العلق: الهوى ، يقال: نظرةُ من ذي علق. قال الشاعر:

ولقد أردتُ الصبر عنك فعاقنى

علق بقلبى من هواك قديم

وعَلِقَهَا بالكسر وعَلِق حُبها بقلبه ، أي هَوِيها وعلق بها عُلُوقاً[١٠٧]

أنشد جميل بيثينة لرجل ، أخذ هذا الرجل يحدثه عن بنت عم له ويأكل حتى أتى على الخبز كله.

فلو كنت عذرى العلاقةِ لم تكن بطيناً ونساك الهوى كثرة الأكل[١٠٨]

مفهوم الهوى:-

هو ميل النفس الى الشئ وفعله هَوِىَ يَهْوَى هَوىً

ويقال الهوى على نفس المحبوب ، وهذا هوى فلان وفلانة هواه أي مهويته ومحبوبته، ويستعمل في الحب المذموم كما قال تعالي: " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى"[١٠٩]

أي ان الجنة لمن زجر نفسه عن المعاصى والمحارم وكفها عن الشهوات التي تؤدى إلى النار[١١٠].

كما يستعمل في الحب الممدوح استعمالاَ مقيداَ

والهوى مقصورُ: هوى النفس، والجمع الأهواء وإذا أضفته إليك قلت هواء ، وهذا الشئ أهوى إلى من كذا أي أحب إلى. وهَوِىَ بالكسر يَهْوَى هَوِى أي أحب[١١١].

---

107 الجوهرى، الصحاح، ج٤،ص١٥٢٩، وابن القيم ، روضة المحبين ،ص ٢٢

108 حسين نصار، ديوان جميل شعر الحب العذرى، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة، د.ت، ص١٨٢

109 سورة النازعات ، آية٤٠-٤١

110 مختصر تفسير ابن كثير،ج٣،ص٥٩٧

111 الجوهرى، الصحاح، ج٦،ص٢٥٣٧-٢٥٣٨

وقيل الهوى: العشق ، يكون في مدخل الخير والشر،والهَوِيُ المَهْوىُ ، وهوى النفس إرادتها والجمع الأهواء. قال اللغويون: الهوى محبة الإنسان الشئ وغلبته على قلبه ، قال تعالى:" ونهى النفس عن الهوى"[١١٢]، أي نهاها عن شهواتها وما تدعوا إليه من معاصى الله تعالى. وعندما تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم هوى حسنُ واستهوته الشياطين: ذهب بهواه وعقله وفى قوله تعالى:" كالذى استهوته الشياطين في الأرض حيران"[١١٣]. واستهوته استهامته وحيرته وزينت الشياطين له هواه حيران في حال حيرته، استهوته الشياطين هوت به وأذهبته، أي زينت له هواه[١١٤].

كتمت الهوى خوف إفشائه فألهب نار الغضى في ضلوعى
فلما خشيت على مهجتى أذعت الهوى بلسان الدموع[١١٥]
هوى تذرف العينان منه وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها[١١٦]
ومن أطاع هواه غير مكترث بما يكون فعقبى أمره ندم[١١٧]

قال صلى الله عليه وسلم:" أن أخوف ما أتخوف على أمتى الهوى وطول الأمل ، فأما الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الامل فينسى الآخرة ، وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة وهذه الآخرة مرتحلة قادمة ولكل واحدة منهما بنون فإن استطعتم ان لا تكونوا من بنى الدنيا فافعلوا فانكم اليوم في دار العمل ولا حساب وأنتم غدا في دار الآخرة ولا عمل[١١٨].

إن النفس مجبولة على حب الهوى، فإحتاجت إلى المجاهدة والمخالفة ، وإذا لم تزجر عن الهوى هجم عليها الفكر في طلب ما شغفت به ، فأستأنست بالآراء الفاسدة

112 سورة النازعات ،ن أية ٤٠
113 سورة الآنعام أية ٧١
114 ابن منظور، لسان العرب ، ج١٥،ص٣٧٢-٣٧٣
115 ديوان البارودى، مرجع سابق ، ج٢،ص٢٣٥
116 ديوان ذي الرمة ، ج٢،ص٦٩٥
117 ديوان البارودى ،ج٣،ص٤٤٦
118 مجموعة الحديث النجدية ، ص٤٠٨

والأطماع الكاذبة ، والأمانى العجيبة الخادعة ، خصوصاً إن ساعد الشباب الذى هو شعبة من الجنون ، وامتد ساعد القدرة إلى نيل المطلوب[١١٩]

يافؤادى لاتسألنى أين الهوى كان صرحاً فهوى[١٢٠]

والهوى هوان وحلم له ألوان ودمع ساجم ووجد هاجم ، وهيام لايبرح ثم وراءه مالم يشرح من اقتحم بحر الهوى هوى[١٢١].

يقول ابن الجوزى:" إن المغلوب بموافقة الهوى والنفس مقهور، ولذلك تجد في نفسه ذلاً لمكان القهر، وغالب الهوى ذو صولة ولذلك وقع عظيم في الشرع وعند الخلق[١٢٢]

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلب إلا للحبيب الأول[١٢٣]

الفتون :-

الفتون مصدر فتنة ، قال تعالى :" فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون"[١٢٤]، ومعنى المفتون الذى فتن بالجنون.

وافتتن بالشئ فتن فيه ، وفتن إلى النساء فتوناً وفتن إليهن: أراد الفجور بهن والفتنة الضلال والإثم ، والفاتن المضل عن الحق . والفاتن الشيطان لأنه يضل العباد.

---

119 ابن الجوزى، ذم الهوى ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مراجعة ، محمد الغزالى، الناشر : دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م،ص ٣٦،ط١

120 المرجع السابق، ص٥٣، محمد ناصر، برنامج مصر النهارده ، قناة مكملين ، يوم الاثنين ١٣مارس ٢٠١٧م

121 ابن عبدربه ،ن طبائع النساء ، تحقيق وتعليق / محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٨٠

122 ذم الهوى ص ٥٣

123 محمد الكتانى، روضة التعريف بالحب الشريف، الرباط، الدار البيضاء ، بيروت، دار الثقافة،١٩٧٠م ،ص٣٧٤

124 سورة القلم آية ٥-٦

• فتن الرجل يفتن فتوناَ إذا أراد الفجور، وقد فتنته فتنة وفتوناَ ، وأفتنتهُ إفتاناَ فهو مفتن، وأفتن الرجل وفتن فهو مفتون إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله، وإذا اختبر، قال تعالى:" وفتنك فتوناَ[١٢٥].

وقولهم فتنت فلانة فلاناَ: أي أمالته عن القصد، قال صلى الله عليه وسلم:" ما تركت فتنة أضل على الرجال من النساء"[١٢٦].

أي الخوف من أن يعجبوا بالنساء فينشغلوا عن الآخرة والعمل لها.

والفتنة الاختبار، وفتنه يفتنُه: اختبره[١٢٧].

• تأويل الفتنة فيها ثلاثة أقوال

١. الفتنة: الأفتتان نفسه ، المناكير ، قال تعالى:" واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب"[١٢٨]، نهى الله تعالى الناس أن يقروها بين أظهرهم فيعمهم العذاب ، وكان داء الأمم السابقة ، قال تعالى:" كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه"[١٢٩].

وقوله تعالى:" يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا إهتديتم"[١٣٠]

أي ان الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بالعذاب ، وإن الله تعالى لايعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهاراَ استحقوا العقوبة كلهم[١٣١]

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على كل الناس مع المقدرة على ذلك والأمن من الضررعند القيام به ، أما إذا كان هناك عدم الاستطاعة على

---

125 سورة طه آية ٤٠

126 صحيح البخارى،ج٦،ص١٢٤

127 ابن منظور، لسان العرب ،ج١٣،ص٣١٨-٣١٩

128 سورة الانفال ، آية ٢٥

129 سورة المائدة ،آية ٧٩

130 سورة المائدة آية ١٠٥

131 ابن العربى ،احكام القرآن ، تحقيق/ على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، د.ت ، ج٢، ص٨٤٦-٨٤٧

معارضة الخلق والخوف على النفس أو المال من القيام بالحق لإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك واترك أمر العامة ، وهذه رخصة من الله تعالى يسرها علينا[١٣٢] وهذا يؤيد قوله صلى الله عليه وسلم:" من رأى منكم منكراَ فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فليغيره بلسانه ، فإن لم يستطع فليغيره بقلبه وذلك أضعف الايمان"[١٣٣]

٢. المفتون به نفسه يسمى فتنة وهو فتنة الأموال والأولاد، قال تعالى:" واعلموا أنما أموالكم وأولادلكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم"[١٣٤] ، وفى هذه الآية قدم الله فتنة المال على فتنة الأولاد لأنها أشد.

٣. الامتحان والاختبار والابتلاء الذى يبتلى به المسلم نفسه[١٣٥] ، قال تعالى:" إن هي إلا فتنتك"[١٣٦].

الفتنُ (بالفتح) : الفن ، والحالُ، ومنه العيش فتنان ، أي لونان حُو ومر ، والإحراق ، ومنه "على النار يفتنون"[١٣٧]، والفتنةُ بالكسر: الخبرة ، كالمفتون ، ومنه " بأيكم المفتون"[١٣٨]، وإعجابك بالشئ، وفتنه يفتنه فتنا وفتونا وأفتنه ، والضلال، والإثم ، والكُفر ، والفضيحة، والعذاب ، وإذابة الذهب والفضة والإضلال والجنون ، والمحنة ، والمال ،والأولاد ، واختلاف الناس في الآراء، وفَتَنَه يفتنه: أوقعه في الفتنة ، كفتنه وأفتنه ، فهو مفتن ومفتون ، ووقع فيها لازم متعد كأفتتن فيهما وإلى النساء فتوناً ، وفُتن إليهن بالضم: أراد الفجور بهن.

---

132 ابن العربى، أحكام القرآن، ج٢،ص٧١٠

133 تحفة الآخوذى بشرح جامع الترمذى ،ج٦، ص٣٩٣

134 سورة الآنفال آية ٢٨

135 ابن العربى ، أحكام القرآن ، ج٢،ص ٨٤٦

136 سورة الآعراف ، آية ١٥٥

137 سورة الذاريات ،آية ١٣

138 سورة القلم ، آية ٦

والفتان اللص والشيطان ، كالفاتن ، والصائغ والفتانان: الدرهم والدينار، ومنكر ونكير، والمفتون: المجنون[١٣٩]

إن سفاهاً بذى الجلالةِ والشيبة ألا يزال مفتوناً[١٤٠]

التبالة :-

تبلهم الدهر وأبتلهم إذا أفناهم ، وتبله الحب أي أسقمه وأفسده[١٤١].

والتبل : أن يُسقم الهوى الانسان ، رجل متبول ويقال أصيب بنبل وقد أتبله إتبالاً[١٤٢]

كما في قصيدة كعب ابن زهير[١٤٣]

بانت سعاد فقلبى اليوم مبتولا متيم عندها لم يغد مكبول[١٤٤]

ومن قصيدة أبى الطيب المتنبى يمدح فيها سيف الدولة الحمدانى

مالنا كُلنا جوٍ يارسولُ أنا الهوى قلبُك المتبولُ[١٤٥]

الغرام :-

والغرام: اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعشق ، وقال الزجاج: هو أشد العذاب في اللغة، قال تعالى:" إن عذابها كان غراماً"[١٤٦]

أي عذابها ملحاً دائماً وملازماً وهلاكاً.

---

[139] الفيروزآبادى، القاموس المحيط ، مرجع سابق ، ص ١٥٧٥

[140] أبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٢، ١٩٦٩م، ج٢، ص ٧٤٧

[141] الجوهرى ، الصحاح ، ج٤، ص١٦٤٣

[142] ابن منظور ، لسان العرب ،ج١١، ص٧٦

[143] كعب بن زهير بن أبى سلمى من الشعراء المخضرمين عاش في الجاهلية والإسلام ، وهو من شعراء الطبقة الأولى ، هجا النبى صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وتشبب بنساء المسلمين فأهدر النبى صلى الله عليه وسلم دمه ، فجاءه كعب مستأمناً وأسلم ، فعفا عنه النبى فأنشد هذه اللامية المشهورة وخلع عليه الصلاة والسلام بردته . الشعر والشعراء ج١، ص٧٩-٨٠

[144] ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، بيروت ، ت١٩٦٩م، ج١ص٨٩

[145] محمد محمود دندشى ، عظماء العرب، المتنبى، دار الشمال للطباعة والنشر ، طرابلس ، لبنان، د.ت، ص٨٥

[146] سورة الفرقان ، آية ٦٥

والغرام: الولوع، وقد أُغرم بالشئ أي أُولع به.

ورجل مغرم: مولع بعشق النساء وغيرهن ، وفلان مغرم بكن أي مبتلى به.

وفى حديث على رضى الله عنه :" فمن اللهج باللذة السلس القياد للشهوة". والعرب تقول: إن فلاناً لمغرم بالنساء إذا كان مولعاً بهن[١٤٧]

فكيف احتيالى بين أمرين أشكلا علىَ فصارا شِقوةً وغراماً[١٤٨]

الهُيام :-

الهيام كالجنون في العشق

يقال: هام في الأمر يهيم إذا تحير فيه ، ويروى المهيمنات وهو الذاهب على وجهه عشقاً، هام به هيماً وهيوماً وهياماً وهيماناً وتهياماً

والاسم الهيام ، ورجل هيمان ، محب شديد الوجد

الهيم مصدر هام يهيم هيماُ وهيماناً إذا أحب المرأة.

والهيام : العشاق ، والهيام : الموسوسون ، ورجل هائم وهيوم ، والهيوم : أن يذهب على وجهه ، وقد هام يهيم هياماً

واستهيم فؤاده ، فهو مستهام الفؤاد أي مُذهبه. والهيم هيمان العاشق والشاعر، قال تعالى :" في كل واد يهيمون"[١٤٩]

قال بعضهم: هو وادى الصحراء يخلو فيه العاشق والشاعر.

ويقال : هو وادى الكلام والله أعلم

هام على وجهه يهيم هيماً وهيماناً ذهب من العشق

وقلب مستهام أي هائم[١٥٠]

---

147 ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢، ص٤٣٤

148 محمود سامى البارودى، ديوان البارودى ، حققه : محمد شفيق معروف ، دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ج٣، ص٤٦٨

149 سورة الشعراء ، آية ٢٢٥

150 ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٦٢٦-٦٢٧

ويلاه مما أُلاقى من لوعتى وهيامى[١٥١]

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها وأصبح القلب عنها غير صابر[١٥٢]

أيا ريح الشمال أما ترينى أهيم وأننى بادى النحول[١٥٣]

التتيم :-

تيم: التيم : أن يستعبده الهوى ، وقد تامه ، ومنه تَيَمُ الله وهو ذهاب العقل من الهوى ، ورجل متيم ، وقيل التيم ذهاب العقل وفساده وفى قصيدة كعب :

متيم إثرها لم يُفد مكبولُ[١٥٤]

أي معبد مذلل وتيمه الحب إذا استولى عليه. قال الأصمعى : تيمت فلانةُ فلاناً تُتيمهُ وتامته تتيمُة تيماً ، فهو مُتيم بالنساء ومتيم بهن. ابن الأعرابى : تام إذا عشق ، ونام إذا تخلى من الناس[١٥٥].

ويقولون :" قلب متيم إذا كان متعبداً للمحبوب، والمتيم المتعبد ، وتيم الله عبده. وهذا على الكمال حصل لابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم[١٥٦].

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعورة ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم[١٥٧]

الود :-

نقول وَدِدْتُ لو تفعل ذلك ، ووَدِدتُ لو أنك تفعل ذلك ، أوَدَ، وَدًا ووُدَاً ووَدَادَةً وودَاداً أي تمنيت.

---

151 ديوان البارودى ، ج٣، ص ٤٤٤

152 ابن كثير، البداية والنهاية ، دار الفكر، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ج ٨ ، ص٨٣

153 ديوان جميل ، مرجع سابق ، ص١٨٣

154 ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج١، ص٨٩

155 ابن منظور، لسان العرب ، ج١٢، ص٧٥

156 ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية ،علم السلوك ،ج١٠،ص٢٠٣

157 الجاحظ ، أبى عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجى بمصر ، ط٤، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ج١، ص٧٨

وودِدت الرجل أوَدُهُ وُداً ، إذا أحببتهُ. والوُدُ: المودة. تقول بودى أن يكون كذا. قال تعالى :" قل لآأسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى"[١٥٨]

والوَدُ:الوِدِيدُ ، والجمع أودُ وهما يتوادان وهم أوِدَاء والودود : المحب ورجالُ وداداء ، يستوى فيها المذكر والمؤنث لكونه وصفاً داخلاً على وصف المبالغة[١٥٩]

قال تعالى :" وجعل بينكم مودة ورحمة"[١٦٠].

وود: الودُ : مصدر المودة ، الود الحُبُ ، يكون في جميع مداخل الخير ، ووددت الشئ أودُ ، وهو من الأمنية ، قال تعالى:" يود أحدكم لو يعمر ألف سنة"[١٦١]، أي يتمنى

يقال: وِدُك وَوَدِيدُك كما تقول حِبُكَ وحَبيبُك ، وقرئ قوله تعالى :" سيجعل لهم الرحمنُ وُداً"[١٦٢]

ووَداً.

قال الفراء: وُداً في صدور المؤمنين ، قال ابن الانبارى : الودود في أسماء الله تعالى، المُحب لعباده الصالحين أي يرضى عنهم[١٦٣].

أأسماء أمسى ودها قد تغيرا سنبدل إن أبدلت بالود آخرا[١٦٤]

أدمت على ما بيننا من مودة أميمة أم صارت لقول المحبب[١٦٥]

أشكو الذين أذاقونى مودتهم حتى إذا أيقظونى بالهوى رقدوا[١٦٦]

أيام أمنحك المودة كلها منى وأرعى بالمغيب المأخذا[١٦٧]

158 سورة الشورى ، آية ٢٣

159 الجوهرى ، الصحاح ، ج٢، ص٥٤٩

160 سورة الروم ،ن آية ٢١

161 سورة البقرة ، آية ٩٦

162 سورة مريم ، آية ٩٦

163 ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣، ص٤٥٣-٤٥٤

164 ديوان امرئ القيس ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م ، ط٣، ص٦١

165 المرجع السابق ، ص٤٢

166 ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج٢، ص٧٠٧

167 مختار الشعر الجاهلى ، تحقيق / محمد سيد الكيلانى، مطبعة مصطفى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٧٩هـ /١٩٥٩م ، ج٢، ص٢٣٤

والود ُ :هو خالص الحب وألطفه وأرقه ، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة يقول الجوهرى: وَدِدْت الرجل أودُه وُداَ إذا أحببته.

والوِدُ الوديد بمعنى المودود والجمع أوُدُ ، وهما يتوادان وهم أوداء، والوَدُود المحب ورجال وُدَدَاء يستوى فيه المذكر والمؤنث لكونه وصفاَ داخلاَ على وصف للمبالغة.

الوَدُود من صفات الله تعالى وأصله من المودة [١٦٨]

والودود الحبيب ، قال تعالى:" وهو الغفور الودود"[١٦٩] وقوله تعالى:" إن ربى رحيم ودود"[١٧٠]

الخلة :-

هي توحيد المحبة والخليل هو الذى توحد حبه لمحبوبه ، أي المحبة التي لاتقبل المشاركة وهو صرف المحبة لله وحده وتعالى، ولهذا اختص بها في الدنيا الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، قال تعالى:" واتخذ الله إبراهيم خليلاً"[١٧١]

وقال صلى الله عليه وسلم :" إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"[١٧٢]

وقال صلى الله عليه وسلم:" إن صاحبكم خليل الله "[١٧٣]

وقال صلى الله عليه وسلم :"لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن"[١٧٤]

وسميت خُلة تخلل المحبة جميع أجزاء الروح، والخُلةُ الخليل والجمع خِلال مثل قلة وقِلال ، والخِل الود والصديق ، واخِلال مصدر والجمع خِلال مثل قلة وقِلال ،

---

168 ابن القيم الجوزية ، روضة المحبين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص٤٦-٤٧

169 سورة البروج ، آية ١٤

170 سورة هود آية ٩٠

171 سورة النساء ، آية ١٢٤

172 رواية ابن ماجه والبيهقى ومسلم

173 مسند أحمد ، ج١، ص٣٩٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٥، ص ١٥٢، ١٥٣

174 الترمذى ،ن ج٥ ، ص٦٠٦

والخِل الود والصديق ، والخلال مصدر بمعنى المخالة. قال تعالى:" لابيع فيه ولا خِلال"[١٧٥] وقوله تعالى:" لا بيع فيه ولا خُلة"[١٧٦].

والخليل الصديق والانثى خليلة، والخِلابة والخَلالة والخُلالة بكسر الخاء وفتحها وضمها

آراء في ماهية العشق والمحبة والهوى:-

قال أفلاطون:- العشق حركة النفس الفارغة.

قال ارسطا طاليس:- العشق عمى الحسن عن إدراك عيوب المحبوب.

قال بعضهم: لم أر حقاً أشبه بباطل ، ولا باطلاً أشبه بحق من العشق ، هزله جد ،وجده هزل ، وأوله لعب ، وأخره عطب.[١٧٧]

قال ثمامة بن أشرس يصف العشق للمأمون:

العشق جليس ممتع ، أليف مؤنس، وصاحب مِلكٍ مسالكه ضيقة، ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جارية، مَلَكَ الأبدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعقول وآراءها، قد أعطى عنان طاعتها وقوة تصرفها توارى عن الأبصار مدخله ، وعمى في القلوب مسلكه[١٧٨].

قال الجاحظ: العشق اسم لما فضل عن المحبة ، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود والبخل اسم لما جاوز الاقتصاد فكل عشق يسمى حباً، وليس كل حب يسمى عشقاً، والمحبة جنس والعشق نوع منها ، الا ترى أن كل محبة شوق وليس كل شوق محبة[١٧٩].

---

175 سورة إبراهيم ، آية ٣١

176 سورة البقرة ، آية ٢٥٤

177 ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٣٧-١٣٩، وابن الجوزى ، ذم الهوى ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، مراجعة محمد الغزالى، الناشر/ دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ، ط١، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص ٢٨٨-٢٩٠

178 ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ،ص١٣٩، وابن الجوزى، ذم الهوى ص٢٩٠، والابشيهى المستطرف في كل فن مستظرف ، ج٢، ص١٩٥-١٩٦

179 ابن الجوزى ، ذم الهوى ، ص٢٩٥، وابن القيم ، روضة المحبين ، ص١٣٧

قال بعض الفلاسفة : العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك ثم يتربى ويجتمع إليه مواد من الحرص، وكلما قوى ازداد صاحبه في الاهتياج والتمادى في الطمع والحرص على الطلب حتى يؤول إلى الغم والقلق ، ومن ثم تحصل له فساد الفكر الذى يؤدى إلى زوال العقل والجنون ، وقد يقتل العاشق نفسه وربما مات غماً.

قال ارسطو: العشق جهل عارض صادف قلباً فارغاً لا شغل له من تجارة ولاصناعة.

قال التميمى في كتابه امتزاج الأرواح: إن وقوع العشق بأهله ليس باختيارهم ، ولا بحرصهم عليه ، ولا لذة لأكثرهم فيه ولكنهم ابتلوا به كالأمراض المتلفة.

الفلاسفة المشاؤون قالوا: هو اتفاق اخلاق وتشاكل كل محبات وتجانسها ، وشوق كل نفس إلى مشاكلها ومجانسها في الخلقة القديمة قبل إهباطها إلى الأجساد*[١٨٠]

قال فيثاغورس : العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمى ثم يتربى ويجتمع إليه مواد من الحرص ، فكلما قوى إزداد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادى في الطمع ، والفكر في الأمانى والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك إلى الغم المقلق.

قال سقراط الحكيم:- العشق جنون ، وهو الوان كما أن الجنون ألوان [١٨١].

قال أعرابى :- العشق خفى أن يدرك وجلى أن يخفى فهو كامن كمون النار في الحجر أن قدحته أورى وإن تركته توارى .

وقيل أول العشق النظر، وأول الحريق الشرر.

قال يحى بن أكثم:- العشق هو سوانح تسنح للمرء ، فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه[١٨٢]

---

*اتباع ارسطو، وقيل لقبوا به لانه كان يعلمهم وهم مشاة أو لأن محل التعليم كان يسمى بالممشى، وفى تاج العروس للزبيدى المشائيون : فرقة من الحكماء كانوا يمشون في ركاب افلاطون ، المرجع السابق ص١٤٠

[180] ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ، مرجع سابق ، ص١٣٧-١٤٣

[181] ابن الجوزى ، ذم الهوى ، مرجع سابق ،ص ٢٨٩

[182] الأبشيهى ، المستظرف في كل فن مستظرف ، ج٢، ص١٩٥

قال جالينوس:- العشق في فعل النفس ، وهى كامنة في الدماغ والقلب والكبد ، وفى الدماغ ثلاثة مساكن: مسكن للتخيل وهو في مقدم الرأس ومسكن للفكر وهو في وسطه ، ومسكن للذكر وهو في مؤخره ، ولا يسمى عاشقاً إلا من فارق معشوقه ولم يزل يتخيله، فيمتنع عن الطعام والشراب، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل والفكر والذكر، فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به[١٨٣].

الشوق أثر من آثار المحبة وحكم من أحكامها فإنه سفر القلب إلى المحبوب بكل حال.

هو اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب.

هو احتراق الاحشاء ومنها يتهيج ويتولد ، ويلهب القلوب ويقطع الأكباد.

المحبة أعلى من الشوق لأن الشوق عنها يتولد وعلى قدرها يقوى ويضعف.

قال يحى بن معاذ :- علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات.

قال ابن خفيف:- الشوق ارتياح القلوب بالوجد ومحبة اللقاء بالقرب.

هو لهب ينشأ بين أثناء الحشى، يسنح عن الفرقة ، فإذا وقع اللقاء طفئ.

يزول باللقاء لان الشوق هو سفر القلب إلى محبوبه ، فإذا قدم عليه ووصل إليه صار مكان الشوق قرة عينه به ، وهذه القرة تجامع المحبة ولا تنافيها .

وقال البعض بل يزيد الشوق بالقرب والوصول، ولا يزول لأنه كان قبل الوصول على الخبر والعلم ، وبعده قد صار على العيان والشهود

ومن الدليل على أن الشوق يكون حال اللقاء أعظم ، نرى أن المحب يبكى عند لقاء محبوبه. وذلك البكاء إنما هو من شدة شوقه إليه ، ووجده به ، ولذلك يجد عند لقائه نوعاً من الشوق لم يجده في حال غيبته عنه[١٨٤].

183 ابن الجوزى ، ذم الهوى ، ص٣١٤

184 ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، تحقيق : عماد زكى البارودى، المكتبية التوفيقية ، ط٤، ٢٠١٣م، ج٢، ص٢٥٥-٢٥٦

الأصمعى: إذا تقادحت الأخلاق المتشاكلة وتمازجت الأرواح المتشابهة ألهبت لمح نور ساطع يستضئ به العقل ويهتز لأشراقه طباع الحياة ويتصور من ذلك النور خلق خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمى العشق[١٨٥].

ويرى الماوردى: أن الهوى عن الخير صاد، وللعقل مضاد ، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوكاً.[١٨٦]

وقال الشعبى: سمى الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه.

وقال أعرابى: الهوى هوان ، وقيل من أطاع هواه ، أعطى عدوه مناه، قال تعالى " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى"[١٨٧].

ويرى الحسن البصرى أن أفضل الجهاد ، جهاد الهوى.

وهناك من يرى أن العين رائد الشهوة ، والشهوة من دواعى الهوى، وأن الهوى مطية الفتنة ، والدنيا دار المحنة ، فاترك الهوى تسلم واعرض عن الدنيا تغنم ولا يغرنك هواك بطيب الملاهى ، ولاتفتنك دنياك بحسن العوارى ، فمده اللهو تنقطع وعارية الدهر تُرتجع.

والفرق بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول واتفاقهما في الدلالة والمدلول، أن الهوى مختص بالآراء ، والاعتقاد ، والشهوة مختصة بنيل المستلذات ، فصارت الشهوة من نتائج الهوى ، وهى أخص ، والهوى أصل وأعم[١٨٨].

وقال الشاعر:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفهُ الفتى وحنينهُ أبداً لأول منزل[١٨٩]

---

185 ابن الجوزى ، ذم الهوى ، ص٢٩٢

186 الماوردى، أدب الدنيا والدين ، حققه وعلق عليه / مصطفى السقا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ص ٣٣

187 سورة النازعات ، آية ٤٠

188 الماوردى، آداب الدنيا والدين ، ص٣٤-٣٩

ويرى الأطباء أنه مرض وسواسى شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصورة والشمائل وسببه النفسانى الاستحسان والفكر[١٩٠].

قال احمد شهاب الدين العسقلانى في كتابه المواهب اللدنية : أن المحبة كما قال صاحب المدارج هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون، فهى قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهى الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذى من فقده فهو في بحار الظلمات والشفاء الذى من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهى روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى دخلت منها فهى كالجسد التي لاروح فيه تحمل أثقال السائرين إلى بلد لم يكونوا إلابشق الانفس بالغيه وتوصل إلى منازل لم يكونوا أبداً بدونها الذى واصليها وتبوئهم من مقاعد الصدق إلى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها وهى مطايا القوم التي سراهم في ظهورها دائماً إلى الحبيب وطريقهم الأقوم الذى يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة حيث لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب فيالها من نعمة على المحبين سابغة .

وقال أبو القاسم القشيرى:-

المحبة حالة شريفة لاتوصف المحبة بوصف ولا تحد بحد أوضح ولا أقرب إلى ا لفهم من المحبة .....

وقال أبوبكر الكتانى: جرت مسئلة في المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سناً فقالوا هات ماعندك يا عراقى، فأطرق رأسه ودمعت عيناه

---

[189] ابن عبدربه ، طبائع النساء ، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٨٠

[190] ابن القيم ، روضة المحبين ، ص١٣٧

ثم قال : عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هويته وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فمن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله ، فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين.

وقال أبوطالب الشاذلى في قوانين الحكم:- حقيقة المحبة نار تحرق الأكباد ولوعة تنمو وتزداد حقيقة المحبة كتمان سر المحبوب فيما تجلى على المحب من مشاهدة العيوب حقيقة المحبة خلاص جوهر الروح من الاعراض وفناء النفس في الحظوظ والأغراض المحبة الحقيقية جذبة اظطرارية غير اختيارية.

وقيل للمحبة ظاهر وباطن ظاهرها اتباع رضى المحبوب وباطنها أن يكون مفتوناً بالحبيب عن كل شيء فلا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه ، وقال عبدالله القرشي حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء.

وقال المحققون المحبة استهلاك في لذة والمعرفة شهود في حيرة.

وقال عبدالرحمن الصفورى في كتابه نزهة المجالس في باب المحبة، قال تعالى " يحبهم ويحبونه"[١٩١].

فهنا قدم محبته لهم على محبتهم له، كما قدم ذكرهم له على ذكره إياهم ، قال تعالى:" فاذكرونى أذكركم"[١٩٢].

يقول عبد القادر الحيلى أن الذكر مقام الطلب، فكأنه أمرهم بالطلب منه فقدم ذكرهم له وأما المحبة فهى تحفة إلهية ليس للعبد فيها اختيار فلا يصح وجوبها إلا بعد بروزها من جانب الغيب على يد المشيئة فلهذا قدم محبته لنا على محبتنا له وله الفضل والمنة ومعنى محبة الله لهم توفيقه إياهم لطاعته.

[191] سورة المائدة ، آية ٥٤

[192] سورة البقرة ، آية ١٥٢

وقال شعيب الحريفيش في كتابه روض الفائق:-

الحب حرفان حاء وباء فحاؤه حتف وباؤه بلاء، فهو في الحقيقة داء يستخرج لذائقه من صفو رائقه ، وداء وشفاء فأوله فناء وآخره بقاء وظاهره تعب وعناء وباطنه سرور وهناء ، فالناس في المحبة على أنواع واجناس ومحبوا الله هم خلاصة الناس، قال تعالى " والذين آمنوا أشد حباً لله"[١٩٣].

قال ابن عباس: أي اثبت وادوم وقيل إنما قال تعالى:" والذين آمنوا أشد حباً لله " لأن الله تعالى أحبهم أولاً ثم أحبوه ثانياً ، ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته أتم واصح.

وقال مصطفى العروسى في حاشيته في شرح الرسالة القشيرية للشيخ زكريا الانصارى:" أن المحبة عند أرباب الآحوال حالة لطيفة يجدها العبد بقلبه تحمله على إيثار المحبوب طوعاً وقد يعبر عنها بأنها احتراق أو اهتياج أو غرام او سقام أو لدع فكل ذلك يصح أن تفسر المحبة به على التقريب.

والحب أول نشأته في قلب المحب إذ لم يشاركه فيه أمر آخر وخلص له وصفى يسمى حباً فإذا ثبت يسمى وداً، فإذا عانق القلب والاحشاء والخواطر ولم يبق فيه شيء الا التعلق به يسمى عشقاً.

وقال أحمد رزوق في شرحه على الحكم العطائية:

حقيقة المحبة أخذ جمال المحبوب بمحبة القلب حتى لا يدعه لغيره في حال من الأحوال ولذلك قيل المحبة الايثار بدوام الحنين.

وقال بعضهم: أبت المحبة أن تستعمل محباً لغير محبوبه ولذلك قيل المحبة أن تهب كلك لمن أنت له محب حى لا يبقى لك منك شيء، ثم من لازم المحبة وجود الشوق إلى رؤية المحبوب.

[193] سورة البقرة ، آية ١٦٥

وقال عبدالله بن علوى الحداد الحضرمى في كتابه الدعوة التامة والتذكرة العامة سئل ذو النون المصرى عن المحبة فقال هي أن تحب ما أحب الله وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير كله وترفض مايشغلك عن الله وأن لا تخاف في الله لومة لائم[١٩٤].

وهناك من يرى أن العداوة والصداقة لا تحصل باختيار الانسان فإن الرجل قد يبلغ عداوة غيره إلى حيث لا يقدر أبداً على إزالة تلك الحالة عن قلبه ، بل قد لا يقدر على إخفاء آثار تلك العداوة ولو أتى بكل تكلف وحيلة لعجز عنه ، ولو كان حصول العداوة والصداقة في القلب باختيار الانسان لوجب أن يكون الانسان متمكناً من قلب العداوة بالصداقة وبالضد ، والشعراء عرفوا أن ذلك خارج عن الوسع.

قال المتنبى:-

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

والعاشق الذى يشتد عشقه قد يحتال بجميع الحيل في إزالة عشقه ولايقدر عليه، ولو كان حصول ذلك الحب والبغض باختياره لما عجز عن إزالته[١٩٥].

ومع هذا أرى أنه لا يوجد عداوة شديدة بدون سبب والزمن كفيل بإزالتها مع بقاء غصتها في النفس.

والصداقة يختارها الإنسان ويبدلها حسب الألفة والمصلحة والعمل المشترك بينهما وتقوى هذه الصداقة كلما قوى الصدق والأمانة والإخلاص والمحبة بين بعضهم البعض.

قال تعالى:" عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفوررحيم"[١٩٦].

في الآية السابقة يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين عسى الله أن يجعل بينهم محبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة والله قدير على كل

---

194 رشيد الراشد التاذفى ، الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم ، مكتبة النجاح ،طرابلس ، ليبيا، د.ت، ص٩-٢١

195 محمد الرازى فخر الرازى ، تفسير الفخر الرازى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مجلد ٧، ج١٣،ص١٦١

196 سورة الممتحنة ، آية٧

شي وعلى مايشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال تعالى ممتنا على الانصار[١٩٧]:" واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً.."[١٩٨].

وقال تعالى:" وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم"[١٩٩].

يقول الله تعالى في هذه الآية أنه جمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج بعد التفرق والتشتت على دينه الحق فصيرهم به جميعاً بعد أن كانوا أشتاتاً، واخواناً بعد أن كانوا أعداء.

ويقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :" لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً من ذهب وورق وعرض ما جمعت انت بين قلوبهم بحيلك ولكن الله جمعها على الهدى فائتلفت واجتمعت تقوية من الله لك وتأييداً منه ومعونة على عدوك والله تعالى فعل ذلك وسببه لك حتى صاروا لك أعوانا وأنصار ويدا واحدة على من بغى عليك والله يكفيك كيد العدو وينصرك عليه[٢٠٠]

قال صلى الله عليه وسلم :" أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك يوماً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما"[٢٠١]

وقال الشاعر:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا[٢٠٢]

وعن أنس قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول :" يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك" قال : فقلنا يا رسول الله " آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال : فقال " نعم إن القلوب بين اصبعين من أصابع الله عزوجل يقلبها كيف يشاء"[٢٠٣].

197 ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٣٤٨-٣٤٩
198 سورة آل عمران آية ١٠٣
199 سورة الأنفال ، آية ٦٣
200 تفسير الطبرى library.islamweb.net
201 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٤، ص ٣٦٠
202 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ج٤، ص ٣٤٩

الفصل الثانى

محبة الله تعالى

إن المحبة كلما تمكنت في القلب ورسخت فيه كان أذى المحبوب في رضى محبوبه مستحلى ومحبب غير مسخوط، والمحبون يفتخرون عند أحبابهم بذلك. فما الظن بمحبة المحبوب الأعلى الذى ابتلاؤه لحبيبه رحمة منه له وإحسان إليه[٢٠٤]، قال تعالى:" ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[٢٠٥]

كما أنه ليس كمثله شيء فليس كمحبته محبة، والمحبة من الخضوع هي العبودية التي خلق الله تعالى الخلق لأجلها فإنها غاية الحب بغاية الذل، ولا يصلح ذلك إلا له سبحانه ، والإشراك به في هذا هو الشرك الذى لايغفره الله ولا يتقبل لصاحبه عملاً[٢٠٦].

إن محبة الله تعالى والإنس به والشوق إلى لقائه والرضى به وعنه أصل الدين وأصل أعماله وإرادته، كما أن معرفته والعلم بإسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين كلها. فمعرفته أجل المعارف، وإرادة وجهه أجل المقاصد، وعبادته أشرف الأعمال، والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال وذلك أساس الحنيفية ملة إبراهيم.

قال تعالى:" ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين"[٢٠٧]

فمحبته تعالى أحب إلى العبد من كل ما سواه على الإطلاق، من أعظم واجبات الدين وأكبر اصوله ، وأجل قواعده ، ومن أحب معه مخلوقاً مثل ما يحبه فهو من

203203 صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، ص٢٠٤، والجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ،ج٤،ص ٤٤٨-٤٤٩وج٥، ص٥٣٨-٥٧٣، ومسند احمد ج٣، ص١١٢.

204 ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١٥٢، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .

205 سورة الشورى، آية ١١

206 ابن قيم الجوزية، فوائد الفوائد ، م.ع.س، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٣٤

207 سورة النحل ،آية ١٢٣

الشرك الذى لا يغفر لصاحبه ولا يقبل معه عمل[٢٠٨]، قال تعالى:" ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله"[٢٠٩].

والعبد لا يكون من أهل الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه وأهله وولده والناس أجمعين، والله تعالى لم يخلق الجن والانس إلا لعبادته، قال تعالى:" وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون"[٢١٠]، التي تتضمن كمال محبيته وكمال تعظيمه والذل له ، ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، وعلى ذلك وضع الثواب والعقاب وخلق الجنة والنار وانقسم الناس إلى شقى وسعيد، قال تعالى:" وما نؤخره إلا لأجل معدود، يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد، فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ"[٢١١].

وسبحانه ليس كمثله شيء، وليس كمحبته وإجلاله وخوفه محبة وإجلال وفخامة.

فالمخلوق كلما خفته هربت منه والله تعالى كلما خفته أنست به وفررت إليه والمخلوق يخاف ظلمه وعدوانه، والرب يخاف عدله وقسطه.

إن محبة المخلوق إذا لم تكن لله فهى عذاب للمحب ووبال عليه وما يحصل له بها من التألم أعظم مما يحصل له من اللذة وكلما كانت أبعد عن الله كان ألمها وعذابها أعظم.

بالإضافة إلى ما في محبته من الإعراض عنك ، والتجنى عليك وعدم الوفاء لك، إما لمزاحمة غيرك من المحبين له ، وإما لكراهته ومعاداته لك ، وإما لاشتغاله عنك بمصالحه وما هو أحب إليه منك ، وإما لغير ذلك من مصالحه.

208 ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان ،ج٢،ص ١٥٧-١٥٨
209 سورة البقرة، آية ١٦٥
210 سورة الذاريات ، آية ٥٦
211 سورة هود ، آية ١٠٤-١٠٨

وأما محبة الله تعالى فإنه لاشئ أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها فهو إلهها ومعبودها ووليها ومولاها وربها ومدبرها ورازقها ومميتها ومحييها، فمحبته نعيم النفوس وحياة الأرواح وسرور النفوس وقوت القلوب ونور العقول، وقرة العيون وعمارة الباطن، فليس عند القلوب السليمة أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أنعم من محبته تعالى والانس به والشوق إلى لقائه.

وكل مؤمن في قلبه حب لله تعالى وطمأنينة بذكره وشوق إلى لقائه وأنس بقربه إن لم يشعر به لاشتغال قلبه بغيره وإنصرافه إلى ما هو مشغول به ، وقوة ذلك وضعفه وزيادته ونقصانه هو بحسب قوة الايمان وضعفه وزيادته ونقصانه. وعندما لم يكن الله وحده غاية مراد العبد ونهاية مقصوده لم يكن قد حقق شهادة أن لا إله إلا الله وكان فيه من العيب والنقص والشرك بقدره.

ولو سعى في هذا المطلوب بكل طريق، وطرق كل باب ولم يكن مستعيناً بالله، متوكلاً عليه، متيقناً أنه إنما يحصل بتوفيقه ومشيئته وإعانته، لم يحصل له مطلوب، فإنه ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى:" إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون"[٢١٢]، وقال تعالى:" ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً"[٢١٣]، فلا يعبد إلا بإعانته ولا يطاع إلا بمشيئته، قال تعالى:" لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله"[٢١٤].

والعبد في حال معصيته وانشغاله عن الله تعالى بشهوته ولذته تكون تلك اللذة والحلاوة الإيمانية قد استترت عنه أو نقصت أو ذهبت. فإنها لو كانت موجودة كاملة لما قدم عليها لذة وشهوة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم :" لايزنى الزانى حين يزنى

212 سورة يس، آية ٨٢
213 سورة الكهف ، آية ٢٣-٢٤
214 سورة التكوير، آية٢٨-٢٩

وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"[٢١٥].

لهذا إذا كان العبد مخلصاً لله منيباً إليه يكون منصرفاً عن هذه المحرمات ولا يلتفت إليها.

والنفس لا تترك محبوباً إلا لمحبوب هو أحب إليها منه أو للخوف من مكروه هو أشق عليها من فوات ذلك المحبوب.

قال تعالى في النفس:" يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى في عبادى وادخلى جنتى"[٢١٦]، وقال تعالى:" ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم"[٢١٧].

قيل مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها ؟ قيل وما أطيب ما فيها ؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره.

ومحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزمه وإرادته هو جنة الدنيا والنعيم الذى لا يشبهه نعيم وهو قرة عين المحبين ، وحياة العارفيين وتقر عيون الناس بهم على حسب قرة أعينهم بالله تعالى، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين[٢١٨].

عن معاذ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان ، قال:" أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض في الله وتعمل لسانك في ذكر الله ، قال وماذا يا

---

215 صحيح البخارى، ج٨، ص ١٣، ٢٠-٢١، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج٢، ص ٤١-٤٥، وسنن الترمذى ، ج٥، ص ١٥

216 سورة الفجر ، آية ٢٧-٣٠

217 سورة النحل ، آية ١١٠

218 مجموعة الحديث النجدية ، ص ٧٢٨

رسول الله ، قال:" أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وأن تقول خيراً أو تصمت"[٢١٩].

المحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذى يكمل بحصوله له، فتحرك محب الرحمن ، ومحب القرآن ، ومحب العلم والإيمان ، ومحب المتاع، ومحب الأوثان ، والنسوان والأوطان والإخوان.

فتثير القلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء ، فمحب النسوان والشيطان بالأصوات والألحان لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان ولا عند قراءة القرآن، ولكن إذا ذكر محبوبه اهتز له ظاهره وباطنه شوقاً وطرباً لذكره.

فكل هذه المحبوبات باطلة سوى محبة الله تعالى وما والاها من محبة رسوله وكتابه ودينه وأوليائه ، فهذه المحبة تدوم ثمرتها ونعيمها بدوام تعلقك بها . واذا انقطعت علائق المحبين وأسباب توادهم وتحابهم لم تنقطع أسبابها ، قال تعالى:" اذا تبرأ الذين اتبعوا ورأو العذاب وانقطعت بهم الأسباب"[٢٢٠].

والمحبة المحمودة التي أمر الله تعالى بها وخلق خلقه لأجلها هي محبته وعبادته وحده دون شريك.

فالعبادة تشمل غاية الحب بغاية الذل ، ولا يصلح ذلك إلا لله تعالى وحده.

ويذكر فيها حق الله تعالى ما يختص به ويليق به كالعبادة والإنابة ولهذا لا يذكر فيها لفظ العشق والغرام والصبابة والهوى بل يذكر لها لفظ المحبة.

قال تعالى:" يحبهم ويحبونه"[٢٢١]، قال تعالى :" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله"[٢٢٢]، قال تعالى:" والذين آمنوا أشد حباً لله"[٢٢٣].

---

219 مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة، ج٣٦، ص ٤٤٦

220 سورة البقرة ، آية ١٦٦

221 سورة المائدة ، آية ٥٤

222 سورة آل عمران ،آية ٣١

223 سورة البقرة ، آية ١٦٥

وقد وضح الله تعالى في القرآن الكريم محبته ولوازمها والنهى عن محبة ما يضادها، وضرب الأمثال لأهل المحبتين وذكر قصصهم ومصيرهم ومنازلهم وثوابهم وعواقبهم ولا يذوق حلاوة الايمان إلا من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما[٢٢٤]، قال صلى الله عليه وسلم:" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى منه ، كما يكره أن يلقى في النار"[٢٢٥].

أقسام المحبة

تنقسم المحبة إلى قسمين نافعة وضارة أو محمودة ومذمومة باعتبار متعلقها ومحبوبها ومرادها

١-المحبة النافعة:- وهى إذا كان المحبوب يراد لذته هو ، وهو المحبوب الأعلى الذى لاصلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم إلا أن يكون هو وحده محبوبه ومراده وغاية مطلوبه، وهذا لا يكون إلا لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كانت محبته نافعة له. أي أن المحبة النافعة تجلب لصاحبها السعادة في الدارين.

وتنقسم المحبة النافعة إلى ثلاثة أنواع:-

أ- محبة الله تعالى

ب- محبة في الله تعالى

ت- محبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته

فمحبة الله تعالى أصل المحاب النافعة المحمودة وأصل الإيمان والتوحيد والنوعان الآخران تبع لها[٢٢٦].

224 إغاثة اللهفان، ج٢، ص١٠٦-١٠٨

225 صحيح مسلم بشرح النووي، ج٢، ص١٣، وصحيح البخارى ج١، ص٩-١٠، ج٧، ص ٨٣، ج٨، ص٥٦، ومسند أحمد ج٣، ص ١٠٣، ١١٤، وسنن الترمذى ،ج٥ ، ص ١٥

226 ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١١٣

ومن المحبة النافعة محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل، فإنها معينة على ما شرع الله تعالى له من النكاح وملك اليمين ، من اعفاف الرجل نفسه وأهله فلا تميل نفسه إلى سواها من الحرام ويعفها فلا تميل نفسها إلى غيره.

قال تعالى:" هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها"[٢٢٧]، وقال تعالى:" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة"[٢٢٨]

وأنه سئل صلى الله عليه وسلم :" من أحب الناس إليك؟ فقال: عائشة"[٢٢٩]، وقال صلى الله عليه وسلم:" حبب إلى من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عينى في الصلاة"[٢٣٠]، فلا غبار على الرجل في محبته لأهله إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له من محبة لله تعالى ورسوله ، فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله بحيث تضعفها وتنقصها فهى مذمومة، وإن أعانت على محبة الله ورسوله فهى محمودة.

٢- المحبة الضارة:- وهى إذا كان محبوبه ونهاية مطلوبه غيره كانت محبته ضارة له وعذاباً وشقاء، أي أن المحبة الضارة تجلب لصاحبها ما يضره من الشقاء والألم في الحياة الدنيا والآخرة.

وتنقسم المحبة الضارة إلى ثلاثة أنواع:-

أ- المحبة مع الله تعالى

ب- محبة ما يبغضه الله تعالى

ت- محبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها

والمحبة مع الله تعالى أصل الشرك ، والنوعان الآخران تبع لها.

227 سورة الآعراف ، آية ٨٩

228 سورة الروم ، آية ٢١

229 مسند أحمد ، ج٤، ص٢٠٣

230 مسند أحمد، ج٣، ص١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥

ومحبة الصور أو الأشخاص المحرمة وعشقها من موجبات الشرك وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصاً وأشد توحيداً كان أبعد من عشق الصور ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها، و نجا منه يوسف عليه السلام بإخلاصه.

قال تعالى :" كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين"[٢٣١].

حب المخادنة:-

من كيد الشيطان وسخريته بالمتيمين والمفتونين بالصور أنه يوحى لأحدهم أنه يحب ذلك الأمرد" الفتى الجميل"، أو تلك المرأة الأجنبية لله تعالى لا للفاحشة ويأمره بمواخاته وهذه مخادنة باطنة ، كذوات الأخدان ، قال تعالى:" محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخذان"[٢٣٢]، وقال تعالى في الرجال:" محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخذان"[٢٣٣]

فيظهرون للناس أن محبتهم تلك الصورة أو الشخص لله تعالى ويبطنون اتخاذها خدنا، يتلذذون بها فعلاً أو تقبيلاً أو تمتعاً بمجرد النظر والمخادنة والمعاشرة. ويعتقدون أن هذا لله تعالى وهو من أعظم الضلال، وتبديل الدين حيث جعلوا ما كرهه الله تعالى محبوباً له ، وهذا من نوع الشرك والمحبوب المتخذ من دون الله تعالى طاغوت[٢٣٤].

وقد يقترن بالفاحشة العشق الذى يشغل القلب بالمعشوق وتعظيمه والخضوع له، والذل له وتقديم طاعته وما يأمر به على طاعة الله تعالى ورسوله وأمره والعياذ بالله تعالى.

231 سورة يوسف ، آية ٢٤
232 سورة النساء ، آية ٢٥
233 سورة المائدة ، آية ٥
234 ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١١٣-١١٤

والمحبوبات لغير الله تعالى قد أثبت الشارع فيها اسم التعبد كقوله صلى الله عليه وسلم:" تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، إن أعطى رضى وإن منع سخط"[٢٣٥].

قال صلى الله عليه وسلم :" من أعطى لله تعالى ومنع لله تعالى وأحب لله تعالى وأبغض لله تعالى وأنكح لله تعالى فقد استكمل إيمانه" [٢٣٦]

عن حكيم ابن حزام قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ثم سألته فأعطانى ثم سألته فأعطانى ثم قال يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى" فقال حكيم فقلت يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ احداً بعدك شيئاً حتى فارق الدنيا ، فكان أبوبكر يدعو حكيماً إلى العطاء فيأبى أن يقبله ثم عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئاً فقال عمر إنى أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أنى أعرض عليه حقه من هذا الفئ فيأبى أن يأخذه فلم يزرأ حكيم أحداً من الناس شيئاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى"[٢٣٧]

فسمى هؤلاء الذين إن أعطوا رضوا وإن منعوا عبيداً لهذه الأشياء لانتهاء محبتهم ورضاهم ورغبتهم إليها.

ولهذا قسم الحب إلى درجات وهى:

١. العلاقة
٢. الصبابة
٣. الغرام
٤. العشق

---

235 صحيح البخارى ، ج٧، ص ١٧٥

236 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٤، ص٦٧٠، ومسند أحمد ، ج٣، ص٤٣٨، ٤٤٠

237 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ،ج٤، ص ٦٤١-٦٤٢

٥. التتيم وهو أعلى درجات الحب للمحبوب والتعبد للمعشوق فيصبح العاشق عبداً لمعشوقه[٢٣٨].

فأصحاب العشق الشيطانى كثيراً منهم عبداً لذلك المعشوق متيماً فيه يصرخ في حضوره ومغيبه أنه عبده فهو أعظم ذكراً له من ربه وحبه في قلبه أعظم من حب الله فيه.

فلو خير بين رضاه ورضا الله تعالى لاختار رضا معشوقه على رضا ربه ولقاء معشوقه أحب إليه من لقاء ربه وتمنيه لقربه أعظم من تمنيه لقرب ربه، وهربه من سخطه أشد من هربه من سخط ربه، فإن بقى من وقته قليلاً وكان عنده قليل من الايمان صرف تلك القليل في طاعة ربه ، وان استغرق الزمان حوائج معشوقه ومصالحه قضى زمانه كله فيها ، وأهمل أمر الله تعالى فلمعشوقه لبه وقلبه وهمه ووقته وخالص ماله وربه على الفضلة لذكره نسياً، إن قام للصلاة فلسانه يناجيه وقلبه يناجى معشوقه ووجه جسمه إلى القبلة ووجه قلبه إلى المعشوق ينفر من عبادة ربه كأنه واقف في الصلاة على الجمر من ثقلها عليه فإذا جاءت خدمة المعشوق أقبل عليها بقلبه وبدنه فرحاً بها خفيفة على قلبه لا يستثقلها ولا يستطيلها.

إن هؤولاء من الذين اتخذوا من دون الله أنداداً.

وعشقهم يجمع المحرمات الأربع من الفواحش الظاهرة والباطنة، والإثم والبغى بغير الحق، وفى هذا العشق من الشرك الأكبر والأصغر وقتل النفوس تغايراً على المعشوق وأخذ أموال الناس بالباطل لينفقها في رضا المعشوق.

وهذا كله من خلو القلب من محبة الله تعالى وفيه محبة ما يحب لغير الله فيقع هذا في القلب وبالتالي يعمل بالجوارح وهذا من اتباع الهوى ، قال تعالى :" إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى"[٢٣٩].

238 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢،ص١٢١

239 سورة النجم ، آية ٢٣

ويصبح لمعشوقه سامعاً مطيعاً ويبذل نفسه رخيصة في طاعة معشوقه.

ومحبة الله تعالى هي التي خلق لها العباد وبها سعادتهم وكمال نعيمهم في الدنيا والآخرة.

أما أهل المعاصى وإن كان بينهم مودة وتحاب فإنها تنقلب عداوة وبغضاء وفى الغالب يتعجل لهم في الدنيا قبل الآخرة، وفى الآخرة الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين[٢٤٠]

قال تعالى:" إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً"[٢٤١]

وقال تعالى :" الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين"[٢٤٢].

أقسام المحبوبات

تنقسم المحبوبات إلى أربعة أقسام:-

١. محبوب لنفسه وذاته ، ومستعان بنفسه وهوأعلى الأقسام وذلك لله وحده وكل ما سواه يحب تبعاً له.
٢. محبوب لغيره ومستعان به كا المحبوب الذى هو قادر على تحصيل غرض محبه.
٣. محبوب مستعان عليه بغيره.
٤. مستعان به غير محبوب في نفسه

يتضح من ذلك أن أحق هذه الأقسام الأربعة بالعبودية والاستعانة هو الله وحده دون شريك وأن محبة غيره واستعانته به إن لم تكن وسيلة إلى محبته واستعانته والتقرب لله تعالى، وإلا كانت مضرة على العبد ومفسدتها أكثر من مصلحتها[٢٤٣]

---

240 ابن القيم ، أغاثة اللهفان ، ج٢، ص١٢٢-١٢٥

241 سورة العنكبوت ، آية ٢٥

242 سورة الزخرف ، آية ٦٧

243 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج١، ص ٤٧، حققه وكتب هوامشة ،محمد الفقى ، منشورات / محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، بيروت ، لبنان ، ط٢

معرفة الله تعالى

قال تعالى:" ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[٢٤٤].

كما أنه ليس كمثله شيء فليس كمحبته محبة، والمحبة مع الخضوع هي العبودية التي خلق الخلق لأجلها، فإنها غاية الحب بغاية الذل، ولا يصلح ذلك إلا له عز وجل ، ولإشراك به في هذا هو الشرك الذى لا يغفره الله تعالى ولا يقبل لصاحبه عملاً[٢٤٥]

ومعرفة الله تعالى نوعان:

١. معرفة إقرار، وهى التي اشترك فيها الناس البر والفاجر والمطيع والعاصى قال تعالى:" إن إلهكم لواحد ، رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق"[٢٤٦]، وقال تعالى:" وإلهكم إله واحد لاإله إلا هو الرحمن الرحيم"[٢٤٧]، وقال تعالى:" ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها انتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر الا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون"[٢٤٨]، وقال تعالى:" هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب"[٢٤٩] ، وقال تعالى :" شهد الله أنه لا إله إلا هو"[٢٥٠]، وقال تعالى:" وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله وأتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إنما تعبدون من دون الله أوثناً وتخلقون إفكاً، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق وأعبدوه وأشكروا له إليه ترجعون"[٢٥١].

---

244 سورة الشورى ، آية ١١

245 ابن قيم الجوزية ، قوائد الفوائد، رتبه وعلق عليه/ على بن حسن بن عبد الحميد الحلبى، دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع ،م.ع.س، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٣٤

246 سورة الصافات آية ٤-٥

247 سورة البقرة ، آية ١٦٣

248 سورة يوسف ، آية ٤٠

249 سورة إبراهيم ، آية ٥٢

250 سورة آل عمران ، آية ١٨و

251 سورة العنكبوت آية ١٦-١٧

يذكر الله تعالى أنه أرسل إبراهيم عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده وأن يخلصوا له العبادة ، وامتثلوا ما أمركم به كى لا يغضب عليكم ويعذبكم، وذلك بترك ما يغضبه من المعاصى، أي أن عبادة الله وتقواه خيراً لكم، ولأن ترك عبادة الله وترك تقواه لاخير فيه لأنه لاسبيل لنيل كرامته في الدنيا والآخرة إلا بعبادة الله وتقواه وكل خير يوجد في الدنيا والآخرة فإنه من آثار عبادة الله وتقواه، فاعلموا هذه الأمور واعملوا ما هو أولى بالإيثار.

وعندما أمرهم بعبادة الله وتقواه نهاهم عن عبادة الأصنام ووضح لهم نقصها وعدم استحقاقها للعبودية ، وإن هذه الأصنام تنحتونها وتخلقونها بأيديكم وتخلقون لها أسماء الآلهة، وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بها وأن هذه الأوثان مخلوقة ناقصة لا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا تستحق أدنى ذرة من العبادة والتأله ، والقلوب لا بد أن تطلب معبوداً تألهة وتسأله حوائجها ، فإن الله تعالى وحده هو من يستحق العبادة لأنه هو الميسر المقدر المجيب لدعوة من دعاه في أمر دينه ودنياه فاعبدوه وحده لا شريك له لكونه الكامل النافع الضار، المنفرد بالتدبير وحده لأنه جميع ما وصل ويصل إلى الخلق من النعم فمنه وجميع ما اندفع ويندفع من النقم عنهم فهو تعالى الدافع لها . والله يجازيكم على ما عملتم وينبئكم بما أسررتم وأعلنتم ، فاحذروا القدوم عليه وأنتم على شرككم وارغبوا فيما يقربكم إليه ويثيبكم بأحسن ما عملتم[٢٥٢].

وقال تعالى:" ولا تدع مع الله إلهاً ءاخر لاإله إلاهو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون"[٢٥٣].

أخلص عبادتك لله وحده فلا أحد يستحق أن يؤله ويحب ويعبد إلا الله الكامل الباقى لأن كل شيء هالك مضمحل سواه ، فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها وفساد نهايتها في الدنيا والآخرة وإليه لا لغيره ترجعون، فإذا كان ما سوى الله

[252] عبدالرحمن بن ناصر السعدى، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مجلة البيان م.ع.س، ١٤١٦/٩/٢٧م، ص٧٣٧

[253] سورة القصص، آية ٨٨

باطلاً هالكاً والله هو الباقى الذى لا إله إلا هو وإليه الحكم في الدنيا والآخرة ، وإليه مرجع الخلائق كلهم يجازيهم بأعمالهم فيجب على من له عقل أن يعبد الله وحده لاشريك له ويعمل لما يقربه ويحذر من سخطه وعقابه[٢٥٤].

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال ، فقال :"إيمان بالله وجهاد في سبيل الله عزوجل ، وحج مبرور"[٢٥٥].

٢. معرفة توجب الحياء منه والمحبة له ، وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة له ، والأنس به والفرار من الخلق إليه [٢٥٦].

قال تعالى :" إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً"[٢٥٧].

قال صلى الله عليه وسلم :" الحياء والعى شعبتنان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق"[٢٥٨]

العى: قلة الكلام البذاء: هو الفحش في الكلام ، البيان: كثرة الكلام مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسعون في الكلام ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضى الله[٢٥٩].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" استحيوا من الله عزوجل حق الحياء قال: قلنا يا رسول الله انا نستحى والحمدلله ، قال:" ليس ذلك ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى ولحيفظ البطن وما وعى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء"[٢٦٠]" قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟ ، قال:" احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما

254 عبد الرحمن بن ناصر السعدى، تيسير الكريم الرحمن ، ص ٧٣٤
255 مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٤، ص٤٥
256 ابن قيم الجوزية ، فوائد الفوائد ، ص٤٠
257 سورة الكهف ، آية ١١٠
258 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٤، ص٣٧٥
259 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٤، ص ٣٧٥-٣٧٦
260 مسند أحمد ، ج١، ص٣٨٧

ملكت يمينك ، فقال : الرجل يكون مع الرجل؟ قال: إن استطعت الا يراها أحد فأفعل قلت: والرجل يكون خالياً ، قال: فالله أحق أن يستحيا منه"[٢٦١]. قال تعالى :" والذين هم لفروجهم حفظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمنهم فإنهم غير ملومين"[٢٦٢].

قال تعالى:" إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله"[٢٦٣]، وقال تعالى:" يحبهم ويحبونه"[٢٦٤]

قال صلى الله عليه وسلم:" اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذى يبلغنى حبك ، اللهم اجعل حبك احب إلى من نفسى وأهلى ومن الماء البارد"[٢٦٥]

وقال صلى الله عليه وسلم:" اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه عندك"[٢٦٦]

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسى عن الله تعالى:" إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقائه وإذا كره لقائى كرهت لقائه"[٢٦٧].

" إذا أحب عبدى لقائى" بأن عمل عمل المحبوب لمحبوبه عند لقائه وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهى أحببت لقائه أي هيئت له الاكرام العظيم كما يهيئ المحب لمحبوبه الشئ العظيم إذا جاءه " قوله كره لقائى" أي بأن عمل عمل من يكره لقاء شخص وذلك بارتكاب المعاصى، وقوله " كرهت لقائه" أي عاملته معاملة من يكره لقاء شخص فإنه إذا لقيه أوصل إليه ما يكره وذلك بأن يعذبه بما شاء إلا إن عفا عنه سبحانه وتعالى.

وقال المناوى في شرحه الكبير على الجامع الصغير" أحببت لقائه" أي أردت له الخير ومن أحب لقاء الله أحب التخلص من الدار ذات الشوائب.

---

261 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص ٩٧، ٩٨، ١١٠

262 سورة المؤمنون ، آية ٥-٦

263 سورة آل عمران، آية ٣١

264 سورة المائدة آية ٥٤

265 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص٥٢٢-٥٢٣

266 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى، ج٥،ص ٥٢٣

267 صحيح البخارى، ج٨، ص ١٩٩، ج٧، ص١٩١، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٧، ٩-١١

"وإذا كره لقائى كرهت لقائه" قال الزمخشرى مثل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي به فأما أن يلقاه ببشر وترحاب لما رضى من أفعاله أو بضد ذلك لما سخط منها.

وقال شهاب الدين السهروردى في كتابه عوارف المعارف:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو" اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسي وسمعي وبصري وأهلى ومالى ومن الماء البارد"[٢٦٨].

فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب وخالص الحب أن يحب الله تعالى بكليته وذلك أن العبد قد يكون في حال قائماً بشروط حاله بحكم العلم والجبلة تتقاضاه بضد العلم مثل أن يكون راضياً والجبلة قد تكره ويكون النظر إلى الإنقياد بالعلم لا إلى الاستعماء بالجبلة فقد يحب الله تعالى ورسوله بحكم الايمان ويحب الأهل والولد بحكم الطبع وبواعث المحبة في الإنسان متنوعة فمنها محبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول الاهل والماء البارد معناه استئصال عروق المحبة بمحبة الله تعالى حتى يكون حب الله تعالى غالباً فيحب الله تعالى بقلبه وروحه وكليته حتى يكون حب الله تعالى أغلب في الطبع والجلبة[٢٦٩].

أسباب محبة الله تعالى

قال العز ابن عبد السلام في كتابه قواعد الاحكام محبه الله تعالى لها سببان وهى:-

١. معرفة إحسانه وإنعامه وعنها تنشأ محبة الانعام والافضال لأن القلوب مجبولة على حب من أنعم عليها وأحسن إليها فما بالك بمحبة من الأنعام كله منه والإحسان

[268] الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص٥٢٢-٥٢٣

[269] رشيد الراشد التاذفى ، الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم ،ص ٢٣-٣١

كله صادر عنه سبحانه وتعالى ، قال تعالى :"وءاتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار"[٢٧٠].

في هذه الآية أن النعمة الواحدة لو امضينا الحياة كلها في تعداد خيراتها وبركاتها لا نحصى هذه الخيرات ، فإذا كنا عاجزين عن إحصاء خيرات نعمة واحدة فأولى أن نكون عجزنا أن نشكر هذه النعمة أو تلك النعم ، والإنسان عندما يكفر هذه النعمة لا يظلم ربه بل يظلم نفسه[٢٧١]

يقول الله تعالى في الآية السابقة إن الإنسان الذى بدل نعمة الله كفراً بدلاً من شكره تعالى فإنه بدل من أنعم عليه هذه النعم ووضعه في غير مكانه ، فإنه كافر جحود لنعمة الله بصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه[٢٧٢].

قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى آية قال :" يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكى شيئاً، يا عبادى لوأنكم وأخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر، يا عبادى إنما هي اعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"[٢٧٣]

قال تعالى :" ولقد ءاتينا لقمن الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد"[٢٧٤].

قال تعالى:"وأورثكم أرضهم وديراهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً"[٢٧٥]

---

270 سورة إبراهيم ،آية ٣٤

271 موسوعة النابلسى للعلوم الإنسانية www.nabululsi.com

272 مختصر تفسير الطبرى بهامش القرآن الكريم ،ط٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٢٦٠

273 صحيح مسلم بشرح النووي ،ج١٦، ص ١٣٢-١٣٣

274 سورة لقمان آية ١٢

في الآية السابقة إن الله تعالى ملككم بعد مهلكهم أرضهم أي مزارعهم ومغارسهم وديارهم ومساكنهم وأموالهم أي سائر الأموال غير الأرض والدور، أي أن الله عزوجل أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بنى قريضة وديارهم وأموالهم وهى أرض لم يطئوها يومئذ[٢٧٦]

ونزلت هذه الآية في يهود بنى قريظة وقد كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد، وعندما الأحزاب كفار قريش ومن معهم من مشركى العرب وحاصروا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة وأرادوا أن يقتحموا المدينة نقض يهود بنى قريظة العهد الذى بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وخانوا العهد وظاهروا الأحزاب، فلما هزم الله الأحزاب ورجعوا خائبين خاسرين غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة وحاصرهم حتى استسلموا وقتل مقاتليهم وغنم النبى صلى الله عليه وسلم أرضهم وديارهم وأموالهم وأورثهم الله تعالى أرضاً أخرى للمسلمين قيل هي مكة وقيل خيبر وقيل هي أرض فارس والروم. وقد أورث الله سبحانه وتعالى المسلمين كل تلك الأراضى ، وصارت دار اسلام بعد أن كانت دار كفر وشرك ، ففتحوا مكة ثم خيبر وبلاد فارس وكثير من بلاد الروم[٢٧٧].

وقال تعالى:" وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العملين"[٢٧٨].

في الآية السابقة يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر، والعطاء العظيم، والنعيم المقيم ، والملك الكبير، يقولون عند ذلك الحمد لله الذى صدقنا وعده الذى كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا[٢٧٩].

275 سورة الأحزاب ، آية ٢٧
276 القرآن الكريم ، تفسير quran.ksu.edu.sa
277 إسلام ويب fatwa.islamweb.net
278 سورة الزمر ، آية ٧٤
279 القرآن الكريم ، تفسير quran.ksu.edu.sa

٢. معرفة جماله وعنها تنشأ محبة الجلالة وينبغى أن يكون كل واحد من المحبين أفضل من كل محبة إذا لاأفضال كأفضاله ولا جمال كجماله ثم المحبة الناشئة عن معرفة الجمال أفضل من المحبة الناشئة عن معرفة الأنعام والافضال لأن محبة الجمال نشأت عن جمال الاله ومحبة الانعام والافضال نشأت عما صدر منه من انعامه وإفضاله، عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل:" المتحابون في جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء"[٢٨٠].

ومن صدق المحبة وخالصها الانقطاع إلى الحبيب مع وجود الانس به قال تعالى:" يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة واصيلاً"[٢٨١].

وللمحب مخاوف ليست بشئ من أهل المقامات بعضها أشد من بعض أولها خوف الإعراض وأشد منه خوف الحجاب وأعظم من هذا خوف البعد وهذا المعنى في سورة هود الذى شيب الحبيب إذا سمع المحبوب يقول ، قال تعالى:" ألا بعداً لعاد قوم هود"[٢٨٢].

وقال تعالى:" ألا بعداً لثمود"[٢٨٣]، وقال تعالى :" ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود"[٢٨٤]، فذكر البعد بشيب أهل القرب في القرب ثم خوف السلب للمريد.

وقال بعض العلماء من عرف الله من طريق المحبة بغير خوف هلك بالبسط والاذلال، ومن عرفه من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عرف الله من طريق المحبة والخوف أحبه الله فقربه وعلمه ومكنه.

والحب في الله يوجب المحبة من الله تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى:" وجبت محبتى للمتحابين في "[٢٨٥].

280 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٤، ص٥٩٨

281 سورة الآحزاب آية ٤١-٤٢

282 سورة هود ،آية ٦٠

283 سورة هود ،آية ٦٨

284 سورة هود ، آية ٩٥

285 مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٣٦، ص ٣٥٩-٣٦٠، ٣٨٤

وهى أربع مراتب:

أ- الحب لله ، فالحب لله ابتداء وهو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه، وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور.

ب- الحب في الله أن تحب فيه من والاه، وعلامة الحب في الله أن تحب من لم يحسن إليك بدنياه من أهل الخير والطاعة لله.

قال صلى الله عليه وسلم:" لا يحق العبد حق صريح الايمان حتى يحب لله تعالى ويبغض لله ، فإذا أحب لله تبارك وتعالى وأبغض لله تبارك وتعالى فقد استحق الولاء من الله وان أوليائى من عبادى وأحبابى من خلقى الذين يذكرون بذكرى واذكر بذكرهم"[٢٨٦]

أ- الحب بالله وهو أن يحب العبد من أحبه وما أحبه مقتطعاً عن نفسه وهواه. وعلامة الحب بالله أن يكون باعث الحظ مقهوراً بنور الله .

ب- الحب من الله ، الحب من الله انتهاء ، وهو أن يأخذك من كل شيء ولا تحب إلا إياه، وعلامة الحب من الله أن يجذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستوراً[٢٨٧].

قال صلى الله عليه وسلم :" سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ بعبادة الله ورجل كان قلبه معلقاً بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وتفرقا، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"[٢٨٨]

وقال صلى الله عليه وسلم :" إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم في ظلى يوم لا ظل إلا ظلى"[٢٨٩]

---

[286] مسند أحمد ، ج٣، ص٤٣٠

[287] رشيد راشد الثاذفى ، الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم ، ص ٣٢-٦٥

[288] الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى، د٤، ص٥٩٨

[289] صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٦، ص ١٢٣

واضيف إلى ما سبق ما يلى:-

٣. لأنه سبحانه وتعالى خالق البشر وكل المخلوقات والسموات والأرض وما بينهما، قال تعالى:" وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون"[٢٩٠]، وقال تعالى:" قل أغير الله أبغى رباً وهو رب كل شيء"[٢٩١]، وقال تعالى:" هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون"[٢٩٢].

٤. إليه المصير عزوجل يحاسب الناس على أعمالهم في الدنيا ويعفو عمن يشاء.

قال تعالى:" إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين ءامنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون"[٢٩٣]

في الآية السابقة يخبر عزوجل أن اليه مرجع الخلائق يوم القيامة لايترك منهم أحد حتى يعيده كما بدأه ليجزى الذين ءامنوا بالعدل الذى لاجور فيه والجزاء الأوفى ، والذين كفروا يعذبون يوم القيامة بأنواع العذاب من سموم وحميم وظل من يحموم بسبب كفرهم ووضح الله تعالى ما يكون من أمر الناس بعد الحياة الدنيا، وفى هذا من التهديد والتخويف بالرجوع إليه سبحانه إما بالموت أو بالبعث أو بكل واحد منهما ، ثم أكد ذلك الوعد بقوله حقاً فهو تأكيد التأكيد فيكون في الكلام من الوكادة ما هو الغاية في ذلك ، وأنه تعالى يبدئ خلقه من التراب ثم يعيده إلى التراب أو معنى الإعادة الجزاء يوم القيامة[٢٩٤].

290 سورة الذاريات ،آية ٥٦
291 سورة الآنعام ، آية ١٦٤
292 سورة غافر ، آية ٦٧
293 سورة يونس آية ٤
294 تفسير الطبرى، al-awail.com/au

قال أبو العباس التيجانى محبة الخلق لله تعالى على أربعة أقسام.

١. محبتهم للثواب
٢. محبتهم لآلائه ونعمائه
٣. محبتهم لما هو عليه من الكمال والجمال
٤. محبتهم للذات العلية

والمحبة الأولى والثانية لعامة المؤمنين منها حظ ونصيب وقد تزولان هاتان المحبتان بزوال سببهما والدليل على المحبة الأولى والثانية قوله صلى الله عليه وسلم:" أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبونى لحبى لله وأحبوا أهل بيتى لحبى"[٢٩٥]

- أما القسم الثالث سببها ثابت وهو ماعليه ربنا من أوصاف الكمال والعظمة والجمال وهذه لصغار الأولياء ولكن لا تلحق المرتبة الرابعة.
- والمرتبة الرابعة مجردة عن الأسباب والعلل والأوصاف وهذه لا تكون إلا لمن فتح عليه ورفع عنه الحجاب وشاهد أسرار الأسماء والصفات والمذاهب والحقائق والكمالات.
- وقال ابن الفارض في بيان التدريج في هذه المراتب السابقة أن صاحب محبة الثواب إذا دام التوجه بها إلى الله تعالى ولازم قلبه ذلك انتقل منها إلى محبة الآلآء والنعماء لأنها أعلى منها وصاحب محبة الآلآء والنعماء إذا دام التعلق بها والتوجه إلى الله بالقلب على طريقها انتهت به إلى محبة الصفات فانتقل إليها حينئذ وهى أعلى منها، وصاحب محبة الصفات إذا دام التوجه بها إلى الله تعالى واستقام سيره وسلوكه انتقل منها إلى محبة الذات وهى الغاية القصوى، ومحبة الله تعالى للعبد هو إفاضة محبة ذاته المقدسة عليه فهى غاية الغايات وإليها ينتهى سير كل سائر، من وصلها كملت له مطالب الدنيا والآخرة. قال تعالى:" يحبهم ويحبونه"[٢٩٦]، فلولا محبته تعالى لهم ما وصلوا إلى محبة ذاته[٢٩٧].

295 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ،ج٥، ص ٦٦٤
296 سورة المائدة آية ٥٤
297 رشيد الراشد الثاذقى، الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم ، ص٢٣-٦٦

ومحبة الله تعالى على قسمين هما:-

١. فرض وهو المحبة التي تنبعث على امتثال الأوامر والبعد عن المعاصى والرضا بما يقدره الله تعالى ، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية.

٢. الندب وهو أن يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات والمتصف بذلك في جميع الأوقات والأحوال نادر، قال صلى الله عليه وسلم عن ربه في الحديث القدسى:" من عاد لى ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب لى عبدى بشئ أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مسآته[٢٩٨].

- وعندما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الله تعالى لعبده في حوائجه ومطالبه، فقال:" ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه أي كما وافقنى في مرادى بالعمل بأوامرى والتقرب إلى بمحابى فأنا أوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألنى أن أفعله به وفيما يستعيذ بى أن يناله
- وقال أمين الكردى في كتابه تنوير القلوب: أجمعت الأمة على أن حب الله تعالى ورسوله فرض عين على كل فرد، قال تعالى:" والذين ءامنوا أشد حباً لله"[٢٩٩].

وقال تعالى:" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله"[٣٠٠]

---

298 صحيح البخارى ، ج٧، ص١٩٠

299 سورة البقرة ،آية ١٦٥

300 سورة آل عمران ،آية ٣١

• ولا تحصل حقيقة المحبة من العبد لربه إلا بعد سلامة القلب كدورات النفس، فإذا استقرت محبة الله في القلب خرجت محبة الغير، لأن المحبة صفة محرقة تحرق كل شيء ليس من جنسها وعلامات المحبة قطع شهوات الدنيا[٣٠١].

ويرى الحارث المحاسبى في كتابه رسالة المسترشدين أن المحبة في ثلاثة أشياء ولا يسمى محباً لله تعالى إلا بها:-

١. محبة المؤمنين في الله تعالى وعلامة ذلك كف الأذى عنهم وجلب النفع إليهم.

٢. محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلامتها اتباع سنته، قال تعالى:" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"[٣٠٢].

٣. محبة الله ومحبة الله تكون بطاعته وعدم مخالفته وعلامة الحب لله إذا نزل به بلاء أو محنة لا يتغير ولا يضطرب فإن كان كذلك عند نزول المحنة فهو محب لله تعالى وإلا فهو كذاب وإيثار الطاعة على المعصية. وذكر النعمة يورث المحبة وللمحبة أول وآخر، فأولها محبة الله تعالى بالأيادى والمنن وآخرها المحبة لوجوب حق الله تعالى[٣٠٣]

أقسام المحبة في الله تعالى.

المحبة في الله عزوجل ثلاثة أقسام:-

١. محبة الله تعالى

٢. المحبة له وفيه وهى من تمام محبته وموجباتها، فإن محبة الحبيب تقتضى محبة ما يحب ومحبة ما يعين على حبه ويوصل إلى رضاه وقربه

301 رشيد الراشد التاذقى، الدر المنظم ، مرجع سابق ، ص ٦٩-٧٢

302 سورة آل عمران ،آية ٣١

303 رشيد الراشد الثاذقى، الدر المنظم ، مرجع سابق ، ص ٩١-٩٥

٣. المحبة معه: وهى المحبة الشركية كمحبة أهل الأنداد لأندادهم ، قال تعالى:" ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله"[٣٠٤]

وأصل الشرك الذى لا يغفره الله تعالى هو الشرك في هذه المحبة[٣٠٥]

حق العبودية ومراتبها

قال صلى الله عليه وسلم :" يا معاذ، أتدرى ما حق الله على العباد؟ فقال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، قال: أتدرى ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟ ، قال: الله ورسوله أعلم ، قال: ألا يعذبهم"[٣٠٦]

حق الله تعالى على عبده أمور كثير منها حق العبودية لله تعالى وهى **ثلاثة:-**

١. أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه

- عبوديته في الأمر ويكون امتثاله إخلاصاً واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفى النهى اجتنابه خوفاً منه وإجلالاً ومحبة.

٢. قضاء يقضيه عليه، والقضاء نوعان : أما مصائب وإما معايب

- وعبوديته تعالى في قضاء المصائب الصبر عليها ثم الرضا بها وهو أعلى من الصبر، ثم الشكر وهو أعلى من الرضا، ويكون هذا إذا تمكن حب الله تعالى في قلبه وعلم حسن اختياره له واحسانه إليه بالمصيبة وإن كره المصيبة.

قال صلى الله عليه وسلم:" أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى

---

304 سورة البقرة، آية ١٦٥

305 ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ، ص ٢٨٥

306 صحيح مسلم بشرح النووي، ج١،ص٢٣١-٢٣٣، وصحيح البخارى ، ج٨، ص١٦٤وج٧، ص ٦٨،١٩٠، وج٣، ص ٢١٦، ٢٦١، والجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص٢٧ ، ومسند أحمد ، الموسوعة الحديثةج٣٦، ص ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٦٦، ٣٦٧

على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة[٣٠٧].

قال تعالى:" وإذا جاءك الذين يؤمنون بأياتنا فقل سلم عليكم كتب ربكم ربكم على نفسة الرحمة أنه من عمل منكم سوء بجهلة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم"[٣٠٨]

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسى عن الله تعالى:" سبقت رحمتى غضبى"[٣٠٩]

قال تعالى:" ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا"[٣١٠]

● وعبوديته تعالى في قضاء المعايب: المبادرة إلى التوبة منها والوقوف في مكان الانكسار والاعتذار لله تعالى عالماً بأنه لايرفعها عنه إلا هو تعالى ولا يقيه شرها سواه تعالى ، وأنها إذا استمرت أبعدته من رحمة الله تعالى ، وأنه لا سبيل إلى الإقلاع والتوبة إلا بتوفيقه وإعانته تعالى ، وأن ذلك بيده سبحانه لا بيد العبد، قال تعالى:" إن ربك للذين عملوا السوء بجهلة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم"[٣١١]

٣. عبودية النعم، معرفتها والاعتراف بها وأن الخير كله لله وفى يديه وبه ومنه فهو ولى نعمته، ومبتدئه بها من غير استحقاق ومجريها عليه مع تمقته إليه باعراضه وغفلته ومعصيته. ثم العياذ به أن يقع في قلبه نسبتها إلى سواه تعالى وإن كان سبباً من الأسباب فهو مسببه ، فالنعمة منه وحده بكل وجه ثم الثناء بها عليه ، ومحبته عليها وشكره بأن يستعملها في طاعته ، وأن يستكثر قليلها عليه ويعلم أنها وصلت إليه من الله تعالى من غير ثمن بذله فيها ، ولا استحقاق منه لها ، وأنها لله لا للعبد

307 مسند أحمد ، ج١، ص١٨٥، والجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ،ج٤، ص ٦٠٢

308 سورة الأنعام ، آية ٥٤

309 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٧، ص٦٨

310 سورة الفرقان ، آية ٧١

311 سورة النحل ، آية ١١٩

فلا تزيده النعم إلا ذلاً وتواضعاً ومحبة للمنعم وكلما جدد له نعمة أحدث لها عبودية ومحبة وخصوعاً وكلما أحدث له قبضا أحدث له رضى ، وكلما أحدث ذنباً أحدث له توبة وانكساراً واعتذاراً، قال صلى الله عليه وسلم :" والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"[٣١٢]، وقال تعالى :" إلا من تاب واءمن وعمل عملاً صالحاً فأولائك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً"[٣١٣]، وقال تعالى:" إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد"[٣١٤]

فأحب الخلق إليه تعالى من عرف عبوديته في هذه المراتب ووفاها حقها ، فهذا أقرب الخلق إليه ، وأبعدهم منه من جهل عبوديته في هذه المراتب[٣١٥]

كراهية العبد ومحبته

أ- قال تعالى:" كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون"[٣١٦]

فهذه الآية في الجهاد الذى هو كمال القوة الغضبية ، فالعبد يكره مواجهة عجوه بقوته الغضبية خشية على نفسه منه ، وهذا المكروه خير له في معاشه ومعاده ويحب الموادعة والمتاركة.

وفى هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للإنسان منها:-

١. امتثال أمر الله تعالى .

يعلم الإنسان أنه لا نفع إلا امتثال أمر الله تعالى لأن عواقبه خيرات ومسرات، وإن كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع. ولا شيء أضر عليه من ارتكاب النهى ، وإن هويته نفسه فإن عواقبه آلام وأحزان وشرور ومصائب.

---

312 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٧، ص ٦٥

313 سورة الفرقان ، آية ٧٠

314 سورة فاطر ، آية ١٦

315 ابن قيم الجوزية ، فوائد الفوائد ، ص٤٦-٤٨، رتبه وعلق عليه / على بن حسن بن عبد الحميد الحلبى ، دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع ، م.ع.س، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

316 سورة البقرة، آية ٢١٦

٢. التفويض إلى الله تعالى.

ومن أسرار هذه الآية أنها تقتضى من العبد التفويض إلى الله تعالى لعلمه عواقب الأمور والرضا بما يختاره له ويقضيه له كما فيه من حسن العاقبة.

فلا يقترح العبد على ربه فلعل مضرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، وأن يرضيه بما يختاره فهو أنفع له ، لأنه إذا فوض إلى ربه ورضى بما يختاره له أمره فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر ، وآراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

٣. تفريغ القلب من الشواغل.

إن الله تعالى يريح الإنسان من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضى باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه لأنه مع اختياره لنفسه ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنفه في المقدور العطف عليه واللطف به فيصير بين عطفه ولطفة فعطفه يقيه يحذره ولطفه يهون عليه ما قدره[٣١٧].

ب- قال تعالى:" وإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً"[٣١٨]

وهذه الآية في النكاح الذى هو كمال القوة الشهوانية ، فالإنسان يكره المرأة لوصف من أوصافها ، وله في امساكها خير كثير لا يعرفه ويحب المرأة لوصف من أوصافها ، وله في امساكها شرُ كثير لا يعرفه.

فالإنسان كما وصفه الله تعالى " ظلوم جهول"[٣١٩]

317 ابن قيم الجوزية ، فوائد الفوائد ، ص ١٧٤-١٧٦

318 سورة النساء ، آية ١٩

319 سورة الأحزاب ، آية ٧٢

فيجب أن لا يجعل المعيار على ما يضره وينفعه ميله وحبه ونفرته وبغضه، بل المعيار ما اختاره الله له بأمره ونهيه فأنفع الأشياء له على الاطلاق طاعة ربه بظاهره وباطنه وأضر الأشياء عليه على الاطلاق معصيته بظاهره وباطنه فإذا اطاع الله مخلصاً له فكل ما يحدث له مما يكرهه يكون خيراً له ، وإذا تخلى عن طاعته وعبوديته فكل ما هو فيه من محبوب هو شرُ له.

فالمكروهات والمحن التي تصيب الإنسان فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب[٣٢٠].

الطريق إلى الله تعالى:-

الطريق إلى الله تعالى التزام أربعة أشياء هي :-

١. فراغ القلب عن الميل إلى ما سوى الله تعالى في الدنيا والآخرة.

٢. الإقبال على الله تعالى بالكلية بالقصد والمحبة المنزهة عن العلل من غير فتور ولا التفات ولا ملل ولا طلب عوض.

٣. دوام المخالفة للنفس في كل ما تطلبه من الأمور التي تتعلق بمصالحها الدنيوية وأعظم المخالفات للنفس ترك ما سوى الله تعالى نظراً واعتقاداً وعلماً.

٤. دوام ذكر الله تعالى بالنظر إلى جمال الله وجلاله سواء كان ذكر اللسان أو ذكر القلب أو ذكر الروح أو ذكر السر أو ذكر الجملة[٣٢١]

٥. اتباع أوامر الله والالتزام بها والعمل على دوامها والابتعاد عن كل ما نهى الله تعالى عنه.

٦. الدوام على أداء العبادات والطاعات على أكمل وجه.

قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى :" أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى في نفسه ذكرته في نفسى وإن ذكرنى في ملأ ذكرته في ملأ خير

320 ابن قيم الجوزية ، فوائد الفوائد ، ص ١٦٩-١٧٠

321 رشيد الراشد التاذفى ، الدر المنظم ، ص ١٣٥-١٣٦

منهم وإن اقترب إلى شبراً اقتربت منه ذراعاً وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة"[٣٢٢].

قال تعالى:" فأذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون"[٣٢٣]

وقال تعالى:" فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون"[٣٢٤]

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

وردت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم والسنة.

قال تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم ليخبرنا قوله تعالى:" قل إن كان ءاباؤكم وءابناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين"[٣٢٥].

وهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على الزام محبته صلى الله عليه وسلم ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم.

وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته ، وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ، وقال آخر ايثار المحبوب ، وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب، وقال بعضهم المحبة موافقة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره.

وغالبية الجمل السابقة تعبر عن ثمرة المحبة دون حقيقتها.

وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان ،وتكون موافقة له إما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة وغيرها.

322 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص ٥٨١، ومسند أحمد ، ج٣ ، ص ٤٠

323 سورة البقرة ،آية ١٥٢

324 سورة الصافات ،آية ١٤٤

325 سورة التوبة ، آية ٢٤

ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة يتنافس فيها المتنافسون فهى قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهى الحياة التي من حرمها فهو في جملة الأموات والنور الذى من فقده فهو في بحار الظلمات وهى روح الايمان والاعمال والأحوال.

وإذا كان الإنسان يحب من صنع له معروفاً في دنياه معروفاً فانياً يزول فما بالك بمن منحه عطايا لا تفنى ولا تزول ووقاه من العذاب الأليم فقد أعطانا الله تعالى الدنيا والاخرة واسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة، فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأكمل من محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس اجمعين[٣٢٦]

وفى الآية السابقة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله وتقديمها على محبة كل شيء مثل الأقارب والأهل والعشيرة وجميع أنواع التجارة والمكاسب من عروض التجارات من الأثمان والأوانى والأسلحة والأمتعة والحبوب والحروث والأنعام وغير ذلك.

وعلى الوعيد الشديد على من كان شيئ من المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك أنه إذا عرض عليه أمران ، أحدهما يحبه الله ورسوله وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يفوت عليه محبوبا لله ورسوله ، أو ينقصه فإنه إن قدم ما تهواه نفسه على ما يحبه الله دل ذلك على أنه ظالم تارك لما يجب عليه[٣٢٧].

عن عبدالله بن هشام قال:" كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال عمر والله يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا نفسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا والذى نفسي بيده حتى أكون أحب

326 رشيد الراشد التاذقى ، الدر المنظم ، مرجع سابق ، ص ٩٩-١٠٥

327 عبدالرحمن ناصر السعدى ، تيسير الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان ، مجلة البيان، م.ع.س، ١٤١٦هـ، ص ٣٧٨-٣٧٩

إليك من نفسك ، فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إلى من نفسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" الآن يا عمر"[٣٢٨].

محبة الله تعالى ورسوله متلازمتان، فمن أحب الله تعالى أحب رسوله ومن أحب رسوله فقد أحب الله تعالى.

قال تعالى:" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله"[٣٢٩]

نرى أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تالية لمحبة الله تعالى لأنه عليه السلام أكرم الخلق على الله تعالى.

لذلك لا يكون الإنسان مؤمناً حتى يحب الله تعالى ورسوله ويكون أحب إليه من كل شيء ن الأباء والأبناء والأخوة والعشيرة والأموال كما في الآية السابقة.

وقوله صلى الله عليه وسلم :"لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[٣٣٠] وفى هذا الحديث أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب للمؤمن من والده وولده وجميع الناس.

ويرى النووي أن المحبة ثلاثة أقسام:-

١. محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد

٢. محبة شفقة ورحمة كمحبة الولد

٣. محبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس ، فجمع صلى الله عليه وسلم أصناف المحبة في محبته.

ويقول سهل ابن عبدالله " علامة حب الله تعالى حب القرآن الكريم ، وعلامة حب القرآن الكريم حب النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلامة حب النبى صلى الله عليه وسلم حب السنة ، وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبى وحب السنة حب الآخرة،

328 مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٣٧، ص ١٨٠، ومسند أحمد ، ج٥، ص ٢٩٣، وصحيح البخارى ، ج٧، ص ٢١٨

329 سورة آل عمران ، آية ١٠٣

330 صحيح مسلم بشرح النووي،ج٢،ص١٥، وصحيح البخارى ،ج١،ص٩، ومسند أحمد ، ج٣، ص١٧٧، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨

وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه، وعلامة حب نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا الزاد والبلغة[٣٣١].

وقال صلى الله عليه وسلم:" من أشد أمتى لى حباً ناس يكونون بعدى يود أحدهم لو رأنى بأهله وماله"[٣٣٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم :" طوبى لمن رآنى وآمن بى ، وطوبى لمن آمن بى ولم يرآنى"[٣٣٣]

لماذا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم:-

إن دواعى محبتنا للرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة منها:-

١. إن الله تعالى وجب محبته وطاعته، وربطه بمحبته تعالى وطاعته ، قال تعالى:" لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا"[٣٣٤]، وقال تعالى:" ومن يطع الله ورسوله يدخله جنت تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذاباً أليماً"[٣٣٥] وقال تعالى:" واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم"[٣٣٦]، وقال تعالى:" واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين"[٣٣٧]، وقال تعالى:" ومن يطع الله ورسوله فأولئك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً"[٣٣٨]

٢. لأن الله تعالى أحبه واختاره من خلقه واصطفاه لرسالته وفضله على جميع خلقه

331 القرطبى ، ج٤، ص ٦٠
332 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٧، ص١٧٠
333 مسند أحمد ، ج٣، ص ١٥٥
334 سورة الفتح ،آية ٩
335 سورة الفتح ، آية ١٧
336 سورة الآنفال ، آية ٤٦
337 سورة المائدة ، آية ٩٢
338 سورة النساء ،آية ٦٩

قال صلى الله عليه وسلم:" إذا أحب الله عبداً نادى جبريل أن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ، فينادى جبريل في السماء أن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض"[٣٣٩]

٣. لرأفته ورحمته بأمته وحرصه على هداها وانقاذها من النار ، قال تعالى:" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"[٣٤٠]

قال صلى الله عليه وسلم:" شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى"[٣٤١]

٤. لأن دينه وشريعته وتعاليمه وتوجيهاته أحسن الشرائع وافضلها يعمل دائماً في التسهيل والتيسير على الأمة ، وأنه صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار ايسرهما ما لم يكن إثماً"، وقال صلى الله عليه وسلم :" يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"[٣٤٢]

وقال تعالى:" واطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين"[٣٤٣]

٥. عطفه وشفقته وصفحه:-

أنه صلى الله عليه وسلم ادخر دعوته إلى يوم القيامة لتكون شفاعته لأمته في أهم الأوقات وأحرجها، قال صلى الله عليه وسلم:" إن لكل نبى دعوة قد دعا بها في أمته وإنى قد اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة"[٣٤٤]، وقال صلى الله عليه وسلم:" لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لايشرك بالله شيئاً"[٣٤٥]

---

339 صحيح البخارى ،ج٧،ص٨٣، ج٨، ص ١٩٥، ومسند أحمد الموسوعة الحديثة ، ج٣٦، ص٦٠٤، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٦، ص١٨٤

340 سورة التوبة ،آية ١٢٨

341 مسند أحمد ، ج٣، ص ٢١٣

342 صحيح البخارى ، ج٥، ص١٠٨، وج٧، ص١٠١، ومسند أحمد ، ج٣، ص١٣١، ٢٠٩

343 سورة التغابن ،آية ١٢

344 مسند أحمد ، ج٣، ص٢١٩، ٢٧٦، والجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص٥٨٠

345 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص٥٨٠، وصحيح البخارى ، ج٨، ص١٩٢-١٩٣، ومسند أحمد ، ج٣، ص٢٨٦، ٢٩٢

قال صلى الله عليه وسلم :" إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يارب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة ، فيدخلون ثم أقول ادخل الجنة من كان في قلبه أدنى شي"[٣٤٦]

يقول الله تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم هو ساجد:" يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لاإله إلا الله "[٣٤٧]

قال صلى الله عليه وسلم :" لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ، قال واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال فقسمه قال فممرت برجلين واحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله والدار الأخرة فتثبت حتى سمعت ما قالا ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انك قلت لنا لا يبلغنى احد عن أحد من أصحابى شيئاً وانى مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا قال : فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ثم قال دعنا منك فقد أوذى موسى أكثر من ذلك ثم صبر"[٣٤٨]

قال صلى الله عليه وسلم :" إنى لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتى يوم القيامة ولا فخر وانى أتى باب الجنة فأخذ بحلقتها فيقولون من هذا فيقول أنا محمد فيفتحون لى فأدخل فإذا الجبار عزوجل مستقبلى فأسجد له فيقول : ارفع رأسك يا محمد وتكلم يسمع منك وقل يقبل منك واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى أمتى يارب فيقول اذهب إلى امتك فمن وجدت في قلبه مثقال حبة من شعير من الإيمان فادخلة الجنة فاقبل فمن وجدت في قلبه ذلك فادخلة الجنة فإذا الجبار عزوجل مستقبلى فاسجد له فيقول ارفع رأسك يا محمد وتكلم يسمع منك وقل يقبل منك واشفع تشفع فارفع رأسى فاقول امتى امتى اى رب فيقول اذهب إلى امتك فمن وجدت في قلبه نصف حبة من شعير من الإيمان فادخلهم الجنة فادخلهم الجنة فاذهب فمن وجدت في قلبه مثقال ذلك أدخلهم الجنة فإذا الجبار عزوجل مستقبلى فأسجد له فيقول ارفع رأسك يا محمد وتكلم يسمع منك

346 صحيح البخارى ، ج٨، ص ٢٠٠

347 صحيح البخارى ، ج٨، ص ٢٠٢

348 مسند أحمد ، ج١، ص٣٩٦، ٤١١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤١

وقل يقبل منك واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول امتى امتى فيقول اذهب إلى امتك فمن وجدت في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأدخله الجنة فاذهب فمن وجدت في قلبه ذلك ادخلتهم الجنة وفرغ الله من حساب الناس وادخل من بقى من امتى النار مع أهل النار فيقول أهل النار ماأغنى عنكم انكم كنتم تعبدون الله عزوجل لا تشركون به شيئاً فيقول الجبار عزوجل فبعزتى لأعتقنهم من النار فيرسل اليهم فيخرجون وقد امتحشوا فيدخلون في نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة في غثاء السيل ويكتب بين اعينهم هؤلاء عتقاء الله عزوجل فيذهب بهم فيدخلون الجنة فيقول لهم أهل الجنة هؤلاء الجهيمون فيقول الجبار بل هؤلاء عتقاء الجبار عزوجل"[٣٤٩]

قال صلى الله عليه وسلم :" إن الله زوى* لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن امتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها واعطيت الكنزين الأحمر والأصفروإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم** وإن ربى قال يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاَ"[٣٥٠]

وحين نصره الله تعالى على قريش ودخل مكة المكرمة فاتحاً فلم تأخذه زهوة النصر إلى الغرور والبطش بل قال لهم كلمته الخالدة:" يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم.

٦. لحسن عشرته وكمال أدبه وحسن خلقه.

فقد وصفه الله تعالى بأجمل وصف في قوله تعالى :" وإنك لعلى خلق عظيم"[٣٥١]

---

[349] مسند أحمد ، ج٣، ص ١٤٤

*زوى الأرض أي جمعها وقبضها

** يستبيح بيضتهم : أي مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم

[350] الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٤، ص ٤٧٢، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٨، ص١٣-١٤

[351] سورة القلم ، آية ٤

وعندما سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم قالت:" كان خلقه القرآن"[٣٥٢]، وكان صلى الله عليه وسلم يقول:" اللهم أحسنت خلقى فأحسن خُلقى"[٣٥٣]، وقال صلى الله عليه وسلم ليتعلم الناس:" إن من أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله"[٣٥٤]، عن أنس قال: خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقاً ولا مسست خزاً قط ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق النبى صلى الله عليه وسلم"[٣٥٥]

عن صفوان ابن امية قال: اعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلىٍ فما زال يعطينى حتى صار وأنه أحب الناس إلى "[٣٥٦]

٧. لوفائه وتمام وعده وحسن عهده[٣٥٧]

عن أنس قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتاه بهدية قال:" إذهبوا إلى بيت فلانة ، إنها كانت تأتينا أيام خديجة وكانت صديقة لها إنها كانت تحب خديجة "، وقالت عائشة رضى الله عنها:" ما غرت على أحد من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما بى أن أكون أدركتها وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان ليذبح الشاة فيتتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن"[٣٥٨]

٨. لأن دينه أكمل الأديان وأتمها ولن يقبل الله من الناس غير الإسلام ديناً ، قال تعالى:" ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين"[٣٥٩]

---

352 مسند أحمد ، ج٦، ص٢١٦

353 مسند أحمد ، ج١، ص ٤٠٣

354 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ،ج٥، ص٩

355 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٤، ص٣٦٨، ومسند أحمد ، ج٣، ص ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٥٥

356 مسند أحمد ، ج٣، ص ٤٠١

357 أحمد نصيب المحاميد ، الحب بين العبد والرب، ص ١٠٣-١٣٢

358 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٦، ص٢٠١، وصحيح البخارى ، ج٧، ص٧٦، ج٤، ص ٢٣٠-٢٣١، وسنن الترمذى ، ج٤، ص ٣٦٩

359 سورة آل عمران ، آية ٨٥

وقوله تعالى:" إن الدين عند الله الإسلام"[٣٦٠]، وقوله تعالى :" اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً"[٣٦١]

٩. إنه صلى الله عليه وسلم بعث لجميع الناس والإنس والجن

قال تعالى:" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً"[٣٦٢]، وقوله تعالى:" قل يأيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لاإله إلا هو يحي ويميت فأمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون"[٣٦٣]

قال صلى الله عليه وسلم :" والذى نفسى بيده لا يسمع بى احدُ من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار"[٣٦٤]

١٠. وقال صلى الله عليه وسلم :" أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض كلها مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"[٣٦٥]

إن الله تعالى اختص نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بخصائص كثيرة من الصعب حصره وعدها ، نذكر بعض منها وهى الخمس التي وردت في الحديث السابق:-

١. وهى أنه نصر بالرعب على عدوه مسيرة شهر، أي إذا كان بينه وبين عدوه مسيرة شهر يلقى الله الرعب في قلوب أعداء رسوله صلى الله عليه وسلم والفزع والخوف ، هابوه وفزعوا منه فلا يقدمون على لقاءه ، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر.

---

360 سورة آل عمران آية ١٩

361 سورة المائدة ، آية ٣

362 سورة سبأ، آية ٢٨

363 سورة الآعراف ، ١٥٨

364 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٢، ص ١٨٦

365 مسند أحمد ، ج١، ص ٩٨

٢. وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً فليصل بأى مكان في الأرض ، فأيما رجل أدركته الصلاة ولم يجد المسجد المخصص للصلاة ، أو وجد المسجد ولم يجد ما يتطهر به للصلاة أ و فقد كلاهما فليتيمم وليصل حيث أدركه وقت الصلاة.

٣. واحلت له عليه الصلاة والسلام المغانم ولم تحل لأحد من الأنبياء قبله وهى كذلك حلال لأمته من بعده، وهى من أشرف أنواع الكسب كما قال بعض العلماء والله أعلم

٤. وأعطى الشفاعة العظمى وهى المقام المحمود في إراحة الناس من هول الموقف الرهيب يوم القيامة.

٥. وبعث صلى الله عليه وسلم إلى الناس عامة أنسهم وجنهم عربهم وعجمهم ذكرهم وانثاهم، وكان الأنبياء قبله يبعث كل نبى إلى قومه خاصة[٣٦٦]، وقال تعالى:" إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب اليم"[٣٦٧]

وقال تعالى:" ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذير مبين"[٣٦٨] وقال تعالى:" وإلى عاد أخاهم هود قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"[٣٦٩]، وقال تعالى:" وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره"[٣٧٠]

وقال صلى الله عليه وسلم :" أعطيت ما لم يعطى أحد من الأنبياء فقلنا يا رسول الله ما هو قال: نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد وجعل التراب لى طهوراً وجعلت امتى خير الأمم"[٣٧١]

وقال صلى الله عليه وسلم:" فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون"[٣٧٢]

366 https:llwww.alimam.ws يوم الزيارة ، ١٩ شوال ١٤٣٨هـ/٢٠١٧/٧/١٣م

367 سورة نوح ، آية ١

368 سورة هود ، آية ٢٥

369 سورة هود ، آية ٥٠

370 سورة هود ، آية ٨٤

371 مسند أحمد ، ج١ ، ص ٩٨

372 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٥، ص ٥

وقال صلى الله عليه وسلم :" ما من الأنبياء من نبى إلا قد اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحى الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً"[٣٧٣]

يرى النووي في الحديث السابق أقوال أحدهما أن كل نبى أعطى من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء فأمن به البشر، وأما معجزة محمد صلى الله عليه وسلم العظيمة الظاهرة فهى القرآن الكريم الذى لم يعط أحد مثله ولهذا قال أنا أكثركم تابعاً لأن القرآن باقى وأتباعه إلى يوم القيامة.

الثانى: أن معجزات الأنبياء عليهم السلام انقرضت بانقراض عصورهم ولم يشاهدها إلا من حضرها وعاصرها ، ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المستمر إلى يوم القيامة مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات وعجز الإنس والجن على أن يأتو بسورة من مثله[٣٧٤]

وقال فخر الدين الرازى في تفسير سورة ألم نشرح [٣٧٥]عند قوله تعالى :" ورفعنا لك ذكرك"[٣٧٦]

أعلم أن في كل ما ذكروه من نبوته صلى الله عليه وسلم وشهرته في الأرض والسموات وأن اسمه مكتوب على العرش وأنه يذكر معه تعالى في الشهادة والتشهد وأنه تعالى ذكره في الكتب المتقدمة وانتشار ذكره في الآفاق وأنه ختمت به النبوة وأنه يذكر في الخطب والآذان ومفاتيح الرسائل وعند الختم وجعل ذكره صلى الله عليه وسلم في القرآن مقروناً بذكره ، لقوله تعالى :"ومن يطع الله ورسوله"[٣٧٧]، وقوله تعالى:" ومن يعص الله ورسوله"[٣٧٨]، وقوله تعالى:" يأيها الذين ءامنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول"[٣٧٩]، وقوله

373 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٢، ص ١٨٦

374 النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٢، ص ٣٦٤

375 رشيد الراشد التاذفى ، الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم ، مكتبة النجح، طرابلس، ليبيا، د.ت، ص ٦٧-٢٥٥

376 سورة الشرح ، آية ٤

377 سورة النساء ، آية ١٣

378 سورة النساء ،آية ١٤

379 سورة النساء، آية ٥٩

تعالى :" والله ورسوله أحق أن يرضوه"[٣٨٠]، وقوله تعالى:" من يطع الرسول فقد أطاع الله"[٣٨١]

وكما شرح الله صدره جعل شرعه فسيحاً واسعاً سهلاً لاحرج فيه ولا ضيق ولا يذكر الله إلا ذكر معه أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله ، فليس بخطيب ولا مستشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها[٣٨٢].

علامات محبته صلى الله عليه وسلم

لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم علامات منها [٣٨٣] :-

١. الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف مع ما وضحه لنا من شريعته ، قال تعالى :" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله"[٣٨٤]

جعل الله تعالى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم دليل محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على اتباع الرسول صلى الله علسه وسلم محبة الله تعالى للعبد، ويجب أن نتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً.

٢. أن ترضى بما شرعه صلى الله عليه وسلم حتى لا تجد في نفسك حرجاً مما قضى، قال الله تعالى:" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً"[٣٨٥].

---

380 سورة التوبة ،آية ٦٢

381 سورة النساء ، آية ٨٠

382 ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤، ص ٥٢٤-٥٢٦، ومختصر تفسير الطبرى بهامش القرآن الكريم مذيلاً بأسباب النزول للنيسابورى ، فهارس كاملة للمواضيع ، تفسير سورة ألم نشرح ، دار الفجر الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ط٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٥٩٧

383 رشيد الراشد التاذفى ، الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣-٣٢٩

384 سورة آل عمران ، آية ٣١

385 سورة النساء ، آية ٦٥

فسلب الله تعالى الإيمان عمن وجد في صدره حرجاً من قضائه ولم يسلم له ،أي أن الايمان الحقيقى لا يحصل إلا بمن حكم الله تعالى ورسوله على نفسه قولاً وفعلاً وأخذاً وتركاً وحباً وبغضاً.

وقول الله تعالى:" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ....."تأكيد بالقسم وبأكيد في القسم علماً منه سبحانه وتعالى بما في النفوس ومنطوية من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها أو لها وفى ذلك إظهار لعنايته تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم حيث جعل حكمه حكمه وقضائه قضاءه فأوجب على العباد الإستسلام لحكمه والأنقياد لأمره لأنه كما وصفه الله تعالى:" وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى"[٣٨٦]

فحكمه حكم الله تعالى وقضاؤه قضاء الله تعالى ، قال تعالى:" إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله..."[٣٨٧]

٣. كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم ، قال ابن قيم الجوزية في كتابه جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام أنها سبب لإلقاء الله تعالى الثناء الحسن للمصلى عليه صلى الله عليه وسلم بين أهل السماء والأرض، لأن المصلى طالب من الله تعالى أن يثنى على رسوله ويكرمه ويشرفه والجزاء من جنس العمل فلا بد أن يحصل للمصلى شيئاً من ذلك ومنها أنها سبب للبركة في ذات المصلى وعمله وعمره وأسباب مصالحه لأن المصلى داع ربه أن يبارك عليه وعلى آله وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه ، وأنها سبب لدوام محبته للرسول صلى الله عليه وسلم وزيادتها.

٤. الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم سبب لعرض اسم المصلى عليه صلى الله عليه وسلم لقوله:" إن صلاتكم معروضة على"[٣٨٨]، وقوله صلى الله عليه وسلم " إن لله ملائكة في الأرض سياحين يبلغونى عن امتى السلام"[٣٨٩].

386 سورة النجم ، آية ٣-٤
387 سورة الفتح ، آية ١٠
388 مسند أحمد ، ج٤، ص ٨
389 مسند أحمد ، ج١، ص ٣٨٧، ٤٤١

٥. إن الله وملائكته يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويجب الإكثار من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :" إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً"[٣٩٠].

قال صلى الله عليه وسلم :" من صل على صلاة لم تزل الملائكة تصلى عليه ما صلى على فليقل عبد من ذلك أو ليكثر"[٣٩١]

وقال صلى الله عليه وسلم:" إن جبريل عليه السلام قال لى ألا أبشرك أن الله عزوجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه "[٣٩٢]

وقال صلى الله عليه وسلم :" من صلى على واحدة صلى الله عليه عشراً"[٣٩٣].

قال بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك، قال صلى الله عليه وسلم :" قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم"[٣٩٤].

والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نجاة فاعلها من العقوبات وسلامته من القبائح التي تحصل لمن تركها ، ومن فوائدها شفاعته صلى الله عليه وسلم للمصلين عليه.

والذكر يؤكد محبة المذكور والمحبة تؤكد اتباع المحبوب فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة إلى حبه ، وحبه وسيلة إلى إتباعه واتباعه واجب.

قال صلى الله عليه وسلم :" إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على ،

390 سورة الآحزاب ،آية ٥٦

391 مسند أحمد ، ج٣، ص ٤٤٥-٤٤٦

392 مسند أحمد ، ج١، ص ١٩١

393 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٤،ص ١٢٨

394 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٤، ص ١٢٤-١٢٦، والجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص

قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعنى بليت فقال : إن الله عزوجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"[٣٩٥]، وقال صلى الله عليه وسلم :" البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على"[٣٩٦].

٦. ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم تعظيمه عند ذكره وإظهار الخشوع والخضوع والإنكسار مع سماع اسمه فكل من أحب شيئاً خضع له ، وحرمة النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم ، وعندما اتخذ صلى الله عليه وسلم منبراً سمع صوت الشجرة تأن مثل الطفل على فراق الرسول صلى الله عليه وسلم وحنينها إليه "إن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :"يا رسول الله ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه فإن لى غلاماً نجاراً قال: إن شئت ، فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر الذى صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تنشق ، فنزل النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن انين الصبى الذى يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر"[٣٩٧]

فالأمة الإسلامية أولى بالحنين لفراقه صلى الله عليه وسلم .

٧. كثرة الشوق إلى لقائه صلى الله عليه وسلم[٣٩٨]

ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم

لمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ثمرات منها:-

١. أن يحشر المحب معه صلى الله عليه وسلم ، عن ابن مسعود رضى الله عنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل

395 مسند أحمد ، ج٤، ص ٨

396 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص ٥٥١

397 صحيح البخارى ، ج٣، ص ١٤

398 رشيد الراشد التاذفى ، الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم ، ص ٢٦٣-٣١٣

أحب قوماً ولم يلحق بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المرء مع من أحب"[٣٩٩]

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة ؟ ، قال : ما أعددت لها ، قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صوم إلا أنى أحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب ،وأنت مع من أحببت ، المرء مع من أحب وله ما أكتسب"[٤٠٠].

٢. أن يكون المحب معه صلى الله عليه وسلم في الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم:" من أحبنى كان معى في الجنة "[٤٠١]

٣. رؤيته في المنام ، قال صلى الله عليه وسلم:" من رآنى في المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى"[٤٠٢]

٤. الإكثار من الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤٠٣]

قال صلى الله عليه وسلم:" أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة"[٤٠٤]، وقال صلى الله عليه وسلم:" من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه عشراً وكتب له عشر حسنات"[٤٠٥]

٥. من ثمرة محبته صلى الله عليه وسلم إحياء سنته عليه السلام ودخول الجنة

عن أنس بن مالك قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :" يا بنى إن قدرت أن تصبح وتمسى ليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال لى : يا بنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن احبنى كان معى في الجنة"[٤٠٦]

---

399 سنن الدرا قطنى ، ج١، ص ١٣٢، وصحيح البخارى ، ج٧، ص١١٢، ج٤، ص ٢٠٠، وج٨، ص ١٠٨، ومسند أحمد ، ج٣، ص ١٥٩، ١٧٢، ١٧٣، ٢٦٨، ٢٨٣

400 مسند أحمد ، ج١، ص ٣٩٢، وج٣، ص ٢٢٧، ١٠٤، والجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٤، ص ٥٩٥

401 مسند أحمد الموسوعة الحديثة ، ج٤٥، ص ١٨٧

402 مسند أحمد الموسوعة الحديثة ، ج٤٥، ص ١٨٧، ومسند أحمد ،ج٣، ص ٢٦٩، ٣٥٠، ٤٧٢، وصحيح البخارى ، ج٨، ص ٧١

403 رشيد الراشد التاذفى ، الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم ، ص ٣٢٩

404 تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ، ط٢، ج٢، ص ٦٠٧

405 المرجع السابق ، ج٢، ص ٦٠٨، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج٤، ص ١٢٨

الفصل الثالث

تعريف المحبة عند ابن القيم

المحبة شجرة في القلب غروقها الذل للمحبوب وساقها معرفته وأغصانها خشيته ، وورقها الحياة منه وثمرتها طاعته ومادتها التي تسقها ذكره، فمتى خلا الحب عن شيء من ذلك كان ناقصاً[٤٠٧]

المحبة أصلها الصفاء، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان.

أو مأخوذة من الحباب الذى يعلو الماء عند المطر الشديد.

والمحبة غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء محبوبه.

وهى مشتقة من اللزوم والثبات ، وكأن المحب لزم قلبُه محبوبه فلا يريد عنه حولاً، ولا انتقالاً.

أو هي مأخوذة من القلق والاضطراب لذلك سمى القرط حِباً لقلقه في الأذن واضطرابه.

أو هي مأخوذة من الحَب جمع حَبة ، وهو لباب الشئ وخالصه وأصله.

أو هي الإناء الواسع الذى يوضع فيه الشئ فيمتلئ به حيث لا يسع غيره، كذلك قلب المحب ليس فيه سعة لغير محبوبه.

أو مأخوذة من الحُب وهو الخشبات الأربع التي يوضع عليها الجرة أو غيرها فسمى الحب بذلك لأن المحب يتحمل الأثقال لأجل محبوبه كما تتحمل الخشبات ما يوضع عليها من أثقال.

وقيل مأخوذة من حبه القلب وهى سويداؤه ، ويقال ثمرته فسميت المحبة لوصولها إلى حبة القلب.

---

406 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص ٤٦

407 ابن القيم، روضة المحبين ، ص٤٠٩

حد المحبة

هي الميل الدائم بالقلب الهائم

إيثار طلب المحبوب في كل الأحوال على طلب المحب

موافقة الحبيب في المشهد والمغيب

اتحاد طلب المحب والمحبوب

استقلال الكثير منك لمحبوبك ، واستكثار القليل منه إليك

استيلاء ذكر المحبوب على قلب المحب

حقيقة المحبة عند ابن القيم:-

ان تهب كلك لمن أحببته، فلا يبقى لك منك شيء

أن تلغى من قلبك ما سوى المحبوب

الغيرة للمحبوب أن تنتقص حرمته ، أو أن يكون في القلب سواه

هي الإرادة التي لا تنقص بالجفاء ، ولا تزيد بالبر.

حفظ الحدود ، فليس بصادق من ادعى محبة من لم يحفظ حدوده

قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك

نار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب

ذكر المحبوب مع كل نفس

عمى القلب عن رؤية غير المحبوب ، قال صلى الله عليه وسلم :"حبك للشئ يعمى ويصم"[٤٠٨]

ميلك للمحبوب وإيثارك له على نفسك وروحك ومالك

موافقتك له سراً وجهراً وعلمك بتقصيرك في حبه

هي سكون بلا اضطراب، واضطراب بلا سكون ، فيضطرب القلب فلا يسكن الا لمحبوبه، فيضطرب شوقاً إليه ويسكن عنده.

408 - مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٣٦، ص ٢٤ ، ومسند أحمد ، ج٥، ص ١٩٤، وج٦، ص ٤٥٠

أو هي حركة القلب دائماً إلى المحبوب وسكونه عنده

مصاحبة المحبوب دائماً ، وأن يكون المحبوب أقرب إلى المحب من روحه وحضور المحبوب عند المحب دائماً.

أن يستوى قرب دار المحبوب وبعدها عند المحب

أو هو ثبات القلب على أحكام الغرام واستلذاذ الملام فيه[٤٠٩]

مفهوم معنى المحبة عند ابن القيم

قال أبو العباس العريف[٤١٠] في كتابه " محاسن المجالس"

المحبة الشئ إذا كان في الأمور الوجدانية الذوقية التي تعلم بأثارها وعلاماتها ، وكان مما يقع فيه التفاوت بالشدة والضعف وكان له لوازم وآثار وعلامات متعددة اختلفت العبارات عنه بحسب اختلاف هذه الأشياء ، وهذا شأن المحبة فإنها ليست بحقيقة معانيها ترى بالأبصار فيشترك الواصفون لها في الصفة وهى نفسها متفاوتة كثيراً كما بين العلاقة التي هي تعلق القلب بالمحبوب، والخلة التي هي أعلى درجات الحب وبينهما درجات متفاوتة ، ولها آثار توجبها وعلامات تدل عليها ، فكل فرد أدرك بعض علاماتها فعبر بحسب ما أدركه ، واسمها ليس كمسماها ولا لفظها مبين لمعناها. فإسم المصيبة والبلية والشدة والآلم تدل أسماؤها عليها نوع دلالة لا تكشف حقيقتها ، ولا تعلم حقيقتها إلا بذوقها ووجودها. وفرق بين الذوق والوجود وبين التصور والعلم.

وهى وجود تعظيم في القلب يمنع الانقياد لغير محبوبه وهذا التعظيم المانع من الانقياد لغير المحبوب هو أثر من آثار المحبة وموجب من موجباتها وليس هو نفس المحبة.

---

409 ابن القيم ، روضة المحبين ، ص٣٣-٣٨، وانظر مدارج السالكين لابن القيم ، ص٢٢٠-٢٢٧

410 هو أبو العباس حمد بن محمد الصنهاجى الأندلسى المعروف بابن العريف المتوفى سنة ٥٣٦، كما جاء في كشف الظنون عند التعريف بكتابه محاسن المجالس ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين ، وباب السعادتين ، ص ٥٢٢

والتعظيم إذا كان مجرداً عن الحب لم يمنع انقياد القلب إلى غير المعظم وكذلك إذا كان الحب خالياً عن التعظيم لم يمنع المحب أن ينقاد إلى غير محبوبه، فإذا اقترن الحب بالتعظيم وامتلأ القلب بهما امتنع انقياده لغير المحبوب.

المحبة المشتركة ثلاثة أنواع

أ- محبة طبيعية مشتركة كمحبة الجائع إلى الطعام ، والظمآن للماء وهذه لا تستلزم التعظيم.

ب- محبة رحمة واشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل ، وهذه لا تستلزم التعظيم.

ت- محبة إنس وإلف وهى محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر بعضهم بعضاً وكمحبة الإخوة بعضهم من بعض ، ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله تعالى.

ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل ، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد ، وكان أحب اللحم إليه الذراع وكان يحب نساؤه واصحابه.

وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله فهى محبة العبودية لله تعالى المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم ، وتمام الطاعة لله تعالى وإيثاره. وهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً.

وهى التي سوى المشركون بين آلهتم وبين الله تعالى فيها ، قال تعالى:" ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حباً لله..."[٤١١]

فالذين ءامنوا أخلصوا حبهم لله لم يشركوا به معه غيره ، وأما المشركون فلم يخلصوه لله. ولأجلها خلقت الجنة والنار فالجنة دار أهلها الذين اخلصوها لله وحده ، فأخلصهم لها والنار دار من أشرك مع الله غيره وسوى بينه وبين الله فيها كما قال

[411] سورة البقرة ، آية ١٦٥

تعالى عن أهلها أنهم يقولون في النار لآلهتهم " تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين"[٤١٢]

وهذه التسوية لم تكن في الصفات والأفعال ،بل كانت تسوية منهم بين الله تعالى وبينها في المحبة والعبودية مع اقرارهم بالفرق بين الله تعالى وبينها ، وتصحيح هذه هو تصحيح شهادة أن لا إله إلا الله . إن الشأن كله فيها والمدار عليها والسؤال يوم القيامة عنها، قال تعالى:" فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون"[٤١٣]، وقوله عن لاإله إلا الله فإن السؤال عنها وعن واجباتها ولوازمها وحقوقها.

وكلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فالسؤال عما إذا كانوا يعبدون هو السؤال عنها نفسها ، والسؤال عما اذا أجابوا المرسلين سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها ، هل سلكوها وأجابوا الرسل لما دعوهم إليه فعاد الامر كله إليها[٤١٤]

٢- قيل المحبة موافقة المحبوب فيما ساء وسر ، ونفع وضر فموافقة المحبوب من موجبات المحبة وثمراتها ، وليست نفس المحبة ، والمحبة تستدعى الموافقة ، وكلما كانت المحبة أقوى كانت الموافقة أتم، قال تعالى:" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"[٤١٥]

أي أن من أحب طاعة الله تعالى أحبه الله وحببه إلى خلقه وموافقة المحبوب دليلاً على محبته لأن من أحب حبيباً فلا بد أن يحب ما يحبه ويبغض ما يبغضه وإلا لم يكن محباً له محبة صادقة.

٣- قيل المحبة القيام بين يديه وانت قاعد ومفارقة المضجع وانت راقد، والسكوت وانت ناطق، ومفارقة المألوف والوطن وأنت مستوطن.

412 سورة الشعراء ، آية ٩٧-٩٨

413 سورة الحجر، آية ٩٢-٩٣

414 ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، حققه وراجعه / عبدالله بن إبراهيم الأنصارى ، إدارة الشؤون الدينية دولة قطر، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، ص ٥٢٣-٥٢٦

415 سورة آل عمران ، آية ٣١

وهذا أيضاً أثر من آثار المحبة وموجب من موجباتها وحكم من أحكامها، فإن المحبة توجب سفر القلب إلى المحبوب دائماً والمحبة وطنه ، وتوجب مثوله وقيامه بين يدى محبوبه وهو قاعد، وتجافيه عن مضجعه ومفارقته إياه وهو فيه راقد وفراغه لمحبوبه كله وهو مشغول في الظاهر بغيره.

فيكون جسده في مضجعه وقلبه قطع المراحل مسافراً إلى حبيبه، فإذا أخذ مضجعه اجتمع عليه حبه وشوقه فيهزه المضجع إلى سكنه ، قال تعالى في حق المحبين :" تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقنهم ينفقون"[٤١٦]

فقلب المحب في سفر دائم نحو محبوبه ويتضح هذا في مواطن أربعة.

أ- عند أخذ مضجعه وتفرغ حواسه وجوارحه من الشواغل، واجتماع قلبه على ما يحبه ، فإنه لاينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه به.

ب- عند استيقاظه من النوم فأول شيء يذكره قلبه محبوبه الذى كان قد غاب عنه في النوم. فلما ردت إليه الروح أسرع إلى ذكر محبوبه قبل كل وأرد، لأنه لزمه ملازمة الغريم لغريمه لذلك يسمى غراماً وهو الحب اللازم الذى لا يفارق فسمع بمحبوبه وأبصر به ، فصار محبوبه في وجوده في محل سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصربه ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها.

ت- عند دخول الصلاة فإنها محك الأحوال وميزان الإيمان بها يوازن ايمان الرجل ويتحقق حاله ومقامه ومقدار قربه من الله ونصيبه منه ، ولا واسطة فيها بين العبد وربه، فلا شيء أقر لعين المحب ولا ألذ لقلبه منها ومناجاته له ، ولا أطيب له من خلوته بمحبوبه ، قال صلى الله عليه وسلم:" يا بلال ارحنا بالصلاة"[٤١٧]

[416] سورة السجدة ، آية ١٦

[417] مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٣٨، ص ١٧٨

ث- عند الشدائد والأهوال ،فإن القلب لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده[٤١٨]

٤- وقيل المحبة إيثار المحبوب على غيره

فإن إيثار المحبوب على غيره موجب المحبة ومقتضاها، فإذا استقرت المحبة في القلب أدت إلى إيثار المحب محبوبه على غيره، وهذا الإيثار علامة ثبوتها وصحتها فإذا أثر غير المحبوب عليه لم يكن محباً له ، وإن زعم أنه محب فهو محب لنفسه ولحظه ممن يحبه ، فإذا وجد حظاً هو أحب إليه من حظه الذى يريده من محبوبه آثر ذلك الحظ المحبوب إليه.

ويظهر هذا عند حالتين:-

أ- يرى حظاً له عند غيره فيؤثر ذلك الحظ ويترك محبوبه

ب- إذا نال ذلك الحظ من محبوبه فترت محبته وسكن قلبه وترحل المحبة من قلبه كما قيل: من ودَك لأمر ولى عند انقضائه فهذه محبة مشوبة بالعلل بل المحبة الخالصة أن يحب المحبوب لكماله. وأنه أهل أن يحب لذاته وصفاته. ويكون مفضلاً مراد محبوبه منه لا مفضلاً مراده هو من محبوبه ، فهذه هي المحبة الخالصة من دون العلل وشوائب النفس وهى التي تتزايد.

إيثار المحبوب

إيثار المحبوب نوعان

أ- إيثار معاوضه ومتاجرة : يؤثر محبوبه على غيره طلباً لحظه منه ، فهو يبذل ما يؤثره ليعاوضه بخير منه.

ب- إيثار حب وإرادة: يؤثره إجابة لداعى محبته ، فإن المحبة الصادقة تدعوه دائماً إلى إيثار محبوبه ، فإيثاره هو أجل حظوظه فحثه في نفس الإيثار لا في

418 ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ص ٥٢٣-٥٤٤

العوض المطلوب بالإيثار. وهذا لا تفهمه إلا النفس اللطيفة المشرقة ، وأما النفس الكثيفة فلا خبر عندها من هذا.

والدين كله والمعاملة في الإيثار ومن شرطه الاحتياج من جهة المؤثر، ولو لم يكن محتاجاً إليه لكان بذله سخاء وكرماً.

والله تعالى يؤثر عبده على غيره من غير احتياج منه تعالى فإنه الغنى الحميد وفى الدعاء قال صلى الله عليه وسلم :" اللهم زدنا ولا تنقصنا واعطنا ولا تحرمنا وأكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرض عنا"[٤١٩]

ومن آثر الله على غيره آثره الله على غيره

والفرق بين الإيثار والآثرة

أن الإيثار تخصيص الغير بما تريده لنفسك

والآثرة اختصاصك به على الغير

والإيثار إما أن يتعلق بالخلق وإما أن يتعلق بالخالق

أ- وإن تعلق بالخلق فكماله أن تؤثرهم على نفسك مما لا يضيع لك دينا ولا يسد عليك طريقاً ولا يمنع لك وارداً ، فإن كان في إيثارهم شيء من ذلك فإيثار نفسك عليهم أولى فإن الرجل لا يؤثر بنصيبه من الله أحداً كائناً من كان ، والإيثار المحمود الذى أثنى الله على فاعله: الإيثار بالدنيا لا بالوقت والدين وما يعود بصلاح القلب. قال تعالى:" ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"[٤٢٠]

فوضح إيثارهم هو بالشئ الذى إذا وقى الرجل الشح به كان من المفلحين ،وهذا هو فضول الدنيا لا الأوقات المخصصة في الطاعات فإن الفلاح في الشح بها ، فالشح بالوقت عمارة القلب وحفظ رأس ماله ، وعلى هذا أمر الله تعالى بالمسابقة في

419419 رواه احمد والترمذى والحاكم من حديث عمر library. Islamweb.net
Fatwa.islamweb.net

420 سورة الحشر ، آية ٩

أعمال البر والتنافس فيها والمبادرة إليها وهذا ضد الإيثار بها ، قال تعالى:" وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنه عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين"[٤٢١]

وقال تعالى:" فاستبقوا الخيرات....."[٤٢٢]، وقال تعالى:" وفى ذلك فليتافس المتنافسون"[٤٢٣]

فلم يجعل الشارع الطاعات والقربات محلاً للإيثار بل محلاً للتنافس والمسابقة.

والإيثار المتعلق بالخالق أعظم من هذا وأفضل وهو إيثار رضاه على رضى غيره، وإيثار حبه على حب غيره ، وإيثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه، وإيثار الذل له والخضوع له تعالى .

وعلامة هذا الإيثار شيئان:-

أ- فعل ما يحب الله تعالى إذا كانت النفس تكرهه وتهرب منه

ب- ترك ما يكرهه إذا كانت النفس تحبه وتهواه ، ولا يتم فلاح العبد وسعادته إلا به

أنواع المحبة

١- المحبة المحمودة

أعظم أنواع المحبة المحمودة محبة الله وحده لا شريك له ومحبة ما أحب، وهذه المحبة هي أصل السعادة التي تنجى من العذاب ، فأهل هذه المحبة لا يدخلون النار، ومن دخلها منهم بذنوبه فإنه لا يبقى فيها منهم أحد.

٢- المحبة المذمومة

المحبة المذمومة هي المحبة مع الله تعالى التي يسوى المحب فيها بين محبة الله ومحبته للند الذى اتخذه من دونه وهى محبة شركية ، وهى أصل الشقاوة ورأسها التي لا يبقى في العذاب.

421 سورة آل عمران ، آية ١٣٣

422 سورة البقرة ، آية ١٤٨

423 سورة المطففين ، آية ٢٦

ومدار القرآن الكريم على الأمر بالمحبة المحمودة ولوازمها والنهى عن المحبة الشركية ولوازمها، وأعطى الأمثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص النوعين وتفصيل أعمال النوعين وأوليائهم ومعبود كل منها وإخباره عن فعله بالنوعين وعن حال النوعين في الدور الثلاثة: دار الدنيا ،ودار البرزخ ، ودار القرار[٤٢٤]

المحبة منها ما هو نافع ومنها ما هو ضار:-

أ- المحبة النافعة ثلاثة أنواع وهى:-

١- محبة الله تعالى

٢- محبة في الله تعالى

٣- محبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته.

ومحبة الله تعالى أصل المحاب المحمودة ، وأصل الإيمان والتوحيد ، والنوعان الآخران تبع لها.

ومن المحبة النافعة محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل لأنها معينة على ما شرع الله تعالى له من النكاح وملك اليمين ، من اعفاف الرجل أهله ونفسه. فلا تميل نفسه إلى سواها من الحرام ويعفها ، فلا تميل نفسها إلى غيره. وكلما كانت المحبة بين الزوجين أقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل ، قال تعالى :"هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها"[٤٢٥].

وقال تعالى:" ومن ءايته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة"[٤٢٦]

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الناس إليك؟ قال : عائشة "[٤٢٧]

---

[424] ابن قيم الجوزية ، الداء والدواء ، مكتبة الثقافة ، مكة المكرمة ، الحجون، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٢٣٩

[425] سورة الآعراف ، آية ١٨٩

[426] سورة الروم ، آية ٢١

[427] سنن الترمذى ، ج٥، ص ٧٠٦

فلا غبار على الرجل في محبته لأهله إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له من محبة الله ورسوله وزاحم حبه وحب رسوله فكل محبة زاحمت محبة الله ورسوله لتضعفها وتنقصها فهى مذمومة ، وإن أعانت على محبة الله ورسوله وقوتها فهى محمودة.

ب-المحبة الضارة ثلاثة أنواع وهى:-

١-المحبة مع الله تعالى.

٢-محبة ما يبغضه الله تعالى.

٣-محبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها.

والمحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة والنوعان الآخران تبع لها ومحبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك.

ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها ونجا منه يوسف عليه السلام بإخلاصة[٤٢٨].

قال تعالى:" كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين"[٤٢٩]

والحب لا يحمد مطلقاً ولا يذم مطلقاً، وإنما يحمد ويذم بحسب حاله ، فإن الإرادة تابعة لمرادها ، والحب تابع للمحبوب ، لذلك كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله تعالى وحده أي أن يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه فيوحد محبوبه ويوحد حبه، وتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه وتوحيد الحب أن لا يبقى في قلبه بقية حب ، وهذا الحب هو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وتكون محبته لغير الله تعالى تابعة لمحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، قال صلى الله عليه وسلم:" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما

428 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١١٢-١١٤

429 سورة يوسف ، آية ٢٤

ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"[٤٣٠]

وإن كانت المحبة لغير الله فهى منقصة ومضعفة لمحبة الله تعالى ، وتصدق هذه المحبة عندما يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهى الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد وهذا من أعظم المحبة لله تعالى ومن أشرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركاً شركاً لا يغفره الله كما قال تعالى:" ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حباً لله ....."[٤٣١]

والحب إذا كان لما يحبه الله ورسوله كان محموداً مثاباً عليه

- مثل محبة القرآن الكريم بحيث يكتفى بسماعه عن سماع غيره ويتفكر في معانيه فمراد الله تعالى منه فمن أحب محبوباً أحب كلامه.
- كذلك محبة ذكره سبحانه وتعالى من علامات محبته فا لمحب لا يشبع من ذكر محبوبه ولا ينساه فيحتاج إلى من يذكره به ، ويحب سماع أوصافه وأفعاله وأحكامه والرضى بها.
- حب أوصاف الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر ومكارم الآخلاق.
- ومن الحب المحمود الذى يترتب عليه مفارقة المحبوب كمن حب امرأته أو أمته فيفارقها بموت أو غيره فيذهب المحبوب ويبقى الحب كما هو، فهذا من الابتلاء إن صبر صاحبه واحتسب نال ثواب الصابرين وإن سخط وجزع فاته محبوبه وثوابه وإن قابل هذه المصيبة بالرضى والتسليم فدرجته أعلى من درجة الصبر وإن قابلها

[430] صحيح البخارى ، ج١، ص ٩-١٠، ج٧، ص٨٣، ج٨، ص ٥٦، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج٢، ص ١٣

[431] سورة البقرة ، آية ١٦٥

بالشكر يكون أعلى من ذلك لحسن اختيار الله له لأن كل قضاء الله تعالى للمؤمن خيراً له"[٤٣٢]

قال صلى الله عليه وسلم :" والذى نفسى بيده لا يقضى الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن"[٤٣٣].

- والرغبة في الله وإرادة وجهه والشوق إلى لقائه رأس مال العبد، وقوام حياته الطيبة، وأصل سعادته ونعيمه وقرة عينه ، ولهذا خلق وبه أمر وبذلك أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ولا صلاح للقلب ولا نعيم إلا بأن تكون رغبته إلى الله تعالى وحده، فيكون هو وحده مرغوبه ومطلوبه ، قال تعالى:" فإذا فرغت فأنصب وإلى ربك فارغب"[٤٣٤]

وقال تعالى :" ولو أنهم رضوا ما ءاتهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون"[٤٣٥]

فتضمنت هذه الآية أدباً عظيماً وسراً شريفاً حيث جعل الرضا بما أتاه الله ورسوله والتوكل على الله تعالى وحده في قوله تعالى:" وقالوا حسبنا الله "، وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وامتثال أوامره وترك زواجره وتصديق اخباره والاقتفاء بأثاره[٤٣٦]

والراغبون ثلاثة أقسام:-

١. راغب في الله
٢. راغب فيما عند الله
٣. راغب عن الله

---

[432] ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ٢١١-٢١٤
[433] صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٨، ص ١٢٥
[434] سورة الشرح ، آية ٧-٨
[435] سورة التوبة ، آية ٥٩
[436] محمد على الصابونى ، مختصر تفسير ابن كثير ، ج٢، ص ١٤٩

فالمحب راغب فيه والعامل راغب فيما عنده

والراضى بالدنيا من الآخرة راغب عنه

ومن كانت رغبته في الله كفاه الله كل مهم وتولاه في جميع اموره ، ودفع عنه ما لا يستطيع دفعه عن نفسه ووقاه وقاية الوليد ،وحفظه من جميع الآفات ، ومن آثر الله تعالى على غيره آثره الله على غيره . ومن كان لله كان الله له حيث لا يكون لنفسه ومن عرف الله تعالى لم يكن شيء أحب إليه منه ، ولم تبق له رغبةُ فيما سواه إلا فيما يقربه إليه تعالى.

ومن علامات المعرفة الهيبة لله تعالى فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته وخشيته إياه، قال تعالى:" إنما يخشى الله من عباده العلماء"[٤٣٧]

- أي من عرف الله تعالى صفا له العيش وطابت له الحياة وذهب عنه خوف المخلوقين ، وأنس بالله تعالى ، وأورثته المعرفة الحياء من الله تعالى ، والتعظيم له والإجلال والمراقبة والمحبة والتوكل عليه ، والإنابة إليه والرضا به والتسليم لأمره وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقة ، وذل لله فأعزه في خلقه
- وحياة القلب مع الله تعالى لا حياة له بدون ذلك أبداً ، ومتى وافق اللسان القلب في ذكره ووافق القلب مراد حبيبه منه واستقل له الكثير من قوله وعمله ، واستكثر له القليل في بره ولطفه ، ولزم الطاعة وفارق المخالفة ، وخرج عن كله لمحبوبه فلم يبق منه شيء، وامتلأ قلبه بتعظيمه وإجلاله وإيثار رضاه وعز عليه الصبر عنه ، وحفظ حدوده وآثره على غيره فهو الحب حقاً[٤٣٨]

[437] سورة فاطر ، آية ٢٨

[438] ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ٤٠٨-٤١٠

المحبة واللذة عند ابن القيم :-

كلما ازدادت المحبة زادت اللذة بادراك المحبوب

- واللذة أظهر من كل ما تعرف به فهى أمر وجدانى ،وتعرف بأسبابها وأحكامها.
- وإدراك الملاءم سبب اللذة ، وادراك المنافى سبب الألم فاللذة والألم ينتجان عن إدراك الملائم والمنافى
- وإذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها تذم إذا أعقبت ألماً أعظم منها أو منعت لذة خيراً منها، وتحمد إذا أعانت على لذة دائمة مستقرة وهى لذة ةالدار الآخرة ونعيمها الذى هو أفضل نعيم ، قال تعالى:" وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون"[٤٣٩]

وقال تعالى:" فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون"[٤٤٠]

وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى:" أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[٤٤١]

- فكل لذة أعانت على لذات الدار الآخرة فهى محبوبة ومرضية لله تعالى ، فصاحبها يتلذذ بها من وجهين : من ناحية ايصالها له إلى مرضاة الله تعالى وتوصيلها إلى لذة أكمل منها ، وهذه اللذة هي التي يجب للعاقل أن يسعى للحصول عليها ، لا اللذة التي تخلفها الألم وتفوت عليه أعظم اللذات لذلك يثاب المؤمن على كل ما يتلذذ به من المباحات إذا قصد به التوصل إلى لذة الآخرة ونعيمها فلا نسبة بين لذة صاحب الزوجة التي يحبها وعينه قد قرت بها ،فإنه إن باشرها والتذ قلبه وبدنه ونفسه بوصالها أثيب على تلك اللذة في مقابلة عقوبة صاحب اللذة المحرمة ، قال

---

439 سورة الزخرف ، آية ٧١

440 سورة السجدة ، آية ١٧

441 مسلم ، الجامع الصحيح ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، ج٨، ص ١٤٣

صلى الله عليه وسلم:" وفى بضع أحدكم صدقة ، قالوا يا رسول الله : أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ، فقال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أليس كان يكون عليه وزر؟ قالوا: بلى ، قال : فكذلك إذا وضعها في الحلال يكون له الأجر"[٤٤٢]

- وهذه اللذة تتزايد بحسب ما عند العبد من الإقبال على الله تعالى وإخلاص العمل له والرغبة في الدار الآخرة
- وكل لذة أعقبت ألماً أو منعت لذة أكمل منها ليست لذة حقيقية وإن غالطت وتوهمت النفس الألتذاذ بها ، فأى لذة طعام شهى مسموم يقطع الأمعاء بعد لحظات.
- وهذه لذات الكفار والفساق بعلوهم في الأرض وفسادهم وفرحهم فيها بغير الحق. وهذا مثل لذة الذين اتخذوا من دون الله أولياء يحبونهم كحب الله تعالى فتواصلت بينهم المودة في الحياة الدنيا ،ثم تحولت هذه اللذة أعظم ألم ، وكذلك لذة العقائد الفاسدة والسرور بها ، ولذة غلبة أهل الجور والظلم والعدوان والزنى والسرقة وشرب المسكرات ،وإن الله تعالى أعطاهم كل هذه الخيرات لاستدراجهم لينالوا به أعظم الألم ، قال تعالى:"أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون"[٤٤٣] ، وقال تعالى:" فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون"[٤٤٤]

أقسام اللذات عند ابن القيم :-

قسم ابن القيم اللذات إلى ثلاثة أقسام: لذة جثمانية ولذة خياليه وهمية ، ولذة عقلية روحانية.

١. اللذة الجثمانية : مثل لذة الأكل والشرب والجماع وهذه اللذة يشترك فيها الإنسان مع الحيوان، وليس كمال الإنسان بهذه اللذة لمشاركة أقل الحيوانات له فيها ، ولو كانت كمالاً لكان أفضل الناس واشرفهم واكملهم أكثرهم أكلاً وشرباً وجماعاً كذلك

442 مسند أحمد ، ج٥، ص ١٦٨
443 سورة المؤمنون ،آية ٥٥-٥٦
444 سورة التوبة ،آية ٥٥

لو كانت كمالاً لكان نصيب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام منها في الحياة الدنيا أكمل من نصيب أعدائهم. وتكون كمالاً عندما تعين على اللذة الدائمة في الحياة الآخرة .

٢. اللذة الوهمية الخيالية : مثل لذة الرئاسة والتعاظم على الخلق والفخر والغرور والاستطالة عليهم.

وأصحاب هذه اللذة أشرف نفوس من أصحاب اللذة الأولى ولكن الآمها ومفاسدها ومضارها أعظم من التذاذ النفس بها ،وصاحبها معادى لكل من تعاظم وترأس عليه.

٣. اللذة العقلية الروحانية : كلذة المعرفة والعلم والتحلى بصفات الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر والحلم والمروءة وغيرها ، وهذا من أعظم اللذات، فإذا انضمت لهذه اللذات معرفة الله تعالى ومحبته وعبادته وحده دون شريك له والرضا به فصاحب هذه اللذة في جنة عاجلة نسبتها إلى لذات الدنيا كنسبة لذة الجنة إلى لذة الدنيا ولذة محبة الله تعالى والاقبال عليه أطيب واحلى وألذ من كل اللذات ، ومن أطيب نعيم الدنيا ولذائذها محبة الله تعالى والانس به والشوق إلى لقائه ومعرفة اسمائه وصفاته وألذ ما في الاخرة رؤيته تعالى وسماع كلامه بلا واسطة[٤٤٥]

ذم اتباع الهوى عند ابن القيم :-

الهوى هو ميل الطباع إلى ما يلائمه ويريده وخلق الميل في الإنسان إلى ضرورة بقائه فلولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح ، فالهوى يحث عليها لنيلها ، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه، فلا يذم الهوى مطلقاً ولا يحمد مطلقاً كذلك الغضب لا يذم ولا يحمد مطلقاً ، وانما يذم المفرط من النوعين وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار ، وفى الغالب مطيع هواه وشهوته وغضبه لا يوقفه عند حد المنتفع به اطلق ذم الهوى والشهوة والغضب لعموم غلبة الضرر، لانه يندر من يقصد العدل ويقف عنده ، ولأنه يندر في الأمزجة المزاج المعتدل من كل

[445] ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ١٧١-١٨١

جانب ، بل لا بد من غلبه احد الجوانب عليه ، لانه يصعب على الإنسان تعديل قوى الشهوة والغضب في كل الجوانب إلا من رحم الله تعالى.لهذا لم يذكر الله تعالى الهوى في القرآن الكريم إلا ذمه . وكذلك السنة لم يأتي إلا مذموماً إلا ما جاء منه مقيداً كقوله صلى الله عليه وسلم :" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"[٤٤٦]

وقيل الهوى كمين وفخ ، وقال الشعبى : سمى هوى لأنه يهوى بصاحبه ومطلقه يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في العاقبة ، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً مع انها سبباً لاعظم الآلام عاجلاً واجلاً فللدنيا عاقبة قبل عاقبة الآخرة والهوى يعمى صاحبه عن ملاحظتها والمروءة والدين والعقل ينهى عن لذة تعقب ألماً ، وشهوة تورث ندماً ، فكل منها يقول إذا أردت ذلك لا تفعلى والطاعة لمن غلب ، فإنك ترى الطفل يؤثر ما يهوى وإن أدى به إلى التلف لضعف ناهى العقل عنده ومن لا مروءة له يؤثر ما يهواه لضعف المرؤة أو لضعف ناهى المرؤة .

والله امتحن الإنسان المكلف بالهوى من بين سائر البهائم جعل فيه حاكمان حاكم العقل وحاكم الدين ، وأن يرفع حوادث الهوى دائماً إلى هذين الحاكمين وان ينقاد إلى حكمهما ، ويجب أن يتمرن على دفع الهوى المأمون العواقب ليتمرن على ترك ما تؤذى عواقبه، فترى مدمنى الشهوات يصيرون إلى حالة لا يتلذذون بها ومع ذلك لا يستطيعون تركها ، لانها صارت عندهم بمنزلة العيش الذى لا بد منه. لذلك ترى مدمن الخمر والجماع لا يلتذ به عُشر معشار التذاذ من يفعله باعتدال ، لان العادة مقتضية ذلك ، فيلقى نفسه في المهالك لنيل ما تطلبه العادة ، ولو زال عنه صدأ الهوى لعرف أنه قد شقى من حيث قدر السعادة واغتم من حيث ظن الفرح ، فهو كالطائر المخدوع بحبه القمح لا نال الحبة ولا تخلص مما وقع فيه[٤٤٧]

---

446 مجموعة الحديث النجدية ، ص ٢٣٢ ، ٢٦٣، ٩١، ومحى الدين شرف النووي ، الأربعين النووية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مطابع التراث ، ١٤١٠هـ، ص ٦٠

447 ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ٤٦٩-٤٧١

سوء عاقبة العشق والهوى عند ابن القيم :-

العشق داء مهلك تذوب معه الأرواح ، ليس فيه ارتياح وهو بحرُ من ركبه غرق لأنه لا ساحل له ولا نجاة منه ، والعشق يترك الملك مملوكاً والسلطان عبداً وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه.

كم أكبت فتنة العشق رؤوساء على مناخرهم في الجحيم وسلمتهم إلى مقاسات العذاب الأليم وجرعتهم بين أطباق النار كؤوس الحميم وكم أخرجت من شاء الله من العلم والدين ، كخروج الشعرة من العجين وكم أزالت من نعمة وأحلت من نقمة وكم أنزلت من معقل عزة عزيزاً فإذا هو في أسف السافلين وكم كشفت من عورة وأحدثت من روعة ، وأعقبت من ألم وأحلت من ندم ، وكم أضرمت من نار حسرات أحرقت فيها الأكباد وأذهبت قدراً كان للعبد عند الله وفى قلوب العباد وكم جلبت من جهد البلاء، ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء ، فقل أن يفارقها زوال نعمة أو فجاءة نقمة ، أو تحويل عافية ، أو طرق بلية أو حدوث رزية ، فلو سألت النعم ما الذى أزالك؟ والنقم ما الذى أحالك ؟ والهموم والاحزان ما الذى جلبك؟ والعافية ما الذى أبعدك وجنبك؟ والستر ما الذى كشفك؟ والحياة ما الذى كدرك؟ وشمس الإيمان ما الذى كورك؟ وعزة النفس ما الذى أذلك ؟ وبالهوان بعد الإكرام بدلك ؟ لاجابتك بلسان الحال اعتباراً إن لم تجب بالمقال حواراً[٤٤٨]

وهذا ما حصل لبعض رؤساء العرب في الوقت الحاضر مثل صدام حسين بعد غزو الكويت ١٩٩٠م وبالتالي احتلت أمريكا العراق في مارس ٢٠٠٣م، ودمرت العراق واعدم صدام وسلمت العراق إلى ايران وإلى الآن تعانى العراق من الخراب والدمار والطائفية العنصرية التي دمرت البلاد والعباد.

وكذلك ما حصل لمعمر القذافى بعد الربيع العربى سنة ٢٠١١م حيث قتله الثوار.

[448] ابن القيم ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ص ١٩٧-٢٠٢

كل هذا لعشق الكرسى والتسلط على ارقاب العباد والتحكم في البلاد وكبرياء العظمة والغرور والجبروت.

كذلك نرى الآن جبروت بشار الأسد رئيس سوريا وما فعله بقتل الشعب السورى بالبراميل والغازات السامة وتشريدهم في بقاع الأرض منذ ٢٠١١م وحتى الآن ، لقد عاد زمن فرعون إلى البلاد العربية .

كذلك ما يفعله الرئيس المخلوع صالح في اليمن منذ ٢٠١١م حتى الآن حرق البلاد والعباد حتى يعود للكرسى

الربيع العربى أظهر حكام العرب على حقيقتهم ومدى حبهم لبلادهم.

أقسام النفس في المحبة عند ابن القيم:-

تقسم النفوس من حيث المحبة إلى ثلاثة أقسام:-

١. نفس سماوية علوية محبتها منصرفة إلى الله تعالى واكتساب المعارف والفضائل والكمال الانسانى واجتناب الرذائل، فهؤلاء الله تعالى وليهم في الحياة الدنيا والآخرة . قال تعالى:" إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أوليائكم في الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون، نزلاً من غفور رحيم"[٤٤٩].

فالله تعالى يرسل الملائكة تتولى المؤمن بالنصح له والإرشاد والتثبيت والتعليم وقول الصواب ودفع عدوه عنه والاستغفار له إذا زل وتسليته إذا حزن وإلقاء السكينة في قلبه إذا خاف وتحذيره من الركون إلى الدنيا وتقصير أمله وترغيبه فيما عند الله تعالى ، فهو أنيسه في الوحده ومرغبه في الخير ، ومحذره من الشر.

٢. نفس سبعية غضبية: محبتها منصرفة إلى القهر والبغى والعلو في الأرض والتكبر والرئاسة على الناس بالباطل ولذتها وشغفها في ذلك.

[449] سورة فصلت ، آية ٣٠

والشياطين أولياء هذا النوع يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، قال تعالى " تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم"[٤٥٠]

وقال تعالى:" ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً"[٤٥١]

وهذا النوع من النفوس بيهم وبين الشيطان مناسبة طبيعية بها مالت إلى أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم ،ويزينون لهم القابح ويحلونها في أنفسهم ، ويثقلون عليهم الطاعات ويلقون على السنتهم القبيح من الكلام.

ويبيتون معهم حيث باتوا ويشاركونهم في أموالهم وأولادهم ، يأكلون معهم ويشربون معهم [٤٥٢]، قال تعالى :" ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين"[٤٥٣]

وقال تعالى :" وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ، حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين"[٤٥٤]

٣. نفس حيوانية شهوانية محبتها منصرفة إلى المأكل والمشرب والمنكح ، وهذا النوع أشبه بالحيوان ، ونفوسهم أرضية سفلية همها اشباع شهواتها.

والحب في هذه الدنيا دائر بين النفوس الثلاثة فأى نفس صادفت ما يلائم طبعها استحسنته ومالت إليه ولم تأخذها فيه لومة لائم[٤٥٥]

---

450 سورة النحل ، آية ٦٣

451 سورة النساء ، آية ١١٩-١٢٠

452 ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ، ص ٢٥٢-٢٥٤

453 سورة العنكبوت ،آية ٣٨

454 سورة الزخرف ، آية ٣٦-٣٨

455 ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ، ص ٢٥٢-٢٥٤

علامات المحبة

ودواعى الحب للمحبوب جماله ،أما الظاهر أو الباطن أو هما معاً ، فمتى كان جميل الصورة جميل الأخلاق والشيم والأوصاف كان الداعى منه أقوى ، قال صلى الله عليه وسلم :" أعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطر الحسن"[٤٥٦]

وداعى الحب من المحب أربعة أشياء:-

١. النظر إما بالعين أو بالقلب إذا وصف له ، فكثير من الناس يحب غيره وما رآه لكن وصف له ، لذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم المرأة أن تنعت المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها ، قال صلى الله عليه وسلم :" لا تباشر المرأة المرأة حتى تصفها لزوجها كأنما ينظر إليها"[٤٥٧]

٢. الاستحسان ، فإن لم يورث نظره استحسانا لم تقع المحبة

٣. الفكر في المنظور وحديث النفس به ، فإن شغل عنه بغيره مما هو أهم لم يعلق حبه في قلبه.

٤. الأقسام الثلاثة السابقة موجودة في الناس ، وقد تكون مجتمعه ، فإذا وجد النظر والاستحسان والفكر والطمع هاجت في النفس محبته[٤٥٨]

من دواعى المحبة أيضاً النظر ،لأن العين مرأة القلب ، فإذا أطلق الشخص بصره أطلق القلب شهوته ، وإذا غض بصره غض القلب شهوته وإرادته.

لهذا قال صلى الله عليه وسلم:" يا على لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليست لك الثانية"[٤٥٩]

---

456 مسند أحمد ، ج٣،ص ٢٨٦

457 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص١٠٩، ومسند أحمد ، ج١، ص ٣٨٠، ٣٨١، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٣،٤٦٠

458 ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ١٠٦-١٠٧

459 البيهقى ، السنن الكبرى ،كتاب الحج، باب ما جاء في نظرة الفجاءة ، ج٧، ص ٩٠ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الآداب ، باب نظر الفجاءة ، ج١٤، ص ١٣٩

ووضح هنا الرسول صلى الله عليه وسلم تحريم متابعة النظر للمرأة ،لأن تكرار النظر والبحث عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة وكلما تتابعت النظرات كانت كالماء يسقى النبة فلا تزال نبتة الحب تنمى حتى يفسد القلب فيوقع صاحبه في المحن وارتكاب المحن والفتن والسبب أن الناظر التذت عينه بأول نظرة فطلبت التكرار ، ولو أنه غض لاستراح قلبه ولهذا قال صلى الله عليه وسم "النظرة سهم مسموم من سهام ابليس"[٤٦٠]

ولأن النظر من أقرب الوسائل إلى المحرم أمرت الشريعة تحريمه وأباحته للحاجة.

كما أن نظرة الفجاءة هي النظرة الأولى وتقع بغير قصد من الناظر لا يعاقب عليه ، فإذا نظر الثانية متعمداً أثم ، وأرشد صلى الله عليه وسلم من ابتلى بنظرة الفجاءة أن يعالجه بإتيان امرأته ، وقال عليه السلام :" فإذا رأى أحدكم امرأ ة فأعجبته فليأت أهله ، فإن معها مثل الذى معها "[٤٦١]لأن في ذلك التسلى عن المطلوب بجنسة[٤٦٢]

وأن النظر يثير قوة الشهوة فإمر صلى الله عليه وسلم بتنقيصها بإتيان أهله لأن فتنة النظر أصل كل فتنة. قال صلى الله علسه وسلم :" ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء"

أسباب المحبة عند ابن القيم

وبهذا يكون هناك ثلاثة أمور بين المحب والمحبوب وهى وصف المحبوب وجماله وشعور المحب به ، والمناسبة وهى العلاقة والملائمة ، فإذا قويت هذه الأمور قويت المحبة والعكس صحيح فإذا كان المحبوب في غاية الجمال وشعور المحب بجماله أتم شعور والمناسبة بين الروحين قوية ،فهذا الحب اللازم الدائم ، وقد يكون

460 القرطبى ، الجامع لاحكام القرآن ، ج١٢، ص٢٢٧

461 سنن الترمذى ، الجامع الصحيح ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في الرجل يرى المرأة تعجبه ، ج٣، ص ٤٥٥

462 ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ، ص ١١٠-١١٣

الجمال ناقصاً لكنه في عين المحب كاملاً فتكون قوة محبته بحسب ذلك الجمال عنده فإن حبك للشئ يعمى ويصم فلا يرى المحب أحداً أفضل من محبوبه، قال صلى الله عليه وسلم :" حبك الشئ يعمى ويصم" [٤٦٣]

وقد يكون الجمال موفوراً لكنه ناقص الشعور به فتضعف المحبة لهذا أمر الله تعالى النساء بالحجاب لأن سفور الوجه ومفاتن الجسم يظهر كمال المحاسن فيقع الافتتان كما أمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر ، قال تعالى :"قل للمؤمنين يغضو من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو ءابائهن....."[٤٦٤]

وقد شرع للخاطب أن ينظر إلى المخطوبة فإنه إذا وقعت عينه على حسنها وجمالها كان ذلك أدعى إلى حصول المحبة والألفة بينهما ، قال صلى الله عليه وسلم " إذا أراد أحدكم خطبة امرأة فلينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها ، فإنه أحرى أن يؤدم بينهما"[٤٦٥]

وإذا وجد هذا كله وانتفت المناسبة والعلاقة والتوافق الذى بينهما تستحكم المحبة ، وربما لم تقع مطلقاً فإن التناسب والتوافق الذى بين الأرواح من أقوى أسباب المحبة [٤٦٦]

قال صلى الله عليه وسلم :" الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[٤٦٧]

463 الموسوعة الحديثة ، مسند الامام أحمد ، ج٣٦ ص، ٢٤، ١٥-١٦، ومسند أحمد ، ج٥، ص١٩٤، ج٦، ص ٤٥٠

464 سورة النورن آية ٣٠-٣١

465 مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٣٩، ص ١٥-١٦، والشوكانى ، نيل الأوطار ، ج٦، ص٢٣٩، ومسند أحمد ، ج٥، ص ١٦٨

466 ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ٨٣، ٨٤

467 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٦، ص ١٨٥

وقال الشاعر[٤٦٨]:-

وما الحُب من حُسن ولا من ملاحةٍ ولكنه شيء به الروح تكلف[٤٦٩]

وإذا كانت المحبة بالتوافق ثبتت وتمكنت ولم يذهبها إلا مانع أقوى من السبب ، وإذا لم تكن بالتوافق فهى محبة لغرض من الأغراض تزول عند انقضائه ، فمن أحبك لغرض ذهب عند أخذه أي أن محبة الغرض سريعة الزوال وغير باقية أما إن كان صفة لا زمة فمحبته باقية ببقاء داعيها ما لم يعارضه معارض يوجب زوالها ، وهو إما تغير حال من الحب أو أذى من المحبوب ، فإن الأذى إما أن يضعف المحبة أو يزيلها، وهناك من يرى أن الحب الصحيح لا يزيله الأذى ولا تنقصه الجفوة بل المحب يلتذ بأذى محبوبه له

والبعض يرى أن الأذى مزيل للحب فإن الطباع مجبولة على كراهة من يؤذيها وأن القلوب مجبولة على حب من يحسن إليها .

ولكن الواقع يجتمع في القلب بغض أذى الحبيب وكراهته ومحبته من جانب آخر فيحبه ويبغض آذاه والأقوى منه يخفى الضعفيف.

وكذلك أيضا كم من محب غير محبوب وبهذا تكون المحبة ألوان وأفضلها محبة المتحابين في الله عزوجل[٤٧٠]

قال صلى الله عليه وسلم :" سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ورجل قلبه معلق في المسجد ورجلان تحابا في الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها قال إنى أخاف الله ورجل تصدق فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه"[٤٧١]

---

468 الشاعر هو : محمد بن داوود الظاهرى ، وهو أديب شاعر مناظر قال الصفدى الامام ابن الامام من اذكياء العالم ، أصبهانى الأصل ولد وعاش ببغداد وكان يلقب بعصفور الشوك الصفرته ونحافة جسمة ، وهو ابن الامام داوود الظاهرى الذى تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، قتل سنة ٢٩٧هـ، النجوم الزاهرة ، ج٣، ص ١٧١، وفيات الأعيان ، ج١، ص ٤٧٨، والمسعودى ، ج٨ ً ٢٥٤

469 ابن القيم روضة المحبين ، ص ٨٥

470 ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ، ص ٨٧-٩٢

471 صحيح البخارى ، ج٨، ص ٢٠ ، والترمذى ، ج٤، ص ٥٩٨

ولكل نوع من المحبة علامات يستدل بها عليها منها:-

١. ادمان النظر إلى الشئ لإن العين باب القلب وهى المعبرة عن ضمائره والكاشفة لأسراره وهى في ذلك أبلغ من اللسان ، لأن دلالتها حالية بغير اختيار صاحبها ودلالة اللسان لفظية تابعة لقصده فترى ناظرالمحب يدور مع محبوبه حيث دار.

٢. غض بصره عند نظر محبوبه إليه وذلك لمهابته وحيائه منه وعظمته في صدره ولهذا اخبر الله تعالى عن كمال أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء قال تعالى:" ما زاغ البصر وما طغى"[٤٧٢] ، أي أن البصر لم يزغ يميناً وشمالاً متجاوزاً إلى ما هورائيه.

٣. كثرة ذكر المحبوب ، فمن أحب شيئاً أكثر م ذكره بقلبه ولسانه ولهذا أمر الله تعالى بذكره في كل الأحوال ، قال تعالى :" واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون"[٤٧٣]

٤. الانقياد لأمر المحبوب وايثاره طلب المحب ، بل يتحد طلب المحب والمحبوب أي يكون مراد المحب والحبيب واحداً ، والاتحاد علامة المحبة الصادقة .

والمحبون ثلاثة أقسام :

١. منهم من يريد من المحبوب

٢. من يريد المحبوب

٣. من يريد مراد المحبوب مع ارادته للمحبوب وهذا أعلى أقسام المحبين

وزهده أعلى أنواع الزهد، لأنه زهد في كل إرادة تخالف مراد محبوبه ، قال تعالى " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"[٤٧٤]

فجعل الله تعالى متابعة رسوله سبباً لمحبتهم لله ، وكون العبد محبوباً لله أعلى من كونه محباً لله فالأهم أن يحبك الله تعالى ، فالطاعة للمحبوب عنوان محبته.

---

472 سورة النجم ، آية ١٧

473 سورة الجمعة ، آية ١٠

474 سورة آل عمران ، آية ٣١

٤. قلة صبر المحب عن المحبوب وينصرف صبره إلى الصبر على طاعته ، والصبر عن معصيته ، والصبر على أحكامه .

٥. الإصغاء إلى كلامه وحديثه بقلبه وكل جوارحه ، والمحبون ألذ شيء لهم ولقلوبهم سماع كلام محبوبهم ، لذلك ألذ شيء لأهل المحبة هو سماع القرآن الكريم.

عن ابن مسعود قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اقرأ على ، قلت : اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال إنى احب أن اسمعه من غيرى، فقرأت عليه من أول سورة النساء حتى إذا بلغت قوله تعالى :" فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً"[٤٧٥]، قال حسبك الآن ، فرفعت رأسى فإذا عيناه تذرفان"[٤٧٦]

٦. محبة دار المحبوب ومنزله وحتى المكان الذى جلس فيه لهذا تعلقت القلوب بمحبة الكعبة البيت الحرام ، حتى هجر المحبون الأوطان والأحباب والأموال والأولاد، واحتملوا في الوصول غاية العذاب والمشاق. وسر هذه المحبة هي إضافة الله تعالى له نفسه ، قال تعالى:" وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود"[٤٧٧]

٧. الإسراع إليه في السير وطى المنازل في الوصول إليه ، والاجتهاد في القرب والدنو منه ، وطرح الأشغال الشاغلة عنه ، والزهد فيها والرغبة في كل ما يقرب إليه .

٨. محبة أحباب المحبوب وجيرانه وخدمه وما يتعلق به ، حتى حرفته وآنيته وطعامه ولباسه.

٩. قصر الطريق حين يزوره كأنها تطوى له وطولها إذا انصرف عنه وان كانت قصيرة ، وقال الشاعر:

وتدنو الطريق إذا زرتكم وتبعد إذا انثنى راجعاً

---

475 سورة النساء ، آية ٤١

476 صحيح البخارى ، ج٥، ص ١٨٠، ج٦، ص١١٣-١١٤، ج٨، ص ١٥٦، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج٦، ص ٨٧

477 سورة الحج ، آية ٢٦

١٠. انجلاء الهم والغم إذا زار محبوبه أو زاره وعودتها إذا فارقه ، لأنه ليس للمحب فرحة ولا سرور ولا نعيم الا بمحبوبه ، وبمفارقة المحبوب عذاب الآجل والعاجل، قال الشاعر:

يزور فتنجلى عنى همومى لأن جلاء حزنى في يديه

ويمضى بالمسرة حين يمضى لأن حوالتى فيها عليه

١١. شدة الروعة والفزع والاضطراب ولاسيما إذا رأى مجبوبه فجأة أو طلع عليه بغتة كما قال الشاعر:

فما هو الا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب

١٢. غيرته لمحبوبه وعلى محبوبه ، فالغيرة له أن يكره ما يكره ، ويغار إذا عُصى محبوبه وانتهك حقه وضيع أمره ، والدين كله تحت هذه الغيرة.

فأقوى الناس ديناً أعظمهم غيرة، وقد قال صلى الله عليه وسلم :" أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير منى"[٤٧٨]

فمحب الله ورسوله يغار لله ولرسوله على قدر محبته واجلاله وإذا ذهبت هذه الغيرة من القلب ذهبت منه المحبة ، بل ذهب منه الدين ، وإن بقيت فيه آثاره ، وهذه الغيرة أصل الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهى تحث على ذلك فإن ذهبت من القلب لم يجاهد ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، ولذلك جعل الله تعالى علامة محبته الجهاد.

قال تعالى:" ياأيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم"[٤٧٩]

478 مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٣٩، ص ٤٤٨

479479 سورة آل عمران ، آية ٥٤

١٣. بذل المحب في رضا محبوبه ما يقدر عليه حتى انه ليبذل نفسه دون محبوبه ومن آثر محبوبه بنفسه فهو بماله أشد ايثاراً ، قال تعالى:" النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم"[٤٨٠]

ولا يتم لهم الايمان حتى يكون الرسول أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم وآبائهم ، قال صلى الله عليه وسلم :"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس آجمعين"[٤٨١]

١٤. سروره بكل ما يسر به محبوبه ولكن كل محبة لغير الله تعالى عذاب لصاحبها وحسرة إلا محبته تعالى ومحبة ما يدعو إلى محبته ويعين على طاعته ومرضاته ، فهذه هي التي تبقى في القلب يوم تبلى السرائر، قال تعالى :" إذا تبرأ الذين أُتبعوا من الذين اتبعوا ورأو العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار"[٤٨٢]

١٥. حب الوحدة والانس بالخلوة وان ظفر بمحبوبه أحب خلوته به وكره من يدخل بينهما ، فهو أنيسه وجليسه لا يستأنس بسواه فهو متوحش ممن يشغله عنه.

١٦. استكانه المحب لمحبوبه وخضوعه وذله له وكثير يعد ذله عزا، ومتى استحكم الذل والحب صار عبودية ، فيصير قلب المحب عابداً لمحبوبه وهذه الرتبة ينبغي أن لا تتعلق بمخلوق إلا لله تعالى وحده.

١٧. امتداد النفس وتردد الأنفاس وتصاعدها وهو نوعان:

احدهما: ما يقارنه حزن ولهف

والثانى: ما يكون سببه طرباً ولذة

480 سورة الآحزاب ، آية ٦

481 البخارى ، ج١، ص٩

482 سورة البقرة ، آية ١٦٦-١٦٧

١٨. هجرة كل سبب يبعده من محبوبه ويبغضه المحبوب وارتياحه لكل سبب يقربه منه ويشكر به عنده إذا بلغه عنه.

وكثير منهم دفعهم الحب إلى اكتساب المعانى والفضائل لعلمه بأن المحبوب يعظمه ويحبه وهذا نوعان:

الأول:- أن يكون المحبوب محباً لهذا الشئ ، فالمحب يبذل جهده لينال منه أعلاه إن استطاع ، فإن كان المحبوب مشغوفاً بجمع المال أثر ذلك في محبه شغفاً أشد من شغفه ، وان كان مشغوفاً بالعلم اجتهد المحب في طلبه أشد منه.

الثانى:- أن يكون المحبوب فارغاً من محبة ذلك وإيثاره ، ولكن المحبة تستخرج من قلب المحب عزماً وإرادة وحرصاً على ما يعظم به في عين المحبوب وقلبه ، فنجده أحرص الناس على ذلك بحسب استعداده وقدراته.

فالمحبة النافعة أن تقع على عشق كامل يدفعك عشقه على طلب الكمال والمصيبة أن تبتلى بمحبة فارغ طالح صغر من كل خير فيدفعك حبه على التشبه به.

١٩. الاتفاق بين المحب والمحبوب ، فكثيراً ما يمرض المحب بمرض محبوبه ويتحرك بحركته ويتكلم بكلامه اتفاقاً.

وتقوى هذه الموافقة حتى يعلم المحب بكثير من أحوال محبوبه وهو غائب عنه ، وهذا بحسب التعلق به وتوجه القلب إليه واتحاد مراده بمراده ، وربما اتفقا في المرض والصحة والفرح والحزن[٤٨٣].

أقسام القلوب عند ابن القيم:-

قسم ابن القيم القلوب إلى ثلاثة أقسام هي :-

١. القلب الصحيح : وهو القلب السليم ،الذى لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به ، قال تعالى :" يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم"[٤٨٤]

[483] ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ، ص ٢٥٢-٢٨٠

[484] سورة الشعراء ، آية ٨٨-٩٨

فالسليم القلب الذى قد صارت السلامة صفة ثابتة له ، أي أنه سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة.

وهو الذى سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما ، بل خلصت عبوديته لله تعالى : إرادة ومحبة وتوكلاً وانابة وخشية ورجاء ، وخلص عمله لله ،فإن أحب أحب في الله وإن أبغض أبغض في الله ، وإن اعطى أعطى لله ،وان منع منع لله

٢. القلب الميت : وهو الذى لا حياة به ، فهو لا يعرف ربه ، ولا يعبده بأمره ، بل هو مع شهواته ولذاته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، فهو متعبداً لغير الله تعالى حُباً وخوفاً وسخطاً وتعظيماً وذلاً.

إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه وإن أعطى أعطى لهواه وإن منع منع لهواه ، فالهوى امامه والشهوة قائده ،والجهل سائقه والغفلة مركبه ، الدنيا تسخطه وترضيه ، والهوى يُصمه عما سوى الباطل ويعميه.

٣. القلب المريض:" قلب له حياة وبه علة ، فله مادتان تمده هذه مرة ، وهذه أخرى وهو لمن غلب عليه منهما. ففيه من محبة الله تعالى والايمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته. وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعُجب وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه ، وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة وداع يدعوه إلى العاجلة ، وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً ، وأدناهما إليه جواراً[٤٨٥].

وقد جمع الله تعالى القلوب الثلاثة في قوله تعالى:" وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ، ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض

485 ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق / محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج١، ص١٣-١٥

والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قوبهم وإن الله لهاد الذين ءامنوا إلى صراط مستقيم"[٤٨٦]

وفى الآيات السابقة جعل الله تعالى القلوب ثلاثة :-

قلبين مفتونين وقلبا ناجياً

فالمفتونان :- القلب الذى فيه مرض ، والقلب القاسى

والناجى : القلب المؤمن المخبت إلى ربه ، وهو المطمئن الخاضع المستسلم المنقاد لله تعالى.

فالقلب الصحيح السليم ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه ، فهو صحيح الإدراك للحق تام الانقياد والقبول له .

والقلب الميت القاسى : لا يقبله ولا ينقاد له .

والقلب المريض: إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسى ، وإن غلب عليه صحته التحق بالسليم[٤٨٧]

وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم القلوب إلى أربعة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" القلوب أربعة ، قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافة ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافرين ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم ، فأى المادتين غلب على الأخرى غلب عليه"[٤٨٨]

القلب الأجرد:- أي متجرد مما سوى الله ورسوله ، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق، وفيه سراج يزهر وهو مصباح الإيمان ، أي سليم من شبهات الباطل وشهوات

---

486 سورة الحج ، آية ٥٢-٥٤

487 ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ج١، ص ١٥

488 مسند أحمد ، ج٣، ص١٧

الغى وبحصول السراج فيه أي استنارته بنور العلم والايمان ، والقلب الأغلف قلب الكافر لأنه داخل غلافه لا يصل إليه نور العلم والايمان كما قال الله تعالى عن اليهود ، "وقالوا قلوبنا غلف"[٤٨٩]

والله تعالى جعل على قلوب الكافرين غشاوة وهذه الغشاوة هي الأكنة والوقر في الأسماع وعمى في الابصار وهى الحجاب المستور عن العيون ، قال تعالى " وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ، وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفى ءاذانهم وقراً"[٤٩٠]

وأشار بالقلب المنكوس وهو المكبوب إلى قلب المنافق ، قال تعالى :" فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا"[٤٩١]

أي ردهم في الباطل الذى كانوا فيه بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة وهذا شر القلوب واخبثها ، فيعتقد الباطل حقاً ويوالى أصحابه ، والحق باطلا ويعادى أهله.

وأشار بالقلب الذى له مادتان إلى القلب الذى لم يتمكن فيه الايمان حيث لم يتجرد للحق المحض الذى بعث الله به رسوله بل أحيانا يكون للكفر أقرب منه للايمان ، واحياناً يكون الإيمان أقرب والحكم للغالب وإليه يرجع[٤٩٢]

أمراض القلب:-

أمراض القلب نوعان:-

١. الأول لا يتألم به صاحبه في الحاضر وهو متقدم كمرض الجهل والشهوات والشبهات والشكوك ، وهو أكثر النوعين ألماً ، ولكن لفساد القلب لا يُحس بالألم ولأن سكره الجهل والهوى تمنع إدراك الألم مع أن ألمه حاضر فيه وهو مخفى عنه لإنشغاله بضده

489 سورة البقرة ، آية ٨٨
490 سورة الإسراء ، آية ٤٥-٤٦
491 سورة النساء ،آية ٨٨
492 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج١، ص١٥-١٨

- وهذا أخطر واصعب المرضين وعلاجه باتباع ما جاء به الأنبياء والرسل.
- وهذا النوع إن لم يتداركها صاحبها بالادوية الإيمانية سببت له الشقاء والعذاب الدائم. قال تعالى :" اقتلوهم يعذبهم الله بأيدكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء"[٤٩٣]
- فأمر الله تعالى بقتال عدوهم وأخبرهم أن فيه عدة فوائد
- الغيظ يؤلم القلب وعلاجه في شفاء غيظه ، فإن شفاه بحق اشتفى وإن عالجه بظلم وباطل زاده مرضاً من حيث ظن أنه يشفيه .وهو كمن عالج مرض العشق بالفجور بالمعشوق ، فهذا يزيد مرضه ويسبب أمراضاً أخرى أصعب من مرض العشق
- والغم والحزن والهم أمراض وعلاجها بأضداداها من الفرح والسرور ، فإن عالجه بحق برئ وإن كان بباطل استتر وبقى وسبب أمراض أصعب وأخطر.
- والجهل مرض يؤلم القلب ، فهناك من يداويه بعلوم لا تنفع ويعتقد أنه شُفى من مرضه بتلك العلوم ، ولكن تزيده مرضاً إلى مرضه لأنه شغل القلب عن ادراك الألم الذى فيه بسبب جهله بالعلوم النافعة ، وقال صلى الله عليه وسلم في الذين أفتو بالجهل فمات المستفتى بفتواهم :" قتلوه قتلهم الله ، الا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإنما شفاء العى السؤال"[٤٩٤]
- فجعل الجهل مرضاً وعلاجه سؤال أهل العلم

عن جابر قال :" خرجنا في سفر فأصاب رجل منا حجر ، فشجه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لى رخصة في التيمم ؟ فقالوا ما نجد لك رخصة

[493] سورة التوبة ،آية ١٤-١٥

[494] الشوكانى ، نيل الأوطار ، ج١، ص٣٢٣، ومسند أحمد ، ج١، ص ٣٣٠، وابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ج١، ص ١٠٥

وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك ، فقال :" قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العى السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم"[٤٩٥]

والشاك في الشئ يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين ، وإذا حصل له اليقين قيل ثلج صدره وهو أيضا يضيق بالجهل والضلال وينشرح بالهدى والعلم قال تعالى:" فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء"[٤٩٦]

٢. النوع الثانى : مرض مؤلم له في الحاضر كالهم والغم والحزن والغيظ، وهذا قد يزول بإزالة أسبابه أو بعلاجه بما يضاد تلك الأسباب

- والقلب قد يتألم بما يتألم به البدن ويشقى بما يشقى به البدن، وكذلك القلب يتألم ويشقى بما يتألم به البدن.
- وأمراض القلب التي تزول بالأدوية الطبيعية مثل أمراض البدن ، قد لا توجب وحدها الشفاء والعذاب بعد الموت[٤٩٧].

علاج أمراض القلب:-

قال تعالى :" يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور"[٤٩٨]،

وقال تعالى:" وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين"[٤٩٩]

---

[495] الشوكانى ، نيل الأوطار ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣هـ ، ج١، ص ٣٢٣، ومسند احمد ، ج١، ص ٣٣٠

[496] سورة الآنعام ، آية ١٢٥

[497] ابن القيم ،إغاثة اللهفان ، ج١، ص ٢٣-٢٤

[498] سورة يونس ،آسة ٥٧

[499] سورة الآسراء ، آية ٨٢

- والقرآن الكريم شفاء لكل أمراض القلب ، ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل ، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والادراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه.
- ففي القرآن شفاء في داء الشُبه والشكوك ، وهذا يتوقف على فهمه ومعرفة المراد منه ، فمن رزقه الله تعالى ذلك أبصر الحق والباطل بقلبه كما يرى الليل والنهار ، وعرف أن ما عداه من كتب الناس وآرائهم انما هي علوم لائقة بها وهى آراء وتقليد وظنون كاذبة لا تغنى عن الحق شيئاً، وهناك علوم صحيحة قد ركبوا المصاعب إلى تحصيلها وإثباتها مع قلة نفعها.

ومن المحال أن لا يحصل الشفاء والهدى والعلم واليقين من كتاب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويحصل من كلام هؤلاء المتشككين الشاكين.

ويقول ابن القيم لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلاً ولا تروى غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن[٥٠٠]

قال تعالى:" الرحمن على العرش استوى"[٥٠١]، وقال تعالى:" إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه"[٥٠٢]، وقال تعالى:" ولا يحيطون به علماً"[٥٠٣]

- وأما شفاؤه لمرض الشهوات بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة ، فيرغب القلب السليم فيما ينفعه في معاشه ويبتعد عما يضره ، فيصبح القلب محباً للرشد مبغضاً للغى.
- فالقرآن مزيل للأمراض الموجهة للارادات الفاسدة فيصلح القلب فتصلح إرادته ، ويرجع إلى فطرته التي فطر عليها فتصلح أفعاله الاختيارية الكسبية

[500] ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج١،ص ٤٨-٤٩
[501] سورة طه ، آية ٥
[502] سورة فاطر ،آية ١٠
[503] سورة طه ، آية ١١٠

كما يرجع البدن بصحته وصلاحه إلى الحال الطبيعى فيصبح لا يقبل إلا الحق ، فيتغذى القلب من الايمان والقرآن بما يقويه كما يتغذى البدن بما ينميه ويقويه.

وكل من القلب والبدن محتاج إلى أن يتربى وينمو ويزيد حتى يكتمل ويصلح بما يليق له فالبدن بالطعام والحمية والقلب بالقرآن[٥٠٤].

زكاة القلب وطهارته :-

قال تعالى:" خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها"[٥٠٥]

فجمع بين شيئين الطهارة والزكاة لتلازمهما، فإن نجاسة الفواحش والمعاصى في القلب بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن. فالبدن إذا تخلص من الاخلاط الرديئة نما ، وكذلك القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة ، فأصبحت قوة القلب وارادته للخير

فوائد غض البصر:-

قال تعالى:" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ..."[٥٠٦]

اطلاق النظر من أقرب الوسائل إلى المحرم لذلك اقتضت الشريعة تحريمه واباحته للمصلحة الراجحة **ومن فوائد غض البصر ما يلى:-**

١. حلاوة الإيمان ولذته ، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، والنفس مولعة بحب النظر إلى الصور الجميلة ،والعين رائد القلب ، فإذا أخبره بحس المنظور إليه وجماله تحرك اشتياقاً إليه فيتعب ويتعب رسوله ورائده.

- فإذا انصرف الرائد عن المطالعة ارتاح القلب من الطلب والإرادة

504 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، المرجع السابق ، ج١، ص ٤٩-٥٠

505 سورة التوبة ، آية ١٠٣

506 سورة النور ، آية ٣٠-٣١

- فمن اطلق لحظاته دامت حسراته ، لأن النظر يولد المحبة فيتعلق القلب بالمنظور إليه ، ثم تقوى فتصبح صبابة ينصب إليه القلب بكليته ، ثم تقوى فتصبح غراماً يلزم القلب.ثم يقوى فيصبح عشقاً وهو الحب المفرط ، ثم يقوى فيصبح شغفاً وهو الحب الذى وصل إلى شغاف القلب وداخله ، ثم يقوى فيصبح تتيماً والتتيم التعبد ، ومنه تيمه الحب إذا عبده وتيمُ الله: عبدُ الله ، فيصبح القلب عبداً لمن لا يصلح أن يكون له عبداً، وهذا كله نتيجة النظر، ومن ثم يقع القلب في الأسر ، فيصبح أسيراً، ومسجوناً بعد أن كان مطلقاً.
- وهذا تبتلى به القلوب الفارغة من حب الله تعالى والإخلاص له ، قال تعالى عن يوسف عليه السلام:" كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين"[٥٠٧]

فأمراة العزيز مشركة وقعت فيما وقعت فيه مع أنها ذات زوج ، ويوسف عليه السلام كان مخلصاً لله تعالى نجا من ذلك مع أنه شاباً عزباً غريباً مملوكاً.

٢. نور القلب وصحة الفراسة

ذكر الله تعالى قصة قوم لوط وما ابتلو به ، ثم قال:" إن في ذلك لأيات للمتوسمين"[٥٠٨]، وهم المتفرسون الذين سلموا من النظر المحرم والفاحشة.

أي أن الجزاء من جنس العمل فمن غض بصره عما حرم الله تعالى عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه فشاهد ما لم يشاهد من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى.

507 سورة يوسف ، آية ٢٤
508 سورة الحجر ، آية ٧٥

وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه فالقلب كا لمرآة والهوى كالصدا فيها ، فإذا نظفت المرآة من الصدأ انطبقت فيها صور الحقائق كما هي عليه ، وإذا صدئت لم تنطبع فيها صور المعلومات.

٣. قوة القلب وثباته وشجاعته ، فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصرة كما أعطى بنوره سلطان الحجة ، فيجمع له بين السلطانين ويهرب الشيطان منه. والله تعالى جعل العز لمن أطاعه والذل لمن عصاه، قال تعالى:" ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين"[٥٠٩]، وقال تعالى :" ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين"[٥١٠]

أي من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله تعالى بالكلام الطيب والعمل الصالح وقال بعضهم : الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله تعالى[٥١١]

٤. وقيل من كان ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم ومنع نفسه عن الشهوات ، وأكل من الحلال لم تخطئ فراسته ، والله تعالى يجزى العبد على علمه بما هو من جنسه فمن غض بصره عن المحارم لله تعالى أطلق الله تعالى نور بصيرته ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله تعالى عنه بصيرته

٥. بسبب نور القلب يفتح الله تعالى له طرق العلم وأبوابه ويسهل عليه أسبابه ، ومن أطلق بصره تكدر عليه قلبه وأظلم وانسد عليه باب العلم وطرقه.

٦. يورث القلب سروراً وانشراحاً اعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر ، وهذا لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه فانه عندما منع لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء عوضه الله تعالى مسرة ولذة أكمل منها.

---

[509] سورة المنافقون ، آية ٨

[510] سورة آل عمران ، آية ١٣٩

[511] ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج١، ص ٥١-٥٣

٧. يخلص القلب من أسر الشهوة ، فالأسير هو أسير شهوته وهواه ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن مه عدوه وسامه سوء العذاب.

٨. يسد عنه باباً من أبواب جهنم لأن النظر باب الشهوة التي تحث على عمل الفعل وتحريم الله تعالى حجاب مانع للفعل الحرام ، وإذا هتك الحجاب أولع بالمحذور ، والنفس لا تقنع بغاية تقف عندها ، لأن لذتها في الجديد ولا تقنع بالقديم وإن كان احسن منه منظراً وأطيب داخلاً.

٩. يقوى العقل فإطلاق البصر لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب ، فخاصة العقل ملاحظة العواقب

١٠. يخلص القلب من سُكر الشهوة والغفلة لأن اطلاق البصر يوجب الغفلة عن الله تعالى والدار الآخرة ويوقع في سكره العشق ، كما قال تعالى عن عشاق الصور[٥١٢] :" لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون"[٥١٣]

المحبة عند ابن الجوزى

تعريف العشق عند ابن الجوزى

العشق هو شدة ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها ،فإذا قوى فكرها فيها تصورت حصولها وتمنت ذلك فيتجدد من شدة الفكر مرض[٥١٤]

العشق: مرض يعترى النفوس العاطلة والقلوب الفارغة والمتلمحة للصور لدواع من النفس ويساعدها إدمان المخالطة فتتأكد الألفة ويتمكن الأنس فيصير بالادمان شغفاً وما عشق إلا فارغ فهو من علل البطالين[٥١٥]

مراتب العشق:-

١. أولها الاستحسان للشخص

[512] ابن القيم ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ص١١٢-١٢٠
[513] سورة الحجر ، آية ٧٢
[514] ابن الجوزى ، ذم الهوى ، ص٢٩٣
[515] المرجع السابق ، ص ٣٠١

٢. ثم تأتى إرادة القرب منه
٣. المودة وهو أن يود أن لو ملكه
٤. يقوى الود فيصبح محبة
٥. ثم يقوى فيصير خلة ثم يصير هوى فيهوى بصاحبه في محاب المحبوب من غير تمالك
٦. ثم يصير عشقاً
٧. ثم يصير تتيماً ، والتتيم حاله يصير بها المعشوق مالكاً للعاشق ولا يوجد في قلبه سواه
٨. ثم يزيد التتيم فيصير ولهاً والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن أحوال التمييز.

أسباب الحب والعشق عند ابن الجوزى:-

النفوس تنقسم في الحب والعشق إلى ثلاث:

١. نفس ناطقة ومحبتها منصرفة إلى المعارف واكتساب الفضائل
٢. نفس حيوانية عصبية محبتها منصرفة نحو القهروالغلبة والرياسة
٣. نفس شهوانية محبتها منصرفة إلى المآكل والمشارب والمناكح

والشرح يكون حول النفس الشهوانية **فمن أسباب العشق ما يلى**

١. مصادفة النفس ما يلائم طبعها ، فتستحسنه وتميل إليه ، وأكثر أسباب المصادفة النظر ولا يكون ذلك باللمح بل بالتثبت في النظر وتكراره وإذا غاب المحبوب عن العين طلبته النفس ، واجتهدت في القرب منه ثم تمنت الاستمتاع به فيصير فكرها فيه وتصويرها إياه في الغيبة حاضراً وشغلها كله به فيتحدد من ذلك أمراض ينصرف الفكر إلى ذلك المعنى وكلما قويت الشهوة البدنية قوى الفكر في ذلك.

٢. سماع الغزل والغناء فذلك يصور في النفس نقوش صور فتتخمر خميرة صورة موصوفة ، ثم يصادف النظر مستحسناً فتتعلق النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف.

٣. يقع العشق لمجانس ، ويضعف ويقوى على قدر التشاكل ، قال صلى الله عليه وسلم:" الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[٥١٦]، فإذا شاهدت النفس من نفس نوع موافقة مالت إليها ، فإن كان التشاكل في المعانى كانت صداقة ومودة، وإن كان في معنى يتعقل بالصورة كان عشقاً ، ويوجد الملل والإعراض في بعض الناس لأن التجربة أبانت ارتفاع المجانسة والمناسبة.

- إذا كان سبب العشق نوع موافقة بين الشخصين في الطباع فكيف يحب أحدهما صاحبه والآخر لا يحبه؟
- فالجواب أنه يتفق في طبع المعشوق وما يوافق طبع العاشق ، ولا يتفق في طبع العاشق ما يلائم طبع المعشوق[٥١٧]
- وأتم أحوال النفس الشهوانية وجودها مع شهواتها من غير منغص
- وأتم أحوال النفس الحيوانية وجود غرضها في القهر والرياسة
- وأتم أحوال النفس الناطقة وجودها مدركة لحقائق الأشياء بالعلم والمعرفة وهذه النفس لا يستأسرها الهوى ، فإن أمالها طبعها ، أقامها فكرها لانها تتفكر فيما نابها فتتلمح منتهاه وترى غايته وليس من شأنها الوقوف لأنها في السير دائماً تترقى من علم الى علم والعاشق واقف مع صورة جامدة عن التحرك ، والعارف بالله تعالى لا يفتر عن السير ولا ينكر أن يقوى طبعه عليه في حال ، وتميل به المحبة للصور أحياناً ولكنه لا يصير أسيراً إنما يميل يسيراً[٥١٨]

516 البخارى ، صحيح البخارى ، ج٤، ص ١٠٤
517 ابن الجوزى ، ذم الهوى ، ص ٢٩٦-٢٩٩
518 المرجع السابق ، ص ٣٠٩-١١٠

٤. التفريط القبيح الذى جلب أصعب الجنايات على النفس محادثة النساء الأجانب والخلوى بهن والبعض يرى أنهم يثقون من أنفسهم بالامتناع من الزنا ويقنعون بالنظر والمحادثة وتلك الأشياء تعمل في الباطن وهم في غفلة عن ذلك الى أن هلكوا

وهذا هو الذى جنى على مجنون ليلى وغيره ما أخرجهم به إلى الجنون والهلاك وكان خطأهم من وجهين.

١. مخالفة الشرع الذى نهى عن النظرة والخلوة

٢. تعريض الطبع لما قد جبل على الميل إليه، ثم معاناة بعده وتراجعه عن ذلك فالطبع يغلب ، فإن غلب وقعت المعاصى وإن غُلب حصل التلف بمنع العطشان عن تناول الماء

وأمراض العشق تختلف ولذلك يختلف علاجها ، وليس علاج بداية المرض كعلاج من انتهى به المرض نهايته.

ويعالج هذا المرض إذا لم يصل إلى غايته ، فإذا بلغ الغاية أحدث الجنون والذهول ، وهذه حالة لا تقبل العلاج[٥١٩]

ذم العشق عند ابن الجوزى

اختلف الناس في العشق هل هو ممدوح أو مذموم؟

يرى البعض أنه ممدوح لأنه يكون من لطافة الطبع ولا يقع عند جامد الطبع ومن لم يجد منه شيئاً فذلك من غلظ طبعه.

والعشق يجلو العقول ويصفى الأذهان ما لم يفرط ، فإذا أفرط عاد سماً قاتلاً

يرى آخرون بل هو مذموم لأنه يستأسر العاشق ويجعله في مقام المستعبد

ويرى ابن الجوزى أن المحبة والود والميل إلى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يذم ، ولا يعدم ذلك إلا الحبيس من الأشخاص.

[519] ابن الجوزى ، ذم الهوى ، ص ٥٨٢-٥٨٣

والعشق الذى يزيد على حد الميل والمحبة فيملك العقل ويصرف صاحبه على غير مقتضى الحكمة، فهذا مذموم ويتحاشى من مثله الحكماء. والعشق يطلق اللسان ويفتح حيلة البليد ، ويبعث على التنظيف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو إلى الحركة والذكاء والهمة وإياكم والحرام .

والعشق فقط لأرعن بطال وأقل ما يكون لمشغول بصناعة أو تجارة فكيف المشغول بالعلوم والحكم؟ فانها تصرفه عن ذلك ولذا لا تكاد تجده في الحكماء

ضرر العشق في الدين والدنيا

ضرر العشق في الدين يشغل القلب عن الفكر فيما خلق له من معرفة الله تعالى ،والخوف منه والقرب إليه ، ثم بقدر ما ينال من موافقة غرضه المحرم يكون خسران آخرته، وتعرضه لعقوبة الله ، فكلما قرب من هواه بَعُدَ من مولاه ، فإذا كان المعشوق لا يباح اشتد القلق والطلب له ، فإن نال منه غرض فالعذاب الشديد في مقابلته.

أما ضر العشق في الدنيا يورث الهم الدائم والفكر والوسواس والأرق وقلة المطعم وكثرة السهر، ثم يتسلط على الجوارح فتنشأ الصفرة في البدن والرعدة في الأطراف واللجلجة في اللسان والنحول في الجسد ، فالرأس عاطل والقلب غائب عن تدبير مصلحته ، والدموع في غزارة والحسرات تتتابع ، والزفرات تتوالى ، والأنفاس لا تمتد والأحشاء تضطرم ، فإذا غشى على القلب اغشاء أخرجت إلى الجنون ، ومن ثم كم يجنى من جناية على العرض وربما أوقع في عقوبات البدن وإقامة الحد[٥٢٠]

ابن الجوزى والهوى

قال ابن الجوزى:" اعلم ان الآدمى لما خلق ركب فيه الهوى والشهوى ليجتلب بذلك ما ينفعه. ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه ، وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب. وخلق الشيطان محرضاً له على الاسراف في اجتلابه

[520] ابن الجوزى ، ذم الهوى ، ص٣١٣-٣١٤

واجتنابه ، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذى قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بنى آدم[٥٢١]، وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى:" ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء"[٥٢٢]

غلبة الهوى في تحصيل المطلوب فإنه قد يغلب فلا يترك سمعاً ولا بصراً[٥٢٣]

إن الهوى يحول بين المرء وبين الفهم للحال فلا يرى إلا قضاء شهوته ، وأكثر ما يقع هذا في مقاربة الفتنة ، وقل من يسلم عند المقاربة لأنه كتقديم نار إلى حلفا[٥٢٤]

ولو ميز العاقل بين قضاء وطره لحظة وانقضاء باقى العمر بالحسرة على قضاء ذلك الوطر لما قرب منه ولو أعطى الدنيا ، ولكن سكرة الهوى تحول بين الفكر وذلك. وكم معصية ذهبت في لحظتها كأنها لم تكن ثم بقيت آثارها.

والطريق الأمثل في الحذر أن لا يتعرض لسبب فتنة ولا يقاربه[٥٢٥]

مفهوم الهوى عند ابن الجوزى

الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه ، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه لأنه لولا ميله للمطعم والمشرب والمنكح ماأكل ولا شرب ولا نكح وكذلك كل مايشتهيه فالهوى مستجلب له ما يفيد ، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذى، فلا يذم الهوى على الاطلاق بل يذم المفرط وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار.

وعن ابن عباس أنه قال: ما ذكر الله تعالى الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه وقال الشعبى إنما سمى هوى لأنه يهوى بصاحبه.

---

521 ابن الجوزى ، نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، ب.ت، ص٢٣

522 سورة البقرة ،آية ١٦٨-١٦٩

523 ابن الجوزى ، صيد الخاطر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ب.ت، ص١٦٣

524 نوع من النبات يشتعل بسرعة

525 المرجع السابق ، ص٢٠٤

ومطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة دون فكر في عاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً، وإن كان سبباً للألم والأذى ومنع لذات في الآجل.

أما صاحب العقل والإرادة يمنع نفسه عن ذلك.

وبهذا فضل الإنسان على البهائم لأن البهائم واقفة مع طباعها لا نظر لها في عاقبة فهى تتناول ما يدعوها إليه الطبع من الغذاء إذا وجد وتفعل ما تحتاج إليه من الروث والبول أي وقت والإنسان يمتنع عن ذلك بقهر عقله لطبعه.

ومدمنى الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذونها ، ومع هذا لا يستطيعون تركها لأنها أصبحت عندهم كا العيش الأضطرارى ، ولهذا نرى مدمن الخمر والجمال لا يلتذ بذلك عشر التذاذ من لم يدمن ، غير ان العادة تقتضيه ذلك ، فيرمى نفسه في المهالك لنيل ما يقتضيه تعوده ولو زال رين الهوى عن بصر بصيرته لرأى أنه قد شقى من حيث أراد السعادة واغتم من حيث ظن الفرح وتوجع من حيث أراد اللذة فهو كا الحيوان المخدوع بحب الفخ لا هو نال ما خدع به ، ولا أطاق التخلص مما وقع فيه

والتخلص من هذا لمن وقع فيه.

بالعزم القوى في هجران ما يؤذى والتدرج في ترك ما لايؤمن أذاه ، وهذا يحتاج إلى صبر ومجاهدة

التخلص من الهوى

١. التفكر في أن الإنسان لم يخلق للهوى وإنما للنظر في العواقب والعمل لاجل ، لهذا تساق البهائم إلى منحرها وهى منهمكة على شهواتها لفقدان العلم بالعواقب

٢. أن يفكر في عواقب الهوى كم أفات من فضيلة وكم قد أوقع في رذيلة وكم من مطعم أوقع في مرض، ولكن صاحب الهوى لا يرى إلا الهوى

٣. أن يتصور العاقل انقضاء غرضه من هواه ، ثم يتصور الأذى الحاصل بعد اللذة.

٤. أن يتصور ذلك في حق غيره ثم يتلمح عاقبته بفكره ، فإنه سيرى ما يعلم به عيبه إذا وقف في ذلك المقام

٥. أن يتفكر فيما يطلبه من اللذات، فإنه سيخبره العقل أنه ليس بشئ وإنما عين الهوى عمياء

٦. أن يتدبر عز الغلبة وذل القهر فإنه ما من احد غلب هواه إلا أحس بقوة عز، وما من أحد غلبه هواه إلا وجد في نفسه ذل القهر

٧. أن يتفكر في فائدة المخالفة للهوى من اكتساب الذكر الجميل في الدنيا وسلامة النفس والعرض، والآجر في الآخرة ، ثم يعكس فيتفكر لو وافق هواه في حصول عكس ذلك على الأبد ، وليفرض لهاتين الحالتين حالتى آدم ويوسف عليهما السلام في لقمة هذا وصبر هذا.

من كان يوسف عليه السلام لو نال تلك اللذة فلما تركها وصبر عليها بمجاهدة ساعة ، صار من عرفت[٥٢٦]

والصبر ينقسم قسمين : صبر عن المحبوب وصبر على المكروه ، فالطاعة مفتقرة إلى الصبر عليها ، والمعصية مفتقرة إلى الصبر عنها ، ولما كانت النفس مجبولة على حب الهوى ، فكانت بالطبع تسعى في طلبه أفتقرت إلى حبسها عما تؤذى عاقبته ، ولا يقدر على استعمال الصبر إلا من عرف عيب الهوى وتلمح عقبى الصبر ، فحينئذ يهون عليه ما صبر عليه وعنه، وحث الله تعالى على الصبر في القرآن وأمر به ومدح أهله ومذكور في نحو سبعين موضعاً من القرآن[٥٢٧]

قد مدح الله تعالى مخالفة الهوى فقال:" ونهى النفس عن الهوى"[٥٢٨] ، أي نهى النفس عما حرم الله عليها

---

526 ابن الجوزى ، ذم الهوى، ص ١٢-١٥

527 ابن الجوزى ، ذم الهوى ، ص ٥٨

528 سورة النازعات ،آية ٤٠

قال مقاتل: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها ، قال تعالى:" ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطاً"[٥٢٩]

قال تعالى :" فإن لم يستجيبوا لك فأعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله"[٥٣٠]وقال تعالى :" أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم"[٥٣١]

قال صلى الله عليه وسلم :" حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات"[٥٣٢]

وقال صلى الله عليه وسلم :" أن مما أخشى عليكم شهوات الغى في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن"[٥٣٣]، وقال صلى الله عليه وسلم :" حبك الشئ يعمى ويصم"[٥٣٤]

النفس مجبولة على حب الهوى ، وافتقرت إلى المجاهدة والمخالفة ، وإذا لم تزجر عن الهوى هجم عليها الفكر في طلب ما شغفت به ، فأستأنست بالآراء الفاسدة والأطماع الكاذبة ، والأمانى العجيبة[٥٣٥]

ما يعين على الآخرة :-

تأمل بين الدنيا والآخرة

حوادث الدنيا حسية طبيعية ، والحسيات أقوى جذباً لمن يقو علمه ويقينه ، والحوادث تبقى لكثرة أسبابها فمخالطة الناس ، ورؤية المستحسنات والتعرض بالملذوذات يقوى حوادث الحس.

---

529 سورة الكهف ، آية ٢٨

530 سورة القصص ، آية ٥٠

531 سورة محمد ، آية ١٤

532 مسند أحمد ، ج٣، ص ١٥٣، وسنن الترمذى ، الجامع الصحيح ، ج٤، ص ٦٩٣، ومجموعة الحديث النجدية ، ص ٣٩٨

533 مسند أحمد ، ج٤، ص ٤٢٠

534 مسند أحمد ، ج٥، ص١٩٤، ج٦، ص ٤٥٠، ومسند احمد الموسوعة الحديثة ، ج٣٦، ص ٢٤

535 ذم الهوى ، ابن الجوزى ، ص ٣٦

أما حوادث الآخرة إيمانية يقينية ، والعزلة والفكر والنظر في العلم يقوى حوادث الآخرة.

ويوضح ذلك بأن الإنسان إذا خرج يمشى في الأسواق ويشاهد زينة الدنيا ثم دخل إلى المقابر فتفكر ورق قلبه فإنه يحس ويدرك بين الحالتين فرقاً كبيراً بيناً

وسبب ذلك التعرض بأسباب الحوادث

فعليك بالعزلة والذكر والنظر في العلم ،فإن العزلة حمية والفكر والعلم أدوية ، والدواء مع التخليط لا ينفع ، وقد تمكنت منك أخلاط المخالطة للخلق ، والتخليط في الأفعال فليس لك دواء إلا ما سبق ، وإذا خالطت الخلق وتعرضت للشهوات ثم رُمت صلاح القلب رمت الممتنع[٥٣٦]

حب الإنسان لما منع

تحرص النفس على ما منعت منه ، وحرصها يزيد على قدر قوة المنع ، فإن آدم عليه السلام عندما نهى عن الشجرة حرص عليها مع كثرة الأشجار المغنية عنها. قال تعالى:" "وقلنا يآءدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً جيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"[٥٣٧]

وقال تعالى :" وياءادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظلمين"[٥٣٨]

وفى الآمثال المرء حريص على ما منع ، وتواق إلى ما لم ينل ، ويقال: لو أُمر الناس بالجوع لصبروا ولو نهوا عن تفتيت البعر لرغبوا فيه ، وقالوا: ما نهينا عنه إلا لشئ وقيل أيضاً أحب شيئ إلى الإنسان ما منع والسبب في حب الإنسان إلى ما منع سببين:-

536 ابن الجوزى ، صيد الخاطر ، المكتبة العلمية ، دار البيان للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، ص ٤٠

537 سورة البقرة ، آية ٣٥

538 سورة الآعراف ، آية ١٩

١. أن النفس لا تصبر على الحصر فإنه يكفى حصرها في صورة البدن ، فإذا حصرت في المعنى بمنع زاد طيشها ، لذلك لو جلس الأنسان في بيته شهراً لم يصعب عليه ولو قيل له لا تخرج من بيتك يوماً طال عليه.

٢. أن النفس يشق عليها الدخول تحت حكم ، ولهذا تستلذ الحرام ولا تكاد تستطيب المباح.

ولذلك يسهل عليها التعبد على ما ترى، وتؤثره على ما يؤثر[٥٣٩]

المحبة عند الغزالى

حقيقة المحبة عند الغزالى

١. المحبة لا تتم إلا بعد معرفة وإدراك حيث لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ، لذلك لا يتصف بالحب جماد لأنه من خاصية الحى المدرك

والمدركات تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه وإلى ما فيه وينافره ويؤلمه ، فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك ، وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك ، والذى يخلو عن استعقاب ألم ولذة لا يوصف محبوباً ولا مكروهاً

فكل لذيذ محبوب عند الملتذ به أي في الطبع ميلاً إليه والمبغوض في الطبع نفرة عنه

أي أن الحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشئ الملذ وإذا تأكد وقوى الميل سمى عشقاً

والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب وإذا قوى سمى مقتاً

٢. بما أن الحب تابع للادراك والمعرفة فإنه ينقسم حسب المدركات والحواس لأن لكل حاسة إدراك نوع من المدركات واللذة ، وللطبع السليم ميل لهذه المحبوبات

[539] ابن الجوزى ، صيد الخاطر ، ص ٤٠-٤١

أ- فلذة العين الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصورة الحسنة

ب-ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة الرقيقة

ت-ولذة الشم في الروائح الطيبة العطرة

ث-ولذة الذوق في الطعوم

ج-ولذة اللمس في اللين والنعومة

وقال صلى الله عليه وسلم :" حبب إلى من دنياكم ثلاث ، الطيب والنساء وجعل قرة عينى في الصلاة"[٥٤٠]

فالطيب محبوب ولا حظ للعين والسمع فيه ، بل للشم فقط

والنساء محبوبات وهن للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع

وسميت الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ولا تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس هو القلب ولا يدركه إلا من كان له قلب

ولأن الحواس الخمس تشارك فيه البهائم الإنسان ، والبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشد ادراكاً من العين وجمال المعانى المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار، وميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى والحب ميل إلى ما في ادراكه لذة.

إذاً لا ينكر حب الله تعالى إلا من وصل به قصوره إلى درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلاً

٣. إن الإنسان يحب نفسه وقد يحب غيره لأجل نفسه[٥٤١]

ظاهر الحب وباطنه

[540] مسند أحمد ، دار الفكر العربى ، ج٣، ص ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥

[541] أبى حامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، ج٤، ص ٢٧٣

وقيل للمحبة ظاهر وباطن

ظاهرها:- اتباع رضا المحبوب ، وباطنها أن يكون مفتوناً بالحبيب عن كل شيء ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه ، ومن الأحوال السنية في المحبة الشوق ولا يكون المحب إلا مشتاقاً أبداً ، لأن أمر الحق تعالى لا نهاية له فما من حال يبلغها المحب إلا ويعلم أن ما رواء ذلك أو في ذلك منها ، وهذا الشوق الحادث عنده ليس من كسبه وإنما هو موهبة خص الله بها المحبين.

قال الواسطى في قوله تعالى:" وعجلت إليك رب لترضى"[٥٤٢]، أي شوقاً واستهانة بمن وراءه ،

:" قال هم أولاء على أثر" من شوقه إلى مكالمة الله تعالى ورمى بالالواح فما فاته من وقته.

وقال أبو عثمان: الشوق ثمرة المحبة ، فمن أحب الله اشتاق الى لقائه وسأل بعضهم ، هل الشوق أعلى أم المحبة ، فقال: المحبة ، لأن الشوق يتولد منها فلا مشتاق إلا من غلبة الحب ، فالحب أصل والشوق فرع ، ومنها الأنس ، وسئل دو النون عن الأنس ؟ فقال: هو انبساط المحب إلى المحبوب ، ومعناه قوله تعالى:" أرنى كيف تحى الموتى"[٥٤٣]، وقال موسى:" أرنى أنظر إليك"[٥٤٤]

وكتب مطرف ابن الشخير إلى عمر بن عبدالعزيز : ليكن أنسك بالله وانقطاعك إليه فإن لله عبادٍ استأنسوا بالله وكانوا في وحدتهم أشد استئناساً من الناس من كثرتهم ،وأوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون ،وآنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون.

وقيل لبعضهم: من معك في الدار؟ قال : الله تعالى معى ولا يستوحش من أنس بربه

[542] سورة طه ، آية ٨٤
[543] سورة البقرة ، آية ٢٦٠
[544] سورة الأعراف ، آية ١٤٣

ومن الأنس: الأنس بطاعة الله وذكره وتلاوة القرآن وسائر أبواب القربات وهذا الأنس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ، ولكن ليس هو حال الأنس الذى يكون للمحبين.

ومن الأنس القرب ، قال تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام:" واسجد واقترب"[٥٤٥]، ويقال أقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده ، فالساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب لأنه يطوى بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون.

وقال سهل: أدنى مقام من مقامات القرب الحياء ، والحياء على الوصف العام والوصف الخاص.

فأما الوصف العام: ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم :" استحيوا من الله حق الحياء"

قالوا:" انا نستحى يا رسول الله ، قال :" ليس بذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك استحى من الله حق الحياء"[٥٤٦]

وهذا الحياء من المقامات.

وأما الحياء الخاص فمن الأحوال وهو ما نقل عن عثمان رضى الله عنه أنه قال:" إنى لأغتسل في البيت المظلم فانطوى حياء من الله"[٥٤٧]

أسباب المحبة عند الغزالى:-

١. حب الإنسان ذاته ، ثم سلامة أعضاءه ، ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه ، فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأكمال ودوام الوجود موقوف عليها ، والمال محبوب لأنه ايضاً ألة في دوام الوجود وكماله. فالإنسان يحب هذه الأشياء لإرتباط كمال الوجود وكماله بها.

545 سورة العلق ، آية ١٩

546 مسند أحمد ، ج١، ص ٣٨٧

547 ابى حامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٥، ص ٢٤٤-٢٤٧

٢. الاحسان لأن القلوب جبلت على حب من احسن إليها وبغض من أساء إليها ومن حب المحسن لاحسانه فما أحب ذاته بل أحب احسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد الحب والزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه.

٣. ان يحب الشى لذاته وهذا هو الحب الحقيقى كحب الجمال لأن ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها والخضرة والماء الجارى محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة بل الرؤية ، وكل جميل محبوب للنفس ، قال صلى الله عليه وسلم:" إن الله جميل يحب الجمال"[٥٤٨].

٤. بيان معنى الحسن والجمال هو كل شيء يحضر كماله اللائق به الممكن له فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال ، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر ، وحسن كل شيء في كماله الذى يليق به ، وهذه أشياء تدرك بالحواس مثل الأصوات والطعوم فهى محسوسات وهناك حس وجمال موجود في غير المحسوسات حيث يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة ، وهذه أخلاق جميلة ، والأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر صفات الخير وهذه الصفات لا تدرك بالحواس الخمس بل تدرك بنور البصيرة الباطنة ، وهذه الصفات محبوبة والموصوف بها محبوب عند من عرف صفاته ، لذلك الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وحب الصحابة رضى الله عنهم مع أنهم لم يشاهدوهم وحب أصحاب المذاهب مثل الشافعى ، وابى حنيفة ومالك واحمد بن حنبل ، فكم دم اريق في نصرة أصحاب المذاهب ، والذى يحب الشافعى مثلا لم يشاهد صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه

[548] مسند الامام احمد وبهامشه كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، دار الفكر العربى ، ج٤، ص ١٣٣، ١٣٤، ١٥١

الذى حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة ، فالصورة الظاهرة أصبحت تراباً مع التراب ، وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى والعلم والاحاطة بمدارك الدين وافادته علم الشرع ونشره في العالم ، هذه الأمور الجميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة ، فأما الحواس فقاصرة عنها[٥٤٩]

إذاً حب الإنسان ليس مقصوراً على من أحسن إليه مادياً ، فانك تسمع عن حاكم عادل فتحبه مع أن احسانه لا يصل إليك ، لان كل جمال محبوب والصورة ظاهرة وباطنة ، والجمال يشملهما وتدرك الصورة الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة فلا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ومن كانت الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعانى الباطنة اكثر من حبه للمعانى الظاهرة [٥٥٠].

٥. المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب ، أي هذه المحبة تتم بين شخصين لا بسبب جمال ولكن تناسب الأرواح ، قال صلى الله عليه وسلم:" الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[٥٥١]

مما سبق نرى أن أقسام الحب ترجع إلى خمسة أسباب ،وهو حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من احسن اليه ويرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً اليه ، وحبه لكل ما هو جميل في ذاته ، وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن ، فإن اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب.

وهذه الأسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة إلا الله سبحانه وتعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم[٥٥٢].

549 أبى حامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٤، ص ٢٧٤-٢٧٥

550 ابى حامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٤، ص ٢٧٦

551 البخارى ، صحيح البخارى ، باب الأرواح جنود مجندة ،ج٤، ص ١٠٤

552 الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٤، ص ٢٧٦

أسباب الحب عند الغزالى:

١. حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه
٢. حب من أحسن إليه ودوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه
٣. حب من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه
٤. حب لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان في الصور الظاهرة أو الباطنة
٥. حب لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن [٥٥٣]لقوله صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[٥٥٤]

فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد اكتمل الحب وتضاعف وهى لا تجتمع الا في حق الله تعالى وحده.

فالسبب الأول: حب الإنسان وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه جبلة كل حى ويقتضى غاية المحبة لله تعالى ، فمن عرف نفسه وعرف ربه عرف أنه لا وجود له من ذاته ، وإنما وجوده من الله تعالى والى الله وبالله.

أما السبب الثانى وهو حب من احسن عليه بماله أو لاطفه بكلامه أو أمره بمعونه ، وهذا يقتضى أن لا يحب إلا الله تعالى لأن المحسن إليه هو الله تعالى فقط ، لقوله تعالى:" وإن تعدو نعمت الله لا تحصوها"[٥٥٥]

أما السبب الثالث وهو حب المحسن وإن لم يصل احسانه اليك وهذا موجود في جبلة الإنسان ، فإن سمعت بحاكم عادل متواضع محسن إلى الناس وملت اليه وانت بعيد عن احسانه ولا تأمل أن يحسن اليك فهذا هو الحب ، وسمعت عن حاكم آخر ظالم متجبر شرير وانت بعيد عنه آمن شره ، فإنك تجد في قلبك نفرة منه وهو البغض.

---

553 الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٤، ص ٢٧٦
554 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٦، ص ١٨٥
555 سورة إبراهيم ، آية ٣٤

فهذا حب المحسن لمجرد انه محسن فقط لا من حيث أنه محسن اليك ، وهذا يقتضى حب الله تعالى وحده لأنه المحسن لكافة مخلوقاته ومتفضل عليهم بما يأتي:-

١. بإيجادهم
٢. بتكميلهم بالاعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم مثل الرأس والقلب والعين وتلونها واليد والرجل وحمرة الشفتين
٣. ترفيههم وتنعيمهم بخلق الأسباب التي يحتاجونها ولم تكن من الضروريات ومثال الدواء واللحم والفواكه ، ومثال الضرورى من النعم الماء والغذاء
٤. تجميلهم بالمزايا والزوائد الخاصة بالزينة وهى خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم مثل خضرة الأشجار وجمال الأزهار ولذائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنعدم بعدمها حاجة ولا ضرورة ، وهذا كله لا يكون إلا لله تعالى وحده لأنه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الإحسان وخالق أسباب الأحسان

والسبب الرابع حب الجمال فهذا مجبول في الطباع والجمال مقسوم قسمين جمال الصورة الظاهرة المدرك بالعين ويدركه كل من يراه وجمال الصورة الباطنة المدركة بالقلب ونور البصيرة ويختص بدركه أصحاب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهراً من الحياة الدنيا ومثل ذلك حب الأنبياء والعلماء والأخلاق الحسنة لما يدركه الأنسان من صفاتهم الجميلة التي تدل عليها آثارهم وأفعالهم الحسنة.

أما السبب الرابع والخامس فهو المناسبة والمشاكلة لأن شبه الشى يميل وينجذب إليه كما قال صلى الله عليه وسلم :" الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[٥٥٦]

فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهو يقتضى حب الله تعالى وحده دون شريك[٥٥٧]

[556] صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٦، ص ١٨٥
[557] الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٤، ص ٢٧٦-٢٨١

طريق محبة الله تعالى عند الغزالى

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسى عن الله تعالى :" من عاد لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشى أحب الى من أداء ما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى احبه ، فإذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها ولئن سألنى لأعطيته ولئن استعاذ بى لأعيذنه"[٥٥٨]

وقال صلى الله عليه وسلم :" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[٥٥٩]

يرسم الله تعالى الطريق الى حبه وهو أداء الفرائض والحب دون أداء الفرائض زيف وكذب، عن عبدالله قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم :" أي العمل أحب الى الله عزوجل قال:" الصلاة ، قال ثم أي ، قال ثم بر الوالدين ، قال ثم أي قال: الجهاد في سبيل الله "[٥٦٠]

ويربط الإسلام بين محبة الله تعالى واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى:" قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله "[٥٦١]

وقد ربط الله تعالى بين محبته والعمل ، فمقدمات محبة الله تعالى هي العمل ونتيجة محبة الله تعالى هي العمل ، ومن صدق المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في هديه ، وزهده واخلاقه والتأس به في الأمور ، فإن الله تعالى جعل محمد صلى الله عليه وسلم دليلاً وحجة على أمته ومن صدق المحبة لله تعالى إيثار محبة

---

[558] صحي البخارى ، ج٧، ص ١٩٠

[559] صحيح البخارى ، ج١، ص٩-١٠، ج٧، ص ٨٣، ج٨، ص ٥٦، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج٢، ص ١٣،

[560] صحيح البخارى ، ج٧، ص ٦٨

[561] سورة آل عمران ، آية ٣١

الله تعالى في جميع الأمور على نفسك وهواك وأن تبدأ في الأمور كلها بأمره قبل أمر نفسك لأن علامة المحب الموافقة للمحبوب والمسايرة له في كل الأمور ، والتقرب اليه بكل حيلة[٥٦٢]

وقد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين الإيمان وشدة المحبة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، قال صلى الله عليه وسلم :"لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما"[٥٦٣]

وفى حديث آخر:"لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس اجمعين "[٥٦٤]وفى رواية" ومن نفسه".

وقال تعالى:" قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين"[٥٦٥]

ومن ثمرة محبة الله تعالى قوله تعالى:" لهم البشرى في الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم"[٥٦٦]

- الرضا

وإذا حصلت المحبة تبعها الرضا ، لأن المحب راض دائماً عن أعمال محبوبه

ومعنى الرضا أن يبذل الأنسان جهده ليصل إلى ما يحبه الله ورسوله وفى أثناء محاولاته للوصول إليه يكون مطمئن إلى النتيجة على أي وضع أحبها الله تعالى راض بها لأنه إليه تعالى المصير وعاقبة الأمور وإليه يرجع الأمر كله ويجب أن يكون كل ذلك واقراً في ذهنه ، مفعماً به شعوره مع إيمانه بأنه تعالى حكيم ، رحمان ، رحيم ، وأن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله تعالى [٥٦٧]

562 الغزالى ، المنقذ من الضلال ، مصر ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، ط٨، ص ٢٢٥-٢٢٧
563 صحيح البخارى ، ج٧، ص ٨٣
564 البخارى ، ج١، ص٩
565 سورة التوبة آية ٢٤
566 سورة يونس ، آية ٦٤
567 الغزالى ، المنقذ من الضلال ، ص ٢٢٩-٢٣٣

محبة العبد لله تعالى

إن المحبة يدعيها كل احد وما أسهل الدعوى وما أغلى المعنى فلا ينبغي أن يفتر الانسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى مالم يختبرها بالعلامات والأدلة والبراهين.

١. والمحبة آثارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وهى كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب ، فإذا أحب القلب محبوباً حب مشاهدته ولقائه وإذا علم أنه لا وصول إلا بالرحيل من الدنيا ومفارقتها بالموت فيجب أن يكون محباً للموت لأن المحب لا يهمه السفر عن وطنه إلى مكان محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة ، قال صلى الله عليه وسلم:" من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"[٥٦٨]

وقد شرط الله تعالى لحقيقة الصدق في الحب الموت في سبيل الله تعالى وطلب الشهادة علامته فقال تعالى:" إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً"[٥٦٩]

وكراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والمال والولد وهذا ينافى كمال حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذى يأخذ كل القلب ولا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة ، والناس متفاوتون في الحب.

٢. يكون العبد لا يكره الموت ولكن يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله وهذه الكراهة لا تنافى كمال الحب لاستغراقه في العمل للاستعداد

وأن يكون مقدما ماأحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجد في العمل ويتجنب اتباع الهوى ويواظب على طاعة الله ويتقرب إلى الله تعالى بالنوافل طالباً منه الدرجات العلى في الجنة كما يطلب المحب مزيد القرب من قلب

---

568 صحيح البخارى ، كتاب الرقاق ، باب من احب لقاء الله احب الله لقاءه ، ج٧، ص ١٩١

569 سورة الصف ، آية ٤

محبوبه ، وقد وصف الله تعالى المحبين بالإيثار، قال تعالى:" يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"[٥٧٠]

وعلامة الحب ايثاره على نفسك وعمل الطاعات التي أمرنا الله تعالى بها واجتناب النواهى التي نهانا عنها لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له ،قال تعالى:" يحبهم ويحبونه"، وإذا احبه الله تولاه ونصره على اعدائه ولا يكله إلى هواه وشهواته[٥٧١]

وعلامة حب الله تعالى حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل ما ينسب إليه تعالى فالمحبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يحب المحبوب

وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى صلى الله عيله وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً إلى الآخرة[٥٧٢]

محبة الله للعبد

شواهد القرآن الكريم ظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده ، قال تعالى:" فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونة أذلة على المؤمنين"[٥٧٣]، وقال تعالى:" إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً"[٥٧٤]

وقال تعالى:" إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين"[٥٧٥]

أي أن الله تعالى إذا أحب عبداً تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت ، كما لا يضر الكفر الماضى بعد الإسلام واشترط الله تعالى للمحبة غفران

570 سورة الحشر ، آية ٩
571 الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٤، ص ٣٠٢-٣٠٤
572 الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٤، ص ٣٠٥
573 سورة المائدة ،آية ٥٤
574 سورة الصف ، آية ٤
575 سورة البقرة ، آية ٢٢٢

الذنب[٥٧٦]، قال تعالى:" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"[٥٧٧]، وقال صلى الله عليه وسلم:" قال تعالى:" وما تقرب إلى عبد بشى أحب إلىّ مما افترضته عليه وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها وإن سألنى لأعطينه وإن استعاذنى لأعيذنه"[٥٧٨]، أي تقربه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وحصوله في درجة القرب من ربه وهذا فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه.

وترقى العبد في درجات القرب ، فكلما صار أكمل صفة وأتم علماً وإحاطة بحقائق الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال الإنسانى المحدود وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله وسلوك العبد في درجات الكمال والقرب من الله تعالى متباينة ومتفاوتة بين البشر.

فمحبة الله للعبد بدفع الشواغل والمعاصى عنه وتطهير باطنه من كدورات الدنيا ويتولى الله تعالى أمره وظاهره وباطنه ، سره وجهره فيكون الله هو المشير عليه والمدبر لأمره والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والمبغض للدنيا في قلبه والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته[٥٧٩]

إن المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى والذروة العليا من الدرجات وما بعد إدراك المحبة إلا هو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كا لشوق والأنس والرضا.

وما قيل في المحبة فهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وهذا تابع للمحبة.

576 الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٤، ص ٣٠٠

577577 سورة آل عمران ، آية ٣١

578 البخارى ، صحيح البخارى ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ج٧، ص ١٩٠

579 الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٤، ص ٣٠١-٣٠٢

ويرى الغزالى أن الأمة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض.

ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله تعالى:" يحبهم ويحبونه"[٥٨٠]، وقوله تعالى:" والذين ءامنوا أشد حباً لله "[٥٨١]، وهو دليل على اثبات الحب لله والتفاوت فيه .

وقد جعل صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان ، قال صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده و الناس اجمعين"[٥٨٢]

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحبة الله تعالى ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم:" أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبونى لحبى الله وأحبوا أهل بيتى لحبى"[٥٨٣]

والمحبة تأتى بعد المعرفة والإدراك أي لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه لذلك الحب من خاصية الحى المدرك

والمدركات تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهى:-

١. ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلتذ به أي فيه ميلاُ للطبع وما فيه راحته فهو محبوب عند المدرك ، فإذا تأكد وقوى سمى عشقاً
٢. ما ينافى طبع المدرك وينافره ويؤلمه أي في الطبع نفره منه فهو مبغوض عند المدرك
٣. ما لا يؤثر فيه بإيلام ولا إلذاذ فإنه لا يكون محبوباً ولا مكروهاَ، وبما أن الحب تابعاً للإدراك والمعرفة لذلك انقسم حسب انقسام المدركات والحواس لأن لكل حاسة إدراك نوع من أنواع المدركات فلذة العين بالإبصار وإدراك الأشياء الجميلة ، ولذة الأذن في النغمات الموزونة والأصوات الجميلة ولذة الشم في الروائح الطيبة ، ولذة الذوق في المطعم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولأن

580 سورة المائدة ، آية ٥٤
581581 سورة البقرة ، آية ١٦٥
582 مسند أحمد ، ج٣، ص١٧٧، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨
583 الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص ٦٦٤

المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة وللطبع السليم ميل إليها قال صلى الله عليه وسلم :" حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعل قرة عينى في الصلاة"[٥٨٤]

فسمى الطيب محبوباً لحسن الشم ، وسمى النساء محبوبات لحسن البصر واللمس ، وسمى الصلاة قرة عين لأنها أبلغ المحبوبات ، وتدرك بالقلب أو العقل أو النور وهو الحاسة السادسة، أما لذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان

والبصيرة الظاهرة أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشد إدراكاً من العين ، وجمال المعانى المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للإبصار ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى[٥٨٥]

المحبة عند ابن تيمية

حقيقة المحبة أن يحب المحبوب وما أحبه ، ويكره ما يكرهه ، ومن صحت محبته امتنعت مخالفته لأن المخالفة انما تكون لنقص المتابعة ، ويدل على نقص المحبة قوله الله تعالى:" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"[٥٨٦]

والمقصود بالمحبة هنا التي تتعلق بالنفوس لغير الله تعالى وهذا نقص في توحيد المحبة لله تعالى ، وهذا دليل على نقص محبة الله تعالى حيث لو كملت محبته لم يحب سواه[٥٨٧]

والقاعدة الأساسية التي تحرك القلوب إلى الله تعالى هي ثلاثة

١. المحبة
٢. الخوف
٣. الرجاء

584 مسند أحمد ، ج٣، ص ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥

585 الغزالى ، احياء علوم الدين ، ج٤، ص٢٧٠-٢٧٣

586 سورة آل عمران ، آية ٣١

587 ابن تيمية ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، توحيد الألوهية ، ج١، ص ٩٣-٩٤

وأقواها المحبة لأنها تراد في الدنيا والآخرة على غير الخوف فإنه يزول في الآخرة ، قال تعالى:" الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون"[٥٨٨]

والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق ، فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه ، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليها والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب والرجاء ويقعده.

كذلك من الأشياء التي تحرك القلوب

أ- كثرة الذكر للمحبوب ، لأنها تعلق القلوب به لذلك أمر الله تعالى بالذكر الكثير ، قال تعالى :" ياأيها الذين ىءامنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة واصيلاً"[٥٨٩]

ت- النظر وذكر أنعم الله تعالى على الإنسان ،قال تعالى:" فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون"[٥٩٠] وقال تعالى :" وما بكم من نعمة فمن الله"[٥٩١]، وقال تعالى :" وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها"[٥٩٢]

المحبة لله عند ابن تيميه نوعان:-

محبة له نفسه ، ومحبة له لما فيه من الإحسان

والحمد له نوعان:-

حمد له على ما تستحقه نفسه ، وحمد على إحسانه إلى عبده ، فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة.

والرضا به وبدينه وبرسوله فهذا من حظ المحبة ، لذلك ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ذوق طعم الإيمان كما ذكر في المحبة وجود حلاوة الإيمان، قال صلى الله عليه

588 سورة يونس ، آية ٦٢
589 سورة الآحزاب ، آية ٤٢
590 سورة الآعراف ، آية ٦٩
591 سورة النحل ، آية ٥٣
592 سورة النحل ، آية ١٨

وسلم :"ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"[٥٩٣]

إن محبة الله تعالى ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وهى أصل لكل عمل من أعمال الايمان والدين.

وهى أصل كل عمل من أعمال الايمان والدين.

وإن التصديق به أصل كل قول من أقوال الايمان والدين

وإن كل حركة في الوجود تصدر عن محبة : إما عن محبة محمودة أو محبة مذمومة

وإن جميع الأعمال الإيمانية الدينية لاتصدر إلا عن المحبة المحمودة ، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله تعالى حيث العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحاً[٥٩٤]

مرض القلوب عند ابن تيمية

قال تعالى :" في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً"[٥٩٥]وقال تعالى :" ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم"[٥٩٦]، وقال تعالى :" لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً"[٥٩٧]

وقال تعالى:" ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً"[٥٩٨]وقال تعالى:" قد جاءتكم موعظة من ربكم

593 سنن الترمذى ، الجامع الصحيح ، دار الحديث ، القاهرة ، ج٥، ص ١٥

594 ابن تيمية ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، علم السلوك ، ج١٠ ، ص ٤٧-٤٩

595 سورة البقرة ، آية ١٠

596 سورة الحج ، آية ٥٣

597 سورة الآحزاب ، آية ٦٠

598 سورة المدثر ، آية ٣١

وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين"[٥٩٩]، وقال تعالى :" وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً"[٦٠٠]، وقال تعالى :" ويشف صدرو قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم "[٦٠١]

مرض البدن ضد صحته وصلاحه ، وهو فساد يكون في البدن

وقسم ابن تيمية الفساد الذى يصيب البدن **إلى نوعين** :-

١. فساد الإدراك

٢. فساد حركته الطبيعية

١. والفساد في الإدراك نوعين هما:-

أ- إما أن يذهب الإدراك كالعمى والصمم

ب- أن يدرك الأشياء على غير ما هي عليه كما يدرك الحلو مراً، ويخيل إليه أشياء لا حقيقة لها في الخارج

٢. فساد حركته الطبيعية وهى

أ- أن تضعف قوته عن الهضم

ب- أن يبغض الأغذية التي يحتاج اليها ، ويحب الأشياء التي تضره

ومع هذا المرض لم يمت ولم يهلك بل فيه قوة على إدراك الحركة الإرادية في الجملة فينشأ من ذلك ألم في البدن لسببين هما:-

١. فساد الكمية ، وهو نقض المادة فيحتاج إلى غذاء واما لزيادها فيحتاج إلى استفراغ

٢. فساد الكيفية كقوة في الحرارة والبرودة خارج عن الإعتدال فيداوى[٦٠٢]

---

[599] سورة يونس ، آية ٥٧

[600] سورة الآسراء ، آية ٨٢

[601] سورة التوبة ، آية ١٤-١٥

[602] مجموع فتاوى ابن تيمية ، علم السلوك ،جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، أشرف على الطباعة والإخراج : المكتب التعليمى السعودى بالمغرب ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، ج١٠، د.ت، ص ٩٢-٩٣

تعريف مرض القلب عند ابن تيمية :-

هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصورة وإرادته ، فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق ، أو يراه على خلاف مما هو عليه ، وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار، ولهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب كما فسر مجاهد وقتادة قوله:" في قلوبهم مرض"[٦٠٣]أي شك ، وتارة يفسر بشهوة الزنا كما فسر به قوله تعالى :"فيطمع الذى في قلبه مرض"[٦٠٤]

ومرض القلب ألم يحصل في القلب كالغيظ من عدو استولى عليك ، فإن ذلك يؤلم القلب ، قال تعالى :" ويشف صدرو قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم"[٦٠٥]

فشفاؤهم بزوال ما حصل في قلوبهم من الألم ، ويقال فلان شفى غيظه وفى القود استشفاء أولياء المقتول فهذا شفاء من الغم والغيظ والحزن ، وكل هذه آلام تحصل في النفس

وكذلك الشك والجهل يؤلم القلب قال صلى الله عليه وسلم :" هلا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العى السؤال ، والشاك في الشئ المرتاب فيه يتألم قلبه ، حتى يحصل له العلم واليقين.

والقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل، فمرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوت مرضه ، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه ، قال تعالى:" ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض"[٦٠٦]

603 سورة الحج ، آية ٥٣
604 سورة الآحزاب ، آية ٣٢
605 سورة التوبة ،آية ١٤-١٥
606 سورة الحج ، آية ٥٣

لأن ذلك أورث شيهة عندهم والقاسية قلوبهم ليبسها فأولئك قلوبهم ضعيفة بالمرض ، فصار ما ألقى الشيطان فتنة لهم ، وهؤلاء كانت قلوبهم قاسية عن الإيمان فصار فتنة لهم.

وقال تعالى:" لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة"[٦٠٧]، وقال تعالى:" وليقول الذين في قلوبهم مرض"[٦٠٨]، لم تمت قلوبهم كموت الكفار والمنافقين ، وليست صحيحة صالحة كصالح قلوب المؤمنين بل فيها مرض شبهة وشهوات.

وقال تعالى:" فيطمع الذى في قلبه مرض"[٦٠٩]،وهو مرض الشهوة ، فالقلب الصحيح لو تعرضت له المرأة لم يلتفت إليها بخلاف القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه، فإذا خضعن بالقول طمع الذى في قلبه مرض.

والقرآن شفاء لما في الصدور ، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل ، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه ، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب ، فيرغب القلب فيما ينفعه ويبغض ما يضره ، فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للغى بعد أن كان مريداً للغى مبغضاً للرشاد.

فالقرآن الكريم مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب فتصلح إرادته ، ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلى الحال الطبيعى، ويغتذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يغتذى البدن بما ينميه ويقومه فإن زكاة القلب مثل نماء البدن ، والعمل له أثر في القلب من نفع وضر وصلاح قبل

[607] سورة الآحزاب ، آية ٦٠
[608] سورة المدثر ، آية ٣١
[609] سورة الآحزاب ، آية ٣٢

أثره في الخارج فصلاحها عدل لها وفسادها ظلم لها ، قال تعالى:" من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها"[٦١٠]، وقال تعالى:" إن أحسنتم احسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها"[٦١١]

قال بعض السلف:" إن للحسنة نور في القلب وقوة في البدن وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة لظلمة في القلب وسواداً في الوجه ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق ، وبغضاً في قلوب الخلق.

ومن أمراض القلوب الظلم

والظلم ثلاثة أنواع

والظلم كله من أمراض القلوب ، والعدل صحتها ، وصلاحها ، قال تعالى:" والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فواه حسابه والله سريع الحساب ، أو كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور"[٦١٢]

الأول: مثل الاعتقادات الفاسدة والأعمال التابعة لها يحسبها صاحبها شيئاً ينفعه فإذا جاءها لم يجدها شيئاً ينفعه فوفاه الله حسابه على تلك الأعمال.

الثانى : مثل للجهل البسيط وعدم الايمان والعلم فإن صاحبها في ظلمات بعضها فوق بعض لا يبصر شيئاً فإن البصر انما هو بنور الإيمان والعلم

قال تعالى:" إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون"[٦١٣]

وقال تعالى:" ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه"[٦١٤]

---

610 سورة فصلت ، آية ٤٦

611 سورة الآسراء ، آية ٧

612 سورة النور ، آية ٣٩-٤٠

613 سورة الآعراف ، آية ٢٠١

وهو برهان الإيمان الذى حصل في قلبه فصرف الله به ما كان هم به وكتب له حسنة كاملة ولم يكتب عليه خطيئة إذا فعل خيراً ولم يفعل سيئة ، وقال تعالى:" لتخرج الناس من الظلمات إلى النور"[٦١٥]، وقال تعالى:" الله ولى الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات"[٦١٦]، وقال صلى الله عليه وسلم:" القلوب أربعة ، قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط بغلاف وقلب منكوس وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فسراجه فيه نور ، وأما القلب الأغلف فقلب الكفافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف الحق ثم أنكره وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل المنافق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم ، فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه"[٦١٧]

وحياة القلب وحياة غيره ليست مجرد الحس والحركة الآرادية أو مجرد العلم والقدرة بل الحياة صفة قائمة بالموصوف ، وهى شرط العلم والإرادة والقدرة على الأفعال الاختيارية ، وهي أيضاً مستلزمة لذلك فكل حى له شعورة وإرادة وعمل اختيارى بقدرة وكل ماله علم وإرادة وعمل اختيارى فهو حى والحياء مشتق من الحياة فإن القلب الحى يكون صاحبه حياً فيه حياء يمنعه عن القبائح ، فان حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب ، قال صلى الله عليه وسلم:" الحياء من الإيمان"[٦١٨]، وقال صلى الله عليه وسلم :" الحياء والعى شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق"[٦١٩]

---

614 سورة يوسف ، آية ٢٤

615 سورة إبراهيم ، آية١

616 سورة البقرة ، آية ٢٥٧

617 مجموع فتاوى ابن تيمية ، كتاب السلوك ، ج١٠ ، ص ٩٣-١٠٦، ومجموعة الحديث النجدية ، تعليق / محمد رشيد رضا، ط٣، ١٣٨٣هـ، ص ٢٧٢، ومسند أحمد ، ج٣، ص ١٧

618 محمد عبد الرحمن المباركفورى ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج٦، ص ١٤٨

619 المرجع السابق ، نفس المكان ،و ص ١٧٣ومجموعة الحديث النجدية ، ط٣، ١٣٨٣م، ص ٢٣٩

فإن الحى يدفع ما يؤذيه بخلاف الميت الذى لا حياة فيه ، فإنه يسمى وقحاً والوقاحة الصلابة وهو اليبس المخالف لرطوبة الحياة ة، فإذا كان وقحاً يابساً صليب الوجه لم يكن في قلبه حياة توجب حياءه وامتناعه من القبح كالأرض اليابسة لا يؤثر فيها وطء الأقدام بخلاف الأرض الخضرة[٦٢٠]

الحسد

ومن أمراض القلوب الحسد وهو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود

والحسد نوعان:-

١. كراهة للنعمة عليه مطلقاً ، وهذا هو الحسد المذموم ، وإذا ابغض ذلك فإنه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه فيكون ذلك مرضاً في قلبه ويلتذ بزوال النعمة عنه ، وإن لم يحصل له نفع بزوالها لكن نفعه زوال الألم الذى كان في نفسه ولكن ذلك الألم لم يزل الإ بمباشرة منه وهو راحة

والحاسد ليس له غرض في شيء معين لكن نفسه تكره ما أنعم به على النوع أي أنه تمنى زوال النعمة فإن من كره النعمة على غيره تمنى زوالها بقلبه.

٢. أن يكره فضل ذلك الشخص عليه فيجب أن يكون مثله أو أفضل منه ، فهذا حسد وهو الذى سموه الغبطة ، قال صلى الله عليه وسلم:" لاحسد إلا في اثنين ، رجل أتاه الله القرآن فهو يتلوه الليل والنهار فسمعه رجل فقال ياليتنى أوتيت مثل ماأوتى هذا فعملت فيه مثل ما يعمل هذا ورجل أتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل: ياليتنى أوتيت مثل ما أوتى هذا فعملت فيه مثل ما يعمل هذا"[٦٢١]

620 مجموع فتاوى ابن تيمية ، علم السلوك ، ج١٠، ص ١٠٩-١١٠

621 محمد ناصر الالبانى ، مختصر صحيح البخارى ، المكتب الاسلامى ، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٣٠، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج٦، ص٩٧، وتحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ج٦، ص٦٦

فالحسد نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم الا في موضعين هو الذى سماه أولئك الغبطة وهو أن يحب مثل حال الغير ويكره أن يفضل عليه.

إذا لم سمى حسداً وإنما أحب أن ينعم الله عليه قيل مبدأ هذا الحب هو نظره إلى انعامه على الغير وكراهته أن يتفضل عليه ولولا وجود ذلك الغير لم يحب ذلك ، فلما كان ذلك مبدأ كراهته أن يتفضل عليه الغير كان حسداً ، لأنه كراهة تتبعها محبة ، وأما من أحب أن ينعم الله عليه مع عدم التفاته إلى أحوال الناس فهذا ليس عنده من الحسد شيء

ولهذا يبتلى غالب الناس بهذا النوع الثانى وقد تسمى المنافسة فيتنافس الأثنان في الأمر المحبوب المطلوب كلاهما يريد أن يأخذه وذلك لكراهية احدهما أن يتفضل عليه الآخر، كذلك يكره المستبقان كل منهما أن يسبقه الآخر ، والتنافس ليس مذموم مطلقاً بل محمود في الخير ، قال تعالى:" إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون"[٦٢٢]

فأمر المنافس أن ينافس في نعيم الاخرة لاينافس في نعيم الدنيا الزائل

وهذا موافق لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه نهى عن الحسد إلا فيمن أوتى العلم فهو يعمل به ويعلمه ومن أوتى المال فهو ينفقه.

فأما من أوتى علماً ولم يعمل به ولم يعلمه أو أوتى مالاً ولم ينفقه في طاعة الله فهذا لا يحسد ولا يتمنى مثل حاله فإنه في خير يرغب فيه بل هو معرض للعذاب

والحسد يقع لما يحصل للغير من السؤدد والرياسة ، وإلا فالعامل لا يحسد في العادة ، ولو كان تنعمه في الأكل والشرب والنكاح أكثر من غيره ، بخلاف أهل العلم والمال ، فإنهما يحسدان كثيراً.

فيوجد بين أهل العلم الذين لهم أتباع من الحسد مالا يوجد فيمن ليس لهم أتباع.

622 سورة المطففين ، آية ٢٢-٢٦

وكذلك فيمن له أتباع بسبب انفاق ماله فصاحب العلم ينفع الناس بقوت القلوب وصاحب المال ينفعهم بقوت الأبدان والناس كلهم محتاجون إلى ما يصلحهم من الإثنين صاحب العلم وصاحب المال.

وعمر ابن الخطاب نافس ابى بكر رضى الله عنهما في الانفاق عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال:" أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندى فقلت اليوم أسبق أبابكر أن اسبقته يوما ، قال فجئت بنصف مالى ، قال: فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :ما أبقيت لأهلك قلت مثله ، وأتى أبا بكر رضى الله عنه بكل ما عنده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما ابقيت لأهلك ، قال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسابقك إلى شيء أبداً"[٦٢٣]

كان ما فعله عمر من المنافسة والغبطة المباحة ، لكن حال الصديق رضى الله عنه أفضل منه لأنه خال من المنافسة مطلقاً لا ينظر إلى حال غيره.

وكان بين الأوس والخزرج منافسة على الدين فكان أحدهم إذا فعلوا ما يفضلون به عند الله ورسوله أحب الآخرون أن يفعلوا نظير ذلك ، فهو منافسة فيما يقربهم إلى الله ، قال تعالى:"وفى ذلك فليتنافس المتنافسون"[٦٢٤]

والحسد المذموم كله قوله تعالى عن اليهود " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق"[٦٢٥]

يودون أي يتمنون ارتدادكم حسداً ، فجعل الحسد هو الموجب لذلك الود من بعد ما تبين لهم الحق لأنهم عندما رأو ما حصل لكم من النعمة ما لم يحصل لهم مثله حسدوكم ، قال تعالى:" أم يحسدون الناس على ماءاتاهم الله من فضله فقد آتينا آل

623 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٥، ص٦١٤-٦١٥
624 سورة المطففين ، آية ٢٦
625 سورة البقرة ، آية ١٠٩

إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً"[٦٢٦]

وقال تعالى:" قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد"[٦٢٧]

وذكر البعض أن السورة السابقة نزلت بسبب حسد اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم حتى سحروه سحره لبيد بن الأعصم اليهودى فالحاسد المبغض للنعمة على من انعم الله عليه بها ظالم معتد ، والكارهة لتفضيله المحب لمماثلته منهى عن ذلك إلا فيما يقربه إلى الله تعالى.

وقد ابتلى يوسف بحسد اخوته له ، قال تعالى:" ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين "[٦٢٨]

فحسدوهما على تفضيل الأب لهما [٦٢٩]، لذلك قال يعقوب ليوسف قوله تعالى :" لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً ان الشيطان للإنسان عدو مبين "[٦٣٠]

الحب عند ابن حزم

يرى ابن حزم أن الحب أوله هزل وآخره جد ، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة. وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة إذ القلوب بيد الله تعالى.

ويقول ابن حزم قد اختلف الناس في ما هيته والذى أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع وأن سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والإنفصال والشكل دأباً يستدعى شكله،

626 سورة النساء ، آية ٥٤-٥٥
627 سورة الفلق ، آية ١-٥
628 سورة يوسف ، آية ٨
629 مجموع فتاوى ابن تيمية ، علم السلوم ، ج١٠، ص ١١١-١٢١
630 سورة يوسف ، آية ٥

والمثْلُ الى مِثْله ساكن وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد، والتنافر في الأضداد والموافقة في الأنداد والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا، فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافى الخفيف، وجوهرها الجوهر الصعاد المعتدل ، وسِنْخها المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار ، كل هذا معروف بالفطرة في أحوال تصرف الإنسان فيسكن إليها ، قال تعالى:" هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها"[٦٣١]، فجعل علة السكون أنها منه، ولو كان علة الحب حُسن الصورة الجسدية لوجب ألا يستحسن الأقل في الصورة ، ونرى كثيراً مما يؤثر الأدنى ويعلم فضل غيره ولا يجد خلاصاً لقلبه عنه ، ولو كان للموافقة في الأخلاق لما أحب المرء من لا يساعده ولا يوافقه، فهذا شيء في ذات النفس.

أو المحبة كالنار في الحجر لا تظهر قوة النار إلا بعد القدح ومجاورة الحجرين بضغطهما واحتكاكهما وإلا فهى كامنه في حجرها لا تظهر[٦٣٢]

وإن ما يقع من أول وهلة ببعض أعراض الاستحسان الجسدى واستطراف البصر الذى لا يجاوز الألوان ، فهذا سر الشهوة ومعناها الحقيقى. فإذا فضلت الشهوة وتجاوزت هذا الحد ووافق الفضل اتصال نفسانى تشترك فيه الطبائع مع النفس تسمى عشقاً

وللحب حكماً على النفوس ماضياً وسلطاناً قاضياً وأمراً لا يخالف وحداً لا يعصى وملكاً لا يتعدى وطاعة لا تصرف ونفاذا لا يرد ويحل الجرم، ويخل الثابت ، ويحل الشغاف ويحل الممنوع[٦٣٣]

ومن الدليل على ذلك لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة واتفاق في الصفات الطبيعية لابد في ذلك وإن قل.

---

631 سورة الآعراف ، آية ١٨٩

632 ابن حزم الاندلسى ، طوق الحمامة، تحقيق / إحسان عباس ، دار المهدى للثقافة والنشر ، ٢٠٠٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٣م، مع جريدة الحياة ص١١-١٤

633 ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص ٤٤-٤٧

وكلما زادت الاشباه زادت المجانسة وتأكدت المودة ، قال صلى الله عليه وسلم:" الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[٦٣٤]

والحب داءُ عياءُ وفيه الدواء منه على قدر المعاناة وسقام مستلذ وعلة مشتهاة لا يود سليمها البرء ولا يتمنى عليها الإفاقة ، يزين للمرء ما كان يأنف منه ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطبائع المركبة والجبلة المخلوقة[٦٣٥]

أسباب المحبة وأنواعها عند ابن حزم

وإذا كانت المحبة لسبب من الأسباب ، فإنها تفنى بفناء سببها فمن ودك لامر ولى مع انقضائه.

والمحبة أنواع: وأفضلها محبة المتحابين في الله تعالى ، إما الاجتهاد في العمل وإما الاتفاق في اصل النحلة والمذهب. وإما لفضل علم يمنحه الإنسان ، ومحبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب، ومحبة التصاحب والمعرفة ومحبة البر، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق التي لا عله لها الا اتصال النفوس.

فكل هذه الأنواع منقضيه مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها ، متأكدة بدنوها ، فاتره ببعدها ، ومحبة العشق المتمكن من النفس لا فناء لها إلا بالموت.

634 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٦، ص ١٨٥

635 ابن حزم الأندلس ، طوق الحمامة ن تحقيق/ احسان عباس ، طبعة خاصة ، دار المدى للثقافة والنشر ، ٢٠٠٢، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م، مجاناً مع جريدة الحياة ، ص١٤-١٦

علامات الحب عند ابن حزم

يرى ابن حزم أن للحب علامات يعرفها الفطن الذكى وهى

١. إدمان النظر للمحبوب ، فالعين باب النفس الشارع ، وهى المنقبة عن سرائرها ، والمعبرة لضمائرها، والمعربة عن بواطنها ، فترى نظر المحب ينتقل بتنقل المحبوب ويميل حيث مال.

٢. الإقبال على حديث المحبوب والإنصات لحديثه إذا تكلم وتصديقة وإن كذب وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار ، واتباعه أينما ذهب وفيما يقول ، والإسراع بالسير نحو المكان الذى يكون فيه ، والتعمد للجلوس بقربه والقرب منه وترك الأشغال الموجبة الابعاد عنه ، والاستهانة بكل أمر جليل داعٍ إلى مفارقته والتباطؤ في المشى عند القيام عنه.

٣. الدهشة تبدو على المحب عند رؤية المحبوب فجأة وظهوره بغتة ، واضطراب المحب عند رؤية من يشبه محبوبه أو عند سماع اسمه فجأة.

٤. أن يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه مما كان شِح به قبل ذلك ليبدى محاسنة ويرغب في نفسه ، فكم بخيل جاد ، وقطوب تطلق ، وجبان تشجع ، وغليظ الطبع تظرف وجاهل تأدب.

٥. إذا تمكن الحب ترى الحديث سراراً والاعراض عن كل من حضر إلا عن المحبوب جهاراً.

٦. المجاذبة على الشئ يأخذه أحدهما وكثره الغمز الخفى والميل بالاتكاء والتعمد لمس اليد عند المحادثة ، ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة، وشرب فضلة ما أبقى المحبوب في الإناء ، وتحرى المكان الذى يقابله فمه.

٧. تجد المحب يستدعى سماع اسم حبيبه ويستلذ في اخباره ولا يخاف أن يفطن السامع ويفهم الحاضر ، قال صلى الله عليه وسلم:" حبك الشى يعمى ويصم"[٦٣٦]

[636] أحمد بن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، الموسوعة الحديثة ، ج٣٦، ص ٢٤

٨. يعرض للصادق المودة أن يبتدئ في الطعام وهو له مشته فما هو إلا وقت ما يهتاج له ذكر من يحب أصبح الطعام غصة في الحلق.

٩. حب الوحدة ، والانس بالانفراد ، ونحول الجسم دون وجع ظاهر ، ولكن هذا من علة في النفس كامنة.

١٠. كثرة السهر والشعور بطول الليل

١١. القلق عند رجائه لقاء من يحب فيعرض له عند ذلك حائل يمنع اللقاء ، أو عندما يحدث عتاب بينهما لا يعرف حقيقته فيصبح القلق حزناً وأسفا إن تخوف الهجر.

١٢. الجزع الشديد والحسرة عندما يرى من إعراض محبوبه عنه ونفاره منه.

١٣. ترى المحب يحب أهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا أحظى عنده من أهله ونفسه وجميع خاصته.

١٤. البكاء وغزارة الدمع ومنهم لا تسعفه عينه بالدمع إلا نادراً

١٥. يكون في الحب سوء الظن واتهام كل كلمة من أحدهما وتوجيهها إلى غير وجهها، وهذا أصل العتاب بين المحبين .

١٦. مراعاة المحب لمحبوبه وحفظه لكل مايقع منه وبحثه عن أخباره حتى لا يغيب عنه لحظة وتتبعه لحركاته ، فترى البليد يصبح في هذه الحالة ذكياً، والغافل فطناً[٦٣٧]

[637] ابن حزم ، طوق الحمامة ، تحقيق / احسان عباس ، ص ١٢-٣١

المحبة عند ابن مسكوية

أنواع المحبة عند بن مسكوية

يرى بن مسكوية أن للمحبة أنواع وأسبابها تكون بعدد أنواعها، وأنواعها كما يلى:-

١. ما ينعقد سريعاً وينحل سريعاً
٢. ما ينعقد سريعاً وينحل بطيئاً
٣. ما ينعقد بطيئاًن وينحل سريعاً
٤. ما ينعقد بطيئاً وينحل بطيئاً

أسباب المحبة

أنقسمت أسباب المحبة إلى أربعة أسباب لأن مقاصد الناس في مطالبهم وسيرهم ثلاثة ، ويتركب رابعها من الأسباب الثلاثة الأولى وهى

اللذة

فالمحبة التي يكون سببها اللذة هي التي تنعقد سريعاً وتنحل سريعاً لأن اللذة سريعة التغير[٦٣٨]

أقسام اللذة

تنقسم اللذة قسمين وهى

أ-**لذة انفعاليه:**- وهى شبيهة بلذة الاناث ، التي تشركنا فيها الحيوانات التي ليست بناطقة، لانها مقترنة بالشهوات ومحبة الانتقام وهى انفعالات النفسين البهيمتين ، وهذه اللذة ناقصة وعرضية ، لأن اللذات الحسية المقترنة بالشهوات تزول سريعا

638 ابن مسكوية ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، قدم له الشيخ حسن تميم ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط٢، ١٣٩٨هـ، ص ١٢٥

وتنقضى أسرع، وتنقلب لذاتها فتصير غير لذات ، وتصبح الاماً كثيرة ومكروهة بشعة مستقبحة ، وهذه أضداد اللذة ومقابلاتها.

وميل الإنسان الى اللذة الحسية ميل قوى وشوقه إليها مزعج ، ولا تزيد العادة في قوة الطبع الذى لنا زيادة كثيرة لما جبلنا عليه في المبدأ من القوة والشوق.

لذلك متى كانت هذه اللذة حسية قبيحة ثم مال الطبع اليها بافراط استحسن الإنسان فيها كل قبيح وهون على نفسه كل صعب ، ولم ير موضع الخطأ ولا مكان القبيح حتى يتبصر الحكمة.

واللذة العقلية فأمرها الضد لأن الطبع يكرهها ، فإن انصرف الإنسان إليها بمعرفته وتمييزه احتاج فيها إلى صبر ورياضة حتى إذا تبصر فيها انكشف له حسنها وبهاؤها وصار بالضد مما كان في الحسن ، لذلك الإنسان من نعومة أظفاره محتاج إلى سياسة الوالدين والشريعة الإلهية والدين القيم حتى تهديه وتقومه إلى الطريق الصحيح ليتولى تدبير نفسه مدى حياته.

واللذات العرضية متغيرة عن طبائعها إلى اضدادها حتى تصبح مؤلمة أو مكروهة، وانها شيطانية ومذمومة وغير ممدوحة.

ب-**لذة فعلية أي فاعلة** وهى تشبه لذة الذكور فهى الفاعلة ويختص بها الحيوان الناطق وهى ليست منفعلة إنفعالاً لأنها صارت لذة تامة وهى ذاتية ولا تصير في وقت آخر غير لذة ولا تنتقل عن حالتها بل هي ثابتة لذلك فالسعيد تكون لذته ذاتية لا عرضية وعقلية لا حسية وفعلية لا انفعالية وإلهية لا بهيمية ، لذلك قيل ان اللذة إذا كانت صحيحة قادت البدن من النقص إلى التمام ، ومن السقم إلى الصحة ، وتسوق النفس من الجهل إلى العلم ومن الرذيلة إلى الفضيلة[٦٣٩]

[639] ابن مسكوية ، تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، ص ١٠٠-١٠٢

الخير

المحبة التي سببها الخير فإنها تنعقد سريعاً وتنحل بطيئاً

١. المنافع

المحبة التي سببها المنفعة فهى التي تنعقد بطيئاً وتنحل سريعاً

٢. محبة تتركب من الأنواع الثلاثة السابقة وهى تنعقد بطيئاً وتنحل بطيئاً

وهذه المحبات تحدث بين الناس لأنها تكون بإرادة وروية ، وتكون فيها مجازاة ومكافأة.

الصداقة

الصداقة نوع من المحبة وهى أخص منها لأنها المودة بعينها ولا تقع بين جماعة كثيرين كما تقع المحبة.

والعشق افراط المحبة وهو أخص من المودة ، لأنه لا يمكن أن يقع إلا بين اثنين فقط ، ولا يقع في النافع ولا في المركب مع النافع وغيره ، وانما يقع لمحب اللذة بإفراط، ولمحب الخير بإفراط ، والأول مذموم والثانى محمود

أقسام الصداقة

تنقسم الصداقة إلى ثلاثة أقسام وهى

١.**الصداقة بين الأحداث** ، ومن كان مثل طباعهم وتحدث لأجل اللذة فيتصادقون سريعاً ويتقاطعون سريعاُ ، ويتكرر هذا بينهم في وقت قليل مراراً كثيرة . وتبقى الصداقة بقدر بقاء اللذة ومعاودتها حالاً بعد حال ، فإذا انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصداقة بالوقت وفى الحال.

٢.**الصداقة بين المشايخ:**– الصداقة بين المشايخ ومن كان في مثل طباعهم تقع للمنفعة ويتصادقون بسببها ، فإذا كانت المنافع مشتركة بينهم وهى غالباً طويلة الأمد

كانت الصداقة بينهم باقية ، فإذا انقطعت علاقة المنفعة بينهم وينقطع رجاؤهم من المنفعة المشتركة تنقطع مودتهم.

٣.**الصداقة بين الأخيار**:- الصداقة بين الأخيار تكون لأجل الخير وسببها الخير وبما أن الخير شيئاً ثابتاً غير متغير الذات أصبحت مودات أصحابه باقية غير متغيرة ولأن الإنسان مركباً من طبائع متضادة كان ميل كل واحد يخالف ميل الآخر ، فاللذة التي توافق احداها تخالف لذة الآخرى التي تضادها.

أما المحبة التي تكون في الله مثل الصداقة بين الأخيار لاتقبل النقصان ولا تنال منها الوشاية ولاتكون إلا بين الأخيار.

وأما المحبات التي تكون بسبب المنفعة واللذة فقد تكون بين الأشرار ، وبين الأخيار والأشرار ، ولكنها تنحل مع قضاء النافع واللذيذ ، لأنها عرضية وكيراً ما تحدث بالاجتماع في المواضع الغريبة ولكنها تزول بزوال المواضع كالسفينة وما يقوم مقامها ، والسبب في هذه المحبة الأنس لإن الإنسان آنس بطبعه وليس بوحشي ولا نفور[٦٤٠]

ومحبة الأخيار لبعضهم لاتكون للذة خارجة ولا لمنفعة بل للمناسبة الجوهرية بينهما ، وهى قصد الخير والتماس الفضيلة فإذا أحب أحدهم الآخر لهذه المناسبة لم تكن بينهم مخالفة ولا منازعة ، ونصحوا بعضهم وتلاقوا بالعدالة والتساوى في إرادة الخير والتساوى في النصيحة وإرادة الخير هو الذى يوحد كثرتهم ، ولهذا حد الصديق بأنه آخر هو انت لكنه غيرك بالشخص[٦٤١]

640 ابن مسكوية ، تهذيب الآخلاق وتطيهر الأعراق ، ص ١٢٥-١٢٨

641 ابن مسكوية ، تهذيب الآخلاق وتطهير الأعراق ، ص ١٣١

أسباب المحبة عند ابن مسكوية

إن أسباب المحبة إذا كانت مشتركة بين المتحابين وواحداً بعينه يمكن في الشيئين أن ينعقدا معاً ، كما يمكن أن يبقى أحدهما وينحل الآخر ، وعلى سبيل المثال اللذات المشتركة بين الرجل والمرأة هي سبب للمحبة بينهما .

فقد تجتمع المحبتان لأن السبب واحد وهى اللذة وقد تنقطع احداهما وتبقى الآخرى لأن اللذة تتغير ولا تكاد تستقر ، وقد يتغير سبب احدى المحبتين ويستقر ويثبت الآخر ، كما أن بين الرجل وزوجته خيرات مشتركة ومنافع مختلطة ومتبادلة ويتعاونان عليها ، أي الخيرات الخارجة عنا ، وهى الأسباب التي تعمر بها المنازل فالمرأة تنتظر من زوجها هذه الخيرات لأنه هو الذى يكتسبها ويحضرها والرجل ينتظر من زوجته ضبط تلك الخيرات ، لأنها هي التي تحفظها وتدبرها لتثمر ولا تضيع ، ومتى قصر أحدهما اختلفت المحبة وحدثت الشكايات وتبقى كذلك إلى أن تنقطع أو تبقى مع الشكايات والملامة.

وهذا حال المنفعة المشتركة بين الناس إذا كانت واحدة بعينها .

وأما المحبات الأخرى التي أسبابها مختلفة فهى أولى بسرعة التحلل ، وذلك بأن تكون محبة أحدى المتحابين للمنفعة ، ومحبة الثانى اللذة ، ومثال ذلك محبة اثنين احدهما مغن والثانى مستمع ، فالمغنى يحب المستمع للمنفعة ، والمستمع يحب المغنى لأجل اللذة[٦٤٢]

[642] ابن مسكوية ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ص ١٣٠

المحبة عند ابن أبى العز الحنفى

تعريف المحبة

قد اختلف في تحديد المحبة على أقوال عدة منها

لا تحد المحبة بحد أوضح منها ، فالحدود لاتزيدها الاخفاء ، وهذه الأشياء الواضحة لاتحتاج إلى تحديد ، كالماء والهواء والتراب والجوع[٦٤٣]

مراتب المحبة

١. العلاقة وهى تعلق القلب بالمحبوب
٢. الإرادة وهى ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له
٣. الصبابة وهى انصباب القلب اليه بحيث لا يملكه صاحبه كانصباب الماء في المنحدر
٤. الغرام وهى الحب اللازم للقلب ومنه الغريم لملازمته ، قال تعالى:" إن عذابها كان غراماً"[٦٤٤]
٥. المودة ، والود وهى صفو المحبة وخالصها ولبها ، قال تعالى:" سيجعل لهم الرحمن وداً"[٦٤٥]
٦. الشغف وهو وصول المحبة إلى شغاف القلب ، قال تعالى:" قد شغفها حباً"[٦٤٦]
٧. العشق وهو الحب المفرط الذى يخاف على صاحبه منه
٨. التتيم وهو بمعنى التعبد
٩. التعبد
١٠. الخلة وهى المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه[٦٤٧]أو هي كمال المحبة.

---

643 ابن أبى العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٧٦
644 سورة الفرقان ،آية ٦٥
645 سورة مريم ،آية ٩٦
646 سورة يوسف ،آية
647 ابن أبى العز الحنفى ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٧٥-١٧٦

وقد قيل في ترتيبها غير ذلك

والخلة أخص من مطلق المحبة والمحبوب بها لكما لها يكون محباً لذاته لا لشئ آخر ، إذا المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير ، ومن كمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة لتخللها المحبة ففيها كمال التوحيد وكمال الحب [٦٤٨]

محبة الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم

ثبت له عليه الصلاة والسلام أعلى مراتب المحبة وهى الخلة ، قال صلى الله عليه وسلم:" إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"[٦٤٩]

وقال صلى الله عليه وسلم:" لو كنت متخذ من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن"[٦٥٠]، أي أن الخلة خاصة والمحبة قد تثبت لغيره[٦٥١]

قال تعالى:" والله يحب المحسنين"[٦٥٢]وقال تعالى :" فإن الله يحب المتقين "[٦٥٣]

وقال تعالى:" إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين"[٦٥٤]

محبة أهل العدل والأمانة وبغض أهل الجور والخيانة:-

من كمال الإيمان وكمال العبودية لله تعالى فإن العبادة تشمل كمال المحبة ونهايتها ، وكمال الذل ونهايته ، فمحبة رسل الله وعباده المؤمنين من محبة الله تعالى ، ومحبة الله لا يستحقها غيره فغير الله يحب في الله لا مع الله تعالى ، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه ، ويبغض ما يبغض ويوالى من يواليه ويعادى من يعاديه ويغضب لغضبه ، ويأمر بما يأمربه وينهى عما ينهى عنه ، فهو موافق لمحبوبه في

---

[648] المرجع السابق ، ص ٣٢٨-٣٣٠

[649] صحيح مسلم بشرح النووي ن ج٥، ص ١٣

[650] الترمذى ، ج٥، ص ٦٠٦

[651] ابن ابى العز الحنفى ، شرح العقيدة الطحاوية ، بيروت ، دمشق ، المكتب الاسلامى ، ١٣٩٩هـ، ط٥، ص١٧٤-١٧٥

[652] سورة آل عمران ، آية ١٣٤

[653] سورة آل عمران ،آية ٧٦

[654] سورة البقرة ،آية ٢٢٢

كل حال ، والله تعالى يحب المحسنين والمتقين والتوابين والمتطهرين ونحن نحب ما أحبه الله تعالى ، والله لا يحب الخائنين ،ولا المفسدين ولا المستكبرين ، ونحن نبغضهم موافقة لله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم:" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ،ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار"[٦٥٥]

المحبة عند حبنكة الميدانى

يرى حبنكة الميدانى أن الحب ينقسم إلى قسمين

١. محبة عاقلة نافعة وهى التي تريد الخير لمن تحب ولو كان ذلك يتعبه ويخالف هواه.

والمحبة العاقلة الصحيحة أعظم مثال لها محبة الله تعالى لعباده ثم محبة الرسول لعباد الله تعالى ، ثم محبة المؤمنين الإسلام والمتأدبين بآدابه .

فالله تعالى يحب لبعاده الكمال ولا يحب لهم النقص ، فهو يحب لهم الإيمان ولا يرضى لهم الكفر.

ويحب لهم أن يعملوا صالحاً ولا يحب لهم أن يعملوا السيئات فمن آمن وعمل صالحاً كان من أحباب الله تعالى ، ومن كان من أحباب الله كان من أحباب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أحباب الصالحين من عباد الله تعالى . ومن كفر فإن الله تعالى لا يحبه لكفره ، وليس يكرهه لذاته لأنه عبد من عباده ، وخلق من خلقه ولكن عندما اختار لنفسه الكفر ابعده الله عن محبته ، ومن ظلم وأجرم وأفسد في الأرض فإن الله لا يحبه لاقترافه هذه المنكرات. لذلك كثر في القرآن قوله تعالى:"إن الله يحب المحسنين"[٦٥٦]، وقوله تعالى:" إن الله يحب التوابين ويحب

655 صحيح البخارى ، ج٦،ص ٥٦

656 سورة البقرة ، آية ١٩٥

المتطهرين"[٦٥٧]وقوله تعالى:" والله يحب الصابرين"[٦٥٨]، وقوله :" إن الله يحب المتوكلين"[٦٥٩]وقوله تعالى:" والله لا يحب الظالمين"[٦٦٠]، وقوله تعالى :" والله لا يحب كل كفار أثيم"[٦٦١]وقوله تعالى:" إن الله لا يحب المفسدين"[٦٦٢].

فالآيات القرآنية التي تحدد طريق المحبة الحكيمة العاقلة موصولة دائماً بإرادة الخير لمن تحب، والكراهية تتوجه حيث توجد القبائح والرذائل من عقائد وأخلاق وأقوال وأعمال.

٢.محبة جاهلة رعناء ضارة : وهى التي تسعى لإرضاء من تحب في كل ما يشتهى ويهوى ، وتفرح لفرحه في اتباعه أهواء نفسه وشهواتها ، ولو كان ذلك يجلب له ولغيره شراً وضرراً كبيراً ومصائب وعذاباً أليماً.

فالمحبة الجاهلة الرعناء للولد تجعل صاحبها يهمل تربية ولده شفقة عليه أو سروراً في تلبية أهواء نفسه ، حتى تجعله يتمادى في الشر والإثم وفى النهاية يصبح مجرماً خطراً.

والأم الجاهلة الحمقاء التي اشفقت على ولدها فأهملت تربيته فجعلته يصبح مجرماً وهى لا تشعر، وأوصلته الجريمة الى يد العدالة . عندما جزعت الأم وأخذت تبكى حسرة عليه وندماً على ما أهملت في تربيته ، وهو يقول له أنت يا أمى دفعت بى إلى هذا المصير المهلك بسوء تربيتك لى[٦٦٣]

---

657 سورة البقرة ، آية ٢٢٢

658 سورة آل عمران ، آية ١٤٦

659 سورة آل عمران ، آية ١٥٩

660 سورة آل عمران آية ١٤٠

661 سورة البقرة ، آية ٢٧٦

662 سورة القصص ، آية ٧٧

663 عبدالرحمن حبنكة الميدانى ، الأخلاق الإسلامية واسسها ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص ٢٤٥-٢٤٦

الفصل الرابع

النفس في القرآن الكريم

وصف الله تعالى النفس في القرآن الكريم بثلاثة صفات هي:-

١. النفس المطمئنة التي سكنت إلى الله واطمأنت بذكره ، واشتاقت إلى لقائه ، قال تعالى:" ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية"[٦٦٤]

والطمأنينة هي السكون والاستقرار إلى محبة الله تعالى وعبوديته وذكره واطمأنت إلى التصديق بحقائق اسمائه وصفاته ، واطمأنت إلى الرضى به رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً واطمأنت إلى قضائه وقدره.

٢. النفس الامارة بالسوء ، وهى التي تأمر صاحبها بما تهواه من شهوات الغى واتباع الباطل ، فهى مأوى كل سوء ، وإن أطاعها قادته إلى كل قبيح وكل مكروه، قال تعالى:" إن النفس لأمارة بالسوء"[٦٦٥]

٣. النفس اللوامة

قال مجاهد:" هي التي تندم على ما فات وتلوم عليه"

وقال عطاء عن ابن عباس" كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة ،تلوم المحسن نفسه أن لا يكون ازداد إحساناً ، وتلوم المسئ نفسه أن لا يكون رجع عن اساءته "[٦٦٦]

قال تعالى:" ولا أقسم بالنفس اللوامة"[٦٦٧]

فالنفس المطمئنة إلى ربها هي أشرف النفوس وأزكاها ، ونفس مجاهدة صابرة ، ونفس مفتونة بالشهوات والهوى ، وهى الشقية التي حظها الألم والعذاب ، والبعد عن الله تعالى[٦٦٨]

---

664 سورة الفجر ، آية ٢٧-٢٨

665 سورة يوسف ، آية ٥٣

666 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج١، ص ٨٠

667 سورة القيامة ، آية ٢

668 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١٦١

محاسبة النفس

محاسبة النفس نوعان

١. نوع قبل العمل ، وهو إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وقف ونظر وفكر في أربعة مواقف يحتاج إلى محاسبة نفسه عليها قبل العمل ، فما كل ما يريد العبد عمله يكون مقدوراً له ولا كل ما يكون مقدوراً له يكون فعله خيراً له من تركه ولا كل ما يكون فعله خيراً له من تركه يفعله لله ، ولا كل ما يفعله لله يكون مُعانا عليه ، فإذا حاسب نفسه على ذلك وضح له ما يقدم عليه ، وما يبتعد عنه

٢. محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع:-

أ- محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى ، فلم تفعلها على الوجه الذى ينبغي.

وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور هي:-

الإخلاص في العمل والنصحية لله فيه ومتابعة الرسول فيه وشهود مشهد الاحسان فيه وشهود منه الله عليه وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله فيحاسب نفسه هل وفى هذه المقامات حقها.

ب- أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً له من فعله

ت- أن يحاسب نفسه على أمر مُباح : لم أفعله ؟ وهل أراد به الله تعالى فيكون رابحاً أو أراد به الدنيا وعاجلها فيخسر ذلك الربح .

وأضر ما على الأنسان الإهمال وترك المحاسبة ، وتسهيل الأمور ويتكل على العفو فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة ، وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب وأنس بها وصعب عليه فطامها ، ولو استعمل رشده لعرف أن الحمية أسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد[٦٦٩]

[669] ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج١، ص ٨٣-٨٤١ز٢

أي أن صلاح القلب بمحاسبة النفس ، وفساده بإهمالها وتركها لان محاسبة النفس الإطلاع على عيوبها وإصلاحها ، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يستطع إزالته[٦٧٠]

مصائد العشق والهوى

ما فتن به عشاق الصور واستعبدت النفوس لغير خالقها وملكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد ودعت إلى موالاة كل شيطان ، فأصبح القلب للهوى أسيراً ، وجعلته عليه حاكماً وأميراً، فملأت القلوب فتنة وحالت بينها وبين رشدها وباعتها في سوق الرقيق بأبخس الأثمان ، وعوضتها بأقل الحظوظ وأدنى المطالب من غرف الجنان، فضلاً عما هو فوق ذلك من القرب من الرحمن ، فإطمأنت إلى المحبوب الذى ألَمُها به أضعاف لذتها والوصول إليه أكبر أسباب مضرتها ، فما أسرعه حبيباً يصبح عدواً عن قريب ، ويتبرأ منه كأن لم يكن بحبيب ، وإن تمتع به في هذه الدنيا فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين ، عندما يصبح الأخلاء يؤمئذ بعضهم لبعض عدواً إلا المتقين.

فيا حسرة وخسارة المحب الذى باع نفسه لغير الحبيب الأول بثمن بخس ، وشهوة عاجلة ، ذهبت لذتها وبقيت تبعتها وانقضت منفعتها وبقيت مضرتها ، وذهبت النشوة وبقيت الحسرة.

فجمع له بين الحسرتين حسرة فوت المحبوب الأعلى والنعيم المقيم وحسرة ما يقاسيه من النصب في العذاب الأليم.

فالمحب لمن أحبه عبد خاضع ذليل، إن دعاه لباه وإن قيل له ما تتمنى؟ فهو غاية ما يتمناه لايأنس ولا يسكن إلى سواه [٦٧١]، ومن غمر قلبه بمحبة الله تعالى وذكره ،وخشيته والتوكل عليه ، أغناه ذلك عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه وأغناه عن عشق الصور، وإذا خلا من ذلك أصبح عبد هواه ، أي شيئ استحسنه ملكه واستعبده[٦٧٢]

670 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج١، ص٨٦

671 ابن القيم، إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ، ج٢، ص ٩٧-٩٨

672 المرجع السابق ، ج١، ص ١٩٧

المحبة والإرادة أصل كل عمل

إن كل عمل أصله المحبة والإرادة للتنعم بالمراد المحبوب، فكل حى يعمل لما فيه تنعمه ولذته، فالتنعم هو المقصود من كل حركة وعمل نعمله والعذاب والتألم هو المكروه بكل بعض وامتناع وكف.

ويقع الجهل والظلم لبنى آدم لسببين : بالدين الفاسد والدنيا الفاجرة طلبوا بهما النعيم وفيهما ضده ، ففاتهم النعيم من حيث طلبوه وآثروه ووقعوا في الألم والعذاب من حيث هربوا منه.

والأعمال التي يعملها جميع الناس إما يتخذوها ديناً أو لا يتخذوها ديناً والذين لم يتخذوها ديناً إما أن يكون الدين بها دين حق، أو يكون ديناً باطلاً. والنعيم التام في الدين الحق علماً وعملاً، فأهله من أصحاب النعيم الكامل. قال تعالى:" اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين "[٦٧٣]، وقال تعالى :" إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم"[٦٧٤]، فوعد الله تعالى أهل الهدى والعمل الصالح بالنعيم التام في الدار الآخرة ، ووعد أهل الضلال والفجور بالشقاء[٦٧٥]

من أكثر من يعتقد من الناس أنه هو المظلوم الحق من كل وجه ولا يكون الأمر كذلك بل يكون معه شيئاً من الحق وشيئاً من الباطل والظلم ، ومع خصمه شيئاً من الحق والعدل ،وحب الشيء يعمى ويصم ، والإنسان مجبول على حب نفسه فهو لا يرى إلا محاسنها، ومبغض لخصمه لا يرى إلا مساوئه ، وقد يشتد حبه لنفسه فيرى مساؤئها محاسن ، كما قال تعالى:" أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً"[٦٧٦]

ويزداد بغض خصمه حتى يرى محاسنه مساوى، وغالباً هذا الجهل ممزوج بالهوى والظلم لأن الإنسان ظلوماً جهولاً[٦٧٧]

673 سورة الفاتحة ، آية ٦-٧
674 سورة الأنفطار، آية ١٣-١٤
675 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١٤٢-١٤٣
676 سورة فاطر ، آية ٨
677 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١٤٧

الحب والإرادة والبغض والكراهية

الحب والإرادة مبدأ لجميع الأفعال والحركات في العالم ، والبغض والكراهية مبدأ كل ترك وكف.

وأن المحبة والإرادة أصل للبغض والكراهية ، وعله لهما من غير عكس، لأنه لولا وجود المحبوب لم يكن البغض بخلاف الحب للشى فإنه فد يكون لنفسه ، لا لآجل منافاته للبغيض وكلما كان الحب أقوى كانت قوة البغض للمنافي أشد.

إن الإيمان علم وعمل والعمل ثمرة العلم ، وهو نوعان:-

عمل القلب حباً وبغضاً ويترتب عليهما عمل الجوارح فعلاً وتركاً وهما العطاء والمنع.

فإذا كانت هذه الأربعة لله تعالى ، كان صاحبها مستكمل الإيمان وما نقص منها لغير الله ، نقص من ايمانه بحسبه.

ومن خاصية العقل واللب التمييز بين مراتب المحبوبات

عن معاذ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان قال : أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض في الله وتعمل لسانك في ذكر الله ، قال : وماذا يا رسول الله؟ قال : وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك ، وأن تقول خيراً أو تصمت"[٦٧٨]

والمكروهات بقوة العلم والتمييز، وإيثار أفضل المحبوبين على أقلهما واحتمال أقل المكروهين للتخلص من أكثرهما بقوة الصبر والثبات واليقين[٦٧٩]

والمحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه ، فتحرك محب الرحمن ومحب القرأن ،ومحب العلم والإيمان ، ومحب المتاع ومحب الأوثان والصلبان ومحب

678 مسند احمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٣٦، ص ٤٤٦

679 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص٩٩-١٠٠

النسوان، ومحب الأوطان، ومحب الأخوان فتثير من القلب حركة إلى محبوبه عند ذكره دون غيره.

ولهذا نجد محب النسوان لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان ولاعند تلاوة القرآن ، حتى إذا ذكر له محبوبه اهتز له طرباً وتحرك باطنه وظاهره شوقاً إليه.

وكل هذه المحاب باطلة فانية سوى محبة الله تعالى وما والاها من محبة رسوله وكتابه ودينه وأوليائه ، فهذه المحبة تدوم ثمرتها ونعيمها بدوام من تعلقت به.

وإذا انقطعت علائق المحبين وأسباب تواداهم وتحابهم لم تنقطع أسبابها ، قال تعالى:" إذا تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأو العذاب وتقطعت بهم الأسباب"[٦٨٠]

إذا فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله تعالى بها وخلق خلقه لأجلها هي محبته وحده لا شريك له ، المتضمنة لعبادته وحده دون شريك.

ومحبة الله تعالى هي كا العبادة والإنابة والإخبات ولا يذكر فيها لفظ العشق والغرام ،والصبابة وغيرها :-

وقد يذكر لها لفظ المحبة ، قال تعالى:" يحبهم ويحبونه"[٦٨١]، وقوله تعالى:" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"[٦٨٢]، وقال تعالى:" والذين ءامنوا أشد حباً لله"[٦٨٣]

ولا يجد حلاوة الإيمان ولا يذوق طعمه إلا من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما، قال صلى الله عليه وسلم:"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه ألا لله وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى منه كما يكره أن يلقى في النار"[٦٨٤]

680 سورة البقرة ،آية ١٦٦
681 سورة المائدة ، آية ٥٤
682 سورة آل عمران ، آية ٣١
683 سورة البقرة ، آية ١٦٥
684 البخارى ، صحيح البخارى ، ج١، ص ٩-١٠ ، وج٨، ص ٥٦

وقال صلى الله عليه وسلم:" والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[٦٨٥]

واتفقت دعوة الرسل كلهم على عبادة الله وحده لا شريك له ، وأصل العبادة وتمامها وكمالها هو المحبة وافراد الله تعالى بها

ولا صلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون هو وحده محبوبه ومراده وغاية مطلوبه ، كانت محبته نافعة له .

وإن كان محبوبه ومراده ونهاية مطلوبه غيره كانت محبته ضارة له وعذاباً وشقاء.

فالمحبة النافعة هي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه من السعادة والنعيم في الدنيا والآخرة ، والمحبة الضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره من الشقاء والألم.

والإنسان العالم الناصح لنفسه لا يؤثر محبة ما يضره ويشقيه ويقع ذلك من فساد تصوره، أو من فساد قصده وإرادته فالأول جهل والثانى ظلم ، والانسان خلق ظلوماً جهولاً.

فالنفس تهوى ما يضرها ولا ينفعها، لجهلها بمضرته ، أو لفساد قصدها أو الاثنين معاً.

والله تعالى ذم من أجاب داعى الظلم والجهل ، قال تعالى:" فإن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين"[٦٨٦]

وقال تعالى:" إن يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى"[٦٨٧]

فأصل كل خير العلم والعدل وأصل كل شر الجهل والظلم ، والله تعالى جعل للعدل المأمور به جداً ، فمن تجاوزه كان ظلماً معتدياً ، قال تعالى:" وكلوا واشربوا إنه

685 صحيح البخارى ، ج١، ص ٩

686 سورة القصص ، آية ٥٠

687 سورة النجم ، آية٢٣

لا يحب المسرفين"[٦٨٨]، وقال تعالى فيمن ابتغى سوى زوجته أو ملك يمينه ، " فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون"[٦٨٩]" ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين "[٦٩٠]

أي أن محبة الظلم والعدوان سببها فساد العلم ، أوفساد القصد أو فسادهما معاً.

والإنسان أحوج شى إلى علم ما يضره ليجتنبه ، وما ينفعه ليفعله[٦٩١]

الفتن

الفتن[٦٩٢]جمع فتنة وهى الاختبار أصلاً ثم تنصرف إلى معان منها الابتلاء نحو قوله تعالى:" وفتناك فتوناً"[٦٩٣]أي ابتليناك ابتلاء على آثر ابتلاء ، ومنها العذاب ، قال تعالى:" جعل فتنة الناس كعذاب الله"[٦٩٤]، ومنها الصد عن الدين ، قال تعالى:" واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك"[٦٩٥]والمراد في الآية الشرك بالله ، ومنها ما يدفع اليه الإنسان من شدة ورخاء ، وفى الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً: "ونبلوكم بالشر والخير فتنة"[٦٩٦]ومنه قوله:" وإن كادوا ليفتنونك"[٦٩٧]، أي يوقعونك في بلية وشدة في صرفك عن العمل بما أوحى اليك ، والفتنة تكون من الأفعال الصادرة من الله ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب والمعصية وغيرها من المكروهات ، فإن كانت من الله فهى على وجه الحكمة ، وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله فهى مذمومة ، فقد ذم الله الإنسان بايقاع الفتنة ، فال تعالى:" والفتنة أشد من

688 الأعراف ، آية٣٣
689 سورة المؤمنون ، آية ٧
690 سورة البقرة ،آية ١٩٠
691 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١٠٠-١١١
692 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٤، ص ٤٦٠
693 سورة طه ، آية ٤٠
694 سورة العنكبوت ، آية ١٠
695 سورة المائدة ، آية ٤٩
696 سورة الأنبياء ، آية ٣٥
697 سورة الآسراء ، آية ٧٣

القتل"[٦٩٨]، وقوله تعالى :" إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات"[٦٩٩]وقوله:" وما أنتم عليه بفاتنين"[٧٠٠]، وقوله :" بأيكم المفتون"[٧٠١]

قال صلى الله عليه وسلم:" تعرض الفتن على القلب كالحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكتت فيه نكته سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه"[٧٠٢]

"تعرض الفتن على القلوب كا لحصر عوداً عوداً"

معنى ذلك أن الفتن تلصق بالقلوب كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها وتعاد وتتكرر شيئاً بعد شيء كما ينسج الحصير عوداً عوداً ، وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عوداً أخذ آخر ونسجه فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد، ومعنى أشربها أي دخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها وحلت منه محل الشراب ، ومعنى نكت نكتة نقط نقطة ليس تشبيه بالصفا بيانا لبياضه لكن صفة أخرى لشدته على عقد الايمان وسلامته من الخلل وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذى لا يعلق به شى وقوله كالكوز مجخياً ليس تشبيها لما تقدم من سواده بل هو وصف آخر من أوصافه بأنه قلب ونكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة ومثله بالكوز المجخى وبينه بأنه لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً وشبه القلب الذى لا يعى خيراً بالكوز المنحرف الذى لا يثبت الماء فيه ، أي أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب

698 سورة البقرة ، آية ١٩١
699 سورة البروج ، آية ١٠
700 سورة الصافات ، آية ١٦٢
701 سورة القلم ،آية ٦
702 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٢، ص ١٧١-١٧٢، ومسند أحمد ، ج٥، ص ٣٨٦، ٤٠٥

المعاصى دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الأسلام والقلب مثل الكوز فاذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله بعد ذلك[٧٠٣]والله أعلم

قال صلى الله عليه وسلم:" ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى ، من تشرف لها تستشرفه ، فمن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعذ به "[٧٠٤]

وفى لفظ آخر " تكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القائم"[٧٠٥]

في شرح الحديث السابق قيل:" القاعد فيها خير من القائم"

أي القاعد في زمانها عنها ، والمراد بالقائم الذى لا يستشرفها وبالماشى من يمشى في أسبابه لامر سواها ، فربما يقع بسبب مشيه في أمر يكرهه ، وأن الظاهر من يكون مباشراً لها في الأحوال كلها ، أي أن بعضهم في ذلك أشد من بعض ، فأعلاهم في ذلك الساعى فيه بحيث يكون سبباً لإثارتها ، ثم من يكون قائماً بأسبابها وهو الماشى ، ثم من يكون مباشراً لها وهو القائم ، ثم من يكون مع النظارة ولا يقاتل وهو القاعد ، ثم من يكون مجتنباً له ولا يباشر ولا ينظر وهو المضطجع اليقظان ، ثم من لا يقع منه شى من ذلك ولكنه راض وهو النائم ، والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شراً ممن فوقه على التفصيل المذكور .

وقوله" تستشرفه" أي من انتصب لها انتصبت له ومن أعرض عنها أعرضت عنه ، ويحتمل أن يكون المراد من خاطر فيها بنفسه أهلكته.

وقوله " فليعذبه" أي ليعتزل فيه ليسلم من شر الفتنة وفيه التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها وأن شرها يكون بحسب التعلق بها، والمراد بالفتنة ما

---

[703] النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٢، ص ١٧١-١٧٣

[704] فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ج١٣، ص ٣٣، ومسند أحمد ، ج١، ص ١٨٥، ١٦٩، ٤٤٨، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٨، ص ٨

[705] نفس المكان

ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل ، قال الطبرى" اختلف السلف فحمل ذلك بعضهم على العموم وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقاً وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها ، ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيوت وقالت طائفة بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً ، ثم اختلفوا فمنهم من قال : إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل ومنهم من قال: بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله وهو معذور إن قتل أو قتل ، وقال آخرون : إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها ، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ ونصر المصيب ، وهذا قول الجمهور ، وقال آخرون : كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع ، قال الطبرى والصواب أن يقال أن الفتنة أصلها ابتلاء ، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه ، فمن أعان الحق أصاب ومن أعان المخطئ أخطأ ، وإن أشكل الأمر فهى الحالة التي ورد فيها النهى عن القتال ، وقال آخرون إلى أن الأحاديث التي وردت في حق ناس مخصوصين ، وأن النهى مخصوص بمن خوطب بذلك ، وقيل إن أحاديث النهى مخصوصة بأخر الزمان حيث يحصل التحقق أن المقاتلة أنما هي في طلب الملك ، وفى حديث ابن مسعود" قلت يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال أيام الهرج ، قلت ومتى؟ قال : حين لا يأمن الرجل جليسة"[٧٠٦]

أنواع الفتنة

الفتنة نوعان:- فتنة الشبهات ، وفتنة الشهوات وقد يجتمعان للعبد أو إحداهما

١. فتنة الشبهات وهى أعظم الفتنتين ، من ضعف البصيرة وقلة العلم وخاصة إذا اقترن به فساد القصد وحصول الهوى فينتج ضلال سيئ القصد الحاكم عليه الهوى

[706] ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشح صحيح البخارى ، دار الديان للتراث ، القاهرة ، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ج١٣، ص ٣٣-٣٥

مع ضعف بصيرته ، وقلة علمه بما أرسل الله به رسوله فهو من الذين قال الله تعالى فيهم:" إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس"[٧٠٧]

وقد أخبر الله تعالى أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله ، قال تعالى:" يداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب"[٧٠٨]

وهذه الفتنة هي فتنة المنافقين ، وأهل البدع على حسب درجات بدعهم فكلهم ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل ، والهدى بالضلال.

ولا ينجى من هذه الفتنة إلا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في أدق تفاصيل الأمور ظاهرة وباطنة ، عقائده وأعماله ، حقائق وشرائع الإيمان والإسلام وما يثبته لله من الصفات والأفعال والأسماء وما ينفيه عنه ، كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها والزكاة ومستحقيها ، والوضوء والغسل من الجنابة وصوم رمضان ، وهو رسول في كل شيء تحتاج إليه الامة في العلم والعمل ن والهدى كله في أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم ، فهذا الذى ينجى من فتنة الشبهات ومن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه.

وهذه الفتنة تنتج أحياناً من فهم فاسد أونقل كاذب أو من غرض فاسد وهوى متبع وهذا عمى في البصيرة وفساد في الإرادة.

٢. فتنة الشهوات

وقد جمع الله تعالى بين ذكر الفتنتين في قوله تعالى:" كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم"[٧٠٩]

أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها ، ثم قال تعالى:" وخضتم كالذى خاضوا"[٧١٠] فهذا الخوض بالباطل وهو الشبهات ، فأشار الله تعالى في الآية السابقة

707 سورة النجم ، آية ٢٣
708 سورة ص ، آية ٢٦
709 سورة التوبة ، آية ٦٩

إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق ، والخوض بالباطل ، لأن فساد الدين أما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به ، أو بالعمل بغير العلم الصحيح

والأول فساد من جهة الشبهات وهو البدع وما والاها

والثانى من جهة الشهوات وهو فسق الأعمال

وأصل فتنة الشبهة تقديم الرأي على الشرع

وأصل فتنة الشهوة تقديم الهوى على العقل

ففتنة الشبهات تدفع باليقين ، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر لذلك جعل الله تعالى امامة الدين تنال باليقين والصبر ، قال تعالى:" وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بأيتنا يوقنون"[٧١١] ، فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة ، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة .

والذى يسلم من فتنة الشبهات والشهوات يحصل على سعادته وفلاحه وكماله وهى الهدى والرحمة [٧١٢]

المحبة المحرمة " عشق الصور"

ومن الفتن العظيمة التي استعبدت النفوس لغير خالفها ورهنت القلوب عند من يسومها الهوان من عشاقها واشعلت الحرب بين العشق والتوحيد ، ودعت إلى موالاة كل شيطان ، فأصبح القلب للهوى أسيراً ، وجعلته عليه حاكماً وأميراً ، فملئت القلوب فتنة وقطعت السبيل بينها وبين رشدها ، فخنست إلى ذلك المحبوب الذى ألمها وعذبها أضعاف لذتها ونيله والوصول اليه أكبر أسباب مضرتها فما أوشكه حبيباً يتحول عدواً عن قريب ويتبرا منه محبه كأن لم يكن له بحبيب ، وإن تمتع به في هذه

[710] سورة التوبة ،آية ٦٩

[711] سورة السجدة ، آية ٢٤

[712] ابن القيم ،إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١٣٤-١٣٦

الدار فسوف يجد به أعظم الألم بعد حين حيث يصبح الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدواً الا المتقين .

فياحسرة المحب الذى باع نفسه لغير الله تعالى بثمن بخس وشهوة عاجلة ذهبت لذتها ومنفعتها ونشوتها وبقيت مضرتها وشقوتها وحسرتها ، فيا أرحم الراحمين قد جمع هذا المخدوع بين الحسرتين حسرة فوت المحبوب الله تعالى والنعيم المقيم وحسرة ما يعانية من النصب في العذاب الأليم[٧١٣]

أصل الفواحش

إن أصل الفواحش المحبة لغير الله تعالى وتظهر في المشركين أكثر منها في المخلصين ، قال تعالى:" يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزغ عنهما لباسهما ليريهما سوأتهما أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشيطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالو وجدنا عليها ءاباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون"[٧١٤]

وقال تعالى:" قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون"[٧١٥]

وأخبر الله تعالى في الآية السابقة عن أولياء الشيطان أنهم إذا فعلوا فاحشة احتجوا بتقليد أسلافهم وزعموا أن الله تعالى أمرهم بها ، فاتبعوا الظن الكاذب والهوى الباطل ، ومن الناس يستحل ما حرمه الله تعالى ورسوله ظانين أن الله تعالى أباحه أو تقليداً لاسلافهم وأصله العشق الذى يبغضه الله فمنهم يجعله ديناً ويرى أنه يتقرب به إلى الله تعالى أما لزعمه أنه يزكى النفس ويهذبها ، وإما لزعمه أن الصور الجميلة مظاهر الحق ومشاهده ، وإما لاعتقاده حلول الرب فيها ، واتحاده بها فهؤلاء نجد

713 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ٩٨
714 سورة الأعراف ، آية ٢٧-٢٨
715 سورة الأعراف ، آية ٣٣

بينهم توافقاً وتألفاً على اتخاذ أنداداً من دون الله يحبونهم كحب الله إما تدينا وإما شهوة، وإما جمعاً بين الأمرين ولهذا يجتمعون على السماع الشيطانى الذى يهيج الحب المشترك وسبب ذلك خلو القلب من عبادة الله تعالى التي تجمع محبته وتعظيمه. والخضوع والذل له ، فإذا كان في القلب محبة الإيمان أغناه عن محبة الأنداد ، وإذا خلا القلب من ذلك استبدله بما يهواه ، وهذا من تبديل الدين وتغيير فطرة الله التي فطر عباده عليها[٧١٦] ، قال تعالى:" فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله "[٧١٧]

تحليل قصة يوسف عليه السلام عند ابن القيم

قال تعالى:" وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتها عن نفسه قد شغفها حباً انا لنراها في ضلال مبين ، فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهم واعتدت لهن متكئاَ وءاتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اُخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم، قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما ءامره ليسجنن وليكونا من الصغرين ، قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى اليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجهلين"[٧١٨]

أولاً:- كيد امرأة العزيز ليوسف عليه السلام بتغليق الأبواب ودعائه الى نفسها

ثانياً:- كيدها له بقولها" ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم"[٧١٩]

فكادته بالمراودة أولاً وكادته بالكذب عليه ثانياً ، ولهذا قال لها الشاهد لما تبين له براءة يوسف عليه السلام:" انه من كيدكن إن كيدكن عظيم"[٧٢٠]

716 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١٢٦-١٢٧
717 سورة الروم ، آية ٣٠
718 سورة يوسف ، آية ٣٠-٣٣
719 سورة يوسف ، آية ٢٥

ثالثاً:- كيدها له حيث جمعت له النسوة وأخرجته عليهن تستعين بهن عليه وتستعذر إليهن من شغفها به

رابعاً:- كيد النسوة له حتى استجار بالله تعالى من كيدهن فقال:" وإلا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن وأكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم"[٧٢١]، وكيد النسوة في قوله تعالى :" وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين"[٧٢٢]

وهذا متضمن عدة وجوه من مكر النسوة:-

١. قولهن "امراة العزيز تراود فتاها"، ولم يسموها بأسمها بل ذكروها بالوصف الذى ينادى عليها بقبيح فعلها بكونها ذات زوج ، فصدور الفاحشة منها أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

٢. إن زوجها عزيز مصر ورئيسها وكبيرها ، وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

٣. إن الذى تراوده مملوك لا حر ، وهذا أبلغ في القبح

٤. أنه فتاها الذى هو في بيتها وتحت كنفها فحكمه حكم أهل البيت ، بخلاف طلب ذلك من الاجنبى البعيد

٥. أنها هي الطالبة المراودة

٦. أنها قد بلغ عشقها له كل مبلغ حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها

٧. أنه أعف منها وأوفى حيث كانت هي المراودة الطالبه وهو الممتنع ، عفافاً وكرماً وحياءً ، وهذا غاية الذم لها .

٨. انهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالاً واستقبالاً، وأن هذا شأنها ولم يقلن راودت فتاها ، وفرق بين قولك : فلان أضاف ضيفاً، وفلان يقرى الضيف ويطعم الطعام ، فإن هذا يدل على أن هذا شأنه وعادته.

---

720 سورة يوسف ، آية ٢٨

721 سورة يوسف ، آية ٣٣-٣٤

722 سورة يوسف ، آية ٣٠

٩. قولهن:" إنا لنراها في ضلال مبين"

إنا لنستقبح منها ذلك غاية الاستقباح فنسبن الاستقباح اليها ، واستقبحن منها ذلك وكان هذا دليلاً على أنه من أقبح الأمور وأنه مما لا ينبغي أن تساعد عليه ولا يحسن معاونتها عليه.

١٠. أنهن جمعن لها في هذا الكلام واللوم بين العشق المفرط والطلب المفرط ، فلم تقتصد في حبها ولا في طلبها أما العشق فقولهن:" قد شغفها حباً"

أي وصل حبه إلى شغاف قلبها

وانما الطلب المفرط فقولهن" تراود فتاها"، والمراودة الطلب مرة بعد مرة ، فنسبوها إلى شدة العشق، وشدة الحرص على الفاحشة. فلما سمعت بهذا المكر منهن هيأت لهن مكراً أبلغ منه فهيأت لهن متكأ، ثم أرسلت اليهن فجمعتهن وخبأت يوسف عليه السلام عنهن. وقيل إنها جملته وألبسته أحسن ما تستطيع وأخرجته عليهن فجأة فرأينه أحسن خلق الله وأجملهم قد طلع عليهن بغتة ، فراعهن ذلك المنظر البهى وفى ايديهن سكين يقطعن بها مايأكلنه فدهشن حتى قطعن أيديهن وهن لا يشعرن بجرحها وشقها لدهشتهن بما رأين فقابلت مكرهن القولى بالمكر الفعلى ، وهذا في النساء غاية المكر[٧٢٣].

وقصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز تحصل في كل زمان ومكان وكل مجتمع مع اختلاف شدة وقوعها من مجتمع لمجتمع حسب الاعتقاد والدين وقصة يوسف فيها عبر وعظات كثيرة ولكن في هذا المقام يوضح الله لنا ما يجلبه الاختلاط المحرم من دمار على الاسرة وبالتالي نشر الفساد في المجتمع وجبروت النساء وكيدهن.

[723] ابن القيم الجوزية ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ٩٢-٩٤

محب الدنيا

محب الدنيا لا يسلم من ثلاث: هم لازم ، وتعب دائم ، وحسرة لا تنقضى

لان محبها لا يأخذ منها شيئاً إلا طمعت نفسه إلى أكثر منه ، كما قال صلى الله عليه وسلم:" لو كان لابن آدم وادٍ من مال لابتغى اليه ثانياً ، ولو كان له واديان لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب[٧٢٤]

وذكر ابن أبى الدنيا أن الحسن البصرى كتب إلى عمر بن عبدالعزيز يحذره من الدنيا:" أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة إنما أنزل اليها آدم عليه السلام عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تركها والغنى فيها فقرها ، لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها ، هي كالسم يأكله من لا يعرفه ، وهو حتفه فكن فيها كالمداوى جراحه يحتمى قليلاً مخافة ما يكره طويلاً ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغرارة ، الخداعة الخيالة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بأمالها ، وتشوفت لخطابها ، فأصبحت هي لأزواجها كلهم قاتلة ، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته ، فاغتر وطغى ونسى المعاد فشغل بها لبه ، حتى زلت عنها قدمه فعظمت عليها ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وألمه ، وحسرات الفوت وعاشق لم ينل منها بغيته فعاش بغصته وذهب بكمده ولم يدرك منها ما طلب ولم تسترح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد، فكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه وُصِل الرخاء منها بالبلاء ، وجُعل البقاء فيها إلى فناء ، سرورها مشوب بالحزن أمانيها كاذبه وآمالها باطلة وصفوها كدر، وعيشها نكد ، فلو كان ربنا لم يخبر عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً ، لكانت قد أيقظت النائم ونبهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله فيها واعظ وعنها زاجر؟ فمالها عند الله قدر ولا وزن ، ولا نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبينا بمفاتيحها وخزائنها.

[724] صحيح البخارى ، كتاب الرقاق ، باب ما يتقى منه فتنة المال ،ج٧، ص ١٧٥

قال صلى الله عليه وسلم:" أعطيت مالم يعط أحد من الأنبياء قبلى نصرت بالرعب ، واعطيت مفاتيح الأرض"[٧٢٥]، وقال صلى الله عليه وسلم:" لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء"[٧٢٦]

الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها ، كره أن يحب ما أبغض خالقة أو يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختياراً ، وبسطها لاعدائه اغتراراً، فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أُكرم بها ونسى ما صنع الله عزوجل برسوله حين شد الحجر على بطنه"[٧٢٧]

وعشاق الدنيا أعلم بما يقاسونه من العذاب والألم في طلبها ولما كانت الدنيا أكبر هم من لا يؤمن بالآخرة ، ولا يرجو لقاء ربه ، كان عذابه بها بحسب حرصه عليها وشدة اجتهاده في طلبها.

وإذا أردت أن تعرف عذاب أهلها بها فتأمل حال عاشق ذائب في حب معشوقه ، وكلما قرب من معشوقه بعُد عنه ولا يفى له ، ويهجره ويصل عدوه ، فمعشوقه قليل الوفاء كثير الجفاء كثير الشركاء ، عظيم الخيانة ، كثير التلون لا يأمن عاشقه معه على نفسه ولا على ماله مع أنه لا صبر له عنه ، ولا يجد عنه سبيلاً إلى سلوة تريحه ولا وصال يدوم له.

فلو لم يكن لهذا العاشق عذاب إلا هذا العاجل لكفى به ، فكيف إذا حيل بينه وبين لذاته كلها وأصبح معذباً بنفس ما كان ملتذاً به على قدر لذته به التي شغلته عن سعيه في طلب زاده ، ومصالح معاده؟

أي أن من أحب شيئاً سوى الله تعالى ولم تكن محبته لله ولا معيناً له على طاعة الله تعالى عُذب به في الدنيا قبل يوم القيامة.

---

725 مسند أحمد ، ج١، ص ٩٨

726 الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، ج٤،ص ٥٦٠

727 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج١، ص٤١-٤٢

فإذا كان يوم المعاد ولى الله تعالى كل محب ما كان يحبه في الدنيا فكان معه إما منعماً أو معذباً.

ولهذا يمثل لصاحب المال الذى لا يخرج منه زكاة ماله شجاعاً أقرع يأخذ بشدقيه يقول أنا مالك أنا كنزك ويصفح له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره[٧٢٨].

وكذلك عاشق الصور إذا اجتمع هو ومعشوقه على غير طاعة الله تعالى جمع الله تعالى بينهما في النار، وعذب كل منهما بصاحبه، قال تعالى:" الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين"[٧٢٩].

وأن الذين توادوا في الدنيا على الشرك يكفر بعضهم ببعض يوم القيامة ويلعن بعضهم بعضاً ومأواهم النار ومالهم من ناصرين، قال تعالى:" ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين"[٧٣٠].

فالمحب مع محبوبه في الدنيا والآخرة ، قال صلى الله عليه وسلم:" المرء مع من أحب"[٧٣١]

وقال تعالى:" ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذا جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً"[٧٣٢]

أي أن من أحب شيئاً غير الله تعالى فالضرر حاصل له بمحبوبه إن وُجِد وإن فُقد ، فإنه إن فقده عُذب بفقدانه وتألم على قدر تعلق قلبه به وإن وجده كان ما يحصل له من الألم قبل حصوله ، ومن النكد في حال حصوله ومن الحسرة عليه بعد فقدانه أضعاف أضعاف ما في حصوله من اللذة[٧٣٣]

---

728 البخارى ، مختصر صحيح البخارى ، تحقيق / محمد ناصر الألبانى ، المكتب الاسلامى ، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص ٣٣٠

729 سورة الزخرف ، آية ٦٧

730 سورة العنكبوت ، آية ٢٥

731 الترمذى ، ج٤، ص ٥٩٥

732 سورة الفرقان ، آية ٢٧-٢٩

733 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج١، ص ٤٢-٤٤

تعلم ما ينفع وما يضر

إن الإنسان العاقل لا يؤثر محبة ما يضره ويشقى ويتألم به ولا يحصل هذا إلا خطأ وسوء تصوره ومعرفته أو من خطأ قصده وإرادته وهذا من الجهل والظلم والانسان خلق وفيه الجهل والظلم ، ولا يشفى من الجهل والظلم إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه ويلهمه رشده فالنفس تهوى ما يضرها ولا ينفعها لجهلها بالمضرة أو لفساد قصدها ونيتها ، وفى القرآن الكريم ذم الله تعالى داعى الجهل والظلم ، قال تعالى:" فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين"[٧٣٤]

وقال تعالى:" إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى"[٧٣٥]

فأصل الخير هو العلم والعدل وأصل الشر هو الجهل والظلم ، وأن محبة الظلم والعدوان سببها فساد العلم أو القصد أو الاثنين معاً وإن فساد القصد من فساد العلم ولو عرف ما في الضار من المضرة لم يؤثره ، فضعف العلم بما في الضار من المضرة وضعف العزم عن اجتنابه يوقعه في إرتكابه لهذا كان الايمان الحق هو الذى يجعل صاحبه يفعل ما ينفعه واجتناب ما يضره[٧٣٦]

لهذا على الإنسان أن يعلم ما يضره ليجتنبه وما ينفعه ليفعله فتكون محبته وكراهته موافقين لمحبة الله تعالى وكراهته ، وهذا من العبودية والمحبة لله تعالى وإذا احب ما يسخطه ربه وكره ما يحبه فتنقص عبوديته بحسب ذلك.

أما الطريق لتعلم ما ينفع وما يضر فهو العقل والشرع إن الله تعالى وضع في العقول استحسان الصدق والعدل والإحسان والبر والعفة والشجاعة ومكارم الآخلاق ،

734 سورة القصص ، آية ٥٠

735 سورة النجم ، آية ٢٣

736 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١١٠-١١١

وأداء الأمانات وصلة الأرحام والوفاء بالعهد ، وحفظ الجوار ، ونصر المظلوم ،واستقباح اضدادها.

وأعلم الناس وأصحهم عقلاً ورأياً واستحساناً من كان رأيه وعقله واستحسانه وقياسه موافقاً للشرع والسنة المطهرة ، قال تعالى :" ويرى الذين ءاوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق"[٧٣٧]

أما الرأى المخالف للشرع والسنة فهو جهل لا علم وهوى لا دين فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله تعالى وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة ، ويبعد الله تعالى الضلال والشقاء عمن اتبع هدى الله الذى أرسل به رسله ، قال تعالى:" فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى "[٧٣٨]

واتباع الهوى يكون في الحب والبغض[٧٣٩]، قال تعالى:" يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا"[٧٤٠]

البلاء

البلاء الذى يصيب الإنسان لا يخرج عن أربعة أنواع

١. أن يكون في نفسه
٢. أن يكون في ماله
٣. في عرضه
٤. في أهله ومن يحب

737 سورة سبأ ، آية ٦
738 سورة طه ، آية ١٢٣-١٢٤
739 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١١٢
740 سورة النساء ، آية ١٣٥

وأشد هذه الأنواع المصيبة في النفس ، فيكون بتلفها مرة وبتألمها بدون التلف وهذا كل ما يبتلى به الإنسان في الله .

ومن المعروف اليقين أن الخلق كلهم يموتون ، وغاية المؤمن أن يستشهد في سبيل الله تعالى وهى أشرف وأعظم أنواع الموت وأسهلها ، فالشهيد لا يجد من الألم إلا مثل ألم القرصة ، فقتل الشهيد ليس مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبنى البشر فمن يعتبر قتل الشهيد أعظم من مصيبة الموت على الفراش ، فهو جاهل لأن موت الشهيد من أيسر الميتات وأفضلها وأعلاها.

والفار المنهزم يظن أنه بفراره يطول عمره فيستمتع بالعيش ، وقد وضح الله تعالى كذبهم فقال تعالى" قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً"[٧٤١]

فوضح الله تعالى أن الفرار من الموت بالشهادة لا ينفع وأنه لو نفع لم ينفع إلا قليلاً حيث الموت لا بد منه فيفوته بهذا القليل ما هو خير منه وانفع وهو حياة الشهيد عند ربه.

ثم قال تعالى:" قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوء أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً"[٧٤٢]

أخبر الله تعالى في الآية السابقة أن العبد الذى فر من الموت الذى يسوءه إن الله تعالى لو أراد به سوءاً غيره لم يعصمه أحد من الله تعالى ، وأنه يفر مما يسوءه من الموت في سبيل الله تعالى فيقع فيما هو أعظم إساءة له.

هذا في مصيبة النفس وكذلك في مصيبة المال والعرض والبدن .

أما من بخل بماله أن ينفقه في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته سلبه الله تعالى إياه أو جعله ينفقه فيما لا ينفعه لا دنيا ولا آخرة ، وإنما فيما يعود عليه بمضرته عاجلاً وآجلاً ، وإن حبسه وادخره منعه التمتع به ونقله إلى غيره.

741 الآحزاب ، آية ١٦
742 الآحزاب ، آية ١٧

كذلك من بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفى سبيله أتعبه الله تعالى أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته.

فانظر واعتبر بحال ابليس امتنع من السجود لآدم غيراناً أن يخضع له ويذل وطلب اعزاز نفسه فجعله الله تعالى أذل الأذلين وجعله خادماً لأهل الفسوق والفجور من ذريته فلم يرض بالسجود له ورضى أن يخدم هو وأولاده فساق ذريته،

وكذلك عباد الأصنام رفضوا أن يتبعوا رسولاً من البشر وأن يعبدوا الهاً واحداً ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار، قال تعالى:" إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون افكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون"[٧٤٣]

وقال تعالى:" أتعبدون ما تنحتون"[٧٤٤]

لهذا أن محبة الله تعالى والأنس به والشوق إلى لقائه والرضى به وعنه أصل الدين وأصل أعماله وإرادته ، وأن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أفضل علوم الدين كلها.

ومحبته تعالى أحب الى العبد من كل ما سواه على الاطلاق من أعظم واجبات الدين وأكبر اصوله وأجل قواعده ومن احب معه مخلوقاً مثل ما يحبه فهو من الشرك الذى لا يغفر لصاحبه ولا يقبل معه عمل، قال تعالى:" ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حباً لله "[٧٤٥]

والانسان لا يكون من أهل الإيمان إلا إذا كان رسول الله احب اليه من نفسه وأهله وولده ووالده والناس أجمعين ، قال صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين"[٧٤٦]

743 سورة العنكبوت ، آية ١٧

744 سورة الصافات ، آية ٩٥

745 سورة البقرة ، آية ١٦٥

746 البخارى ، الصحيح ، ج١، ص ٩ ، وفتح البارى ، ج١، ص ٤

ومحبته تابع لمحبة الله تعالى ، وهو تعالى خلق الجن والانس لعبادته التي تتضمن كمال محبته وكمال تعظيمه والذل له ، ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه ، وعلى ذلك وضع الثواب والعقاب والجنة والنار ، وانقسم الناس إلى شقى وسعيد فإذا خفت أي انسان هربت منه ، وخفت من ظلمه وعدوانه أما الله تعالى كلما خفته أنست به وفررت اليه ، قال تعالى:" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"[٧٤٧]

كذلك المحبة فمحبة المخلوق إن لم تكن لله فهى عذاب للمحب ووبال عليه ، وما يحصل له بها من التألم أعظم مما يحصل له من اللذة وكلما كانت أبعد عن الله تعالى كان ألمها وعذابها أكثر.

هذا بالإضافة إلى ما في محبته من الاعراض عنك والتجنى عليك وعدم الوفاء لك إما لمزاحمة غيرك من المحبين له وإما لكراهته ومعاداته لك ، وإما لاشتغاله عنك بمصالحه وما هو أحب اليه منك أو لغير ذلك.

أما محبة الله تعالى فإنه لا شيئ أحب الى القلوب من خالقها وفاطرها ، فهو إلهها ومعبودها وربها ومدبرها ورازقها ومميتها ومحييها فمحبته نعيم النفوس وسرورها وحياة الأرواح وقوت القلوب ، ونور العقول وقرة العيون وعمارة الباطن

فالقلب لا يصلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحده وحبه ولو حصل له جميع ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن اليها ، بل لا تزيده إلا فاقة وقلقاً حتى يظفر بما خلق له .

والنفس لا تترك محبوباً الا لمحبوب هو أحب اليها منه ، أو للخوف من مكروه هو أشق عليها من فوات ذلك المحبوب[٧٤٨]

---

747 سورة الذاريات ، آية٥٦

748 ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١٥٦-١٦١

الفصل الخامس

المعاصى والشهوات

أصول المعاصى ثلاثة هي:-

١. الشرك وهو تعلق القلب بغير الله تعالى ، وأن يدعى معه إله آخر

٢. الظلم وهو طاعة القوة الغضبية وغاية طاعة القوة الغضبية القتل

٣. الفواحش وهو طاعة القوة الشهوانية وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا

لذلك ربط الله تعالى الثلاثة في قوله تعالى:" والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون"[٧٤٩]

وهذه المعاصى يدعو بعضها إلى بعض لذلك ربط الله تعالى بين الشرك والظلم. قال تعالى :" إن الشرك لظلم عظيم"[٧٥٠]

كذلك الفاحشة تدعو إلى الشرك والظلم وخصوصاً إذا قويت إرادتها[٧٥١]، قال تعالى:" الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانى أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين"[٧٥٢]

حب الشهوات :-

قال تعالى:" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقنطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعم والحرث ذلك متع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب"[٧٥٣]

في الآية السابقة وعد لجميع الناس وتوضيح من الله تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا الفانية من أنواع الملاذ ومنها:-

---

749 سورة الفرقان ، آية ٦٨

750 سورة لقمان ، آية ١٣

751 ابن قيم الجوزية ، فوائد الفوائد ، ص ٢٩٣-٢٩٤

752 سورة النور ، آية ٣

753 سورة آل عمران ن آية ١٤

١. حب الشهوات

قوله تعالى:" زين للناس حب الشهوات"

إن الله تعالى خلق هذه الأشياء بالإيجاد والتهيئة للانتفاع وإنشاء الجبلة على الميل اليها والشيطان يغرى الأنسان بالوسوسة والخديعة وتحسين أخذها من غير وجوهها واتباع الشهوات وطاعتها مهلكة للإنسان، قال صلى الله عليه وسلم:" حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات"[٧٥٤]

أي أن طريق الجنة صعبة المسلك لا تنال إلا بالصبر عليها وطريق النار سهل لا وعورة فيه ولا تسلم منها إلا بترك الشهوات ، وقال صلى الله عليه وسلم:" إن مما أخشى عليكم شهوات الغى في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن"[٧٥٥]

٢. حب النساء وبدء بالنساء لكثرة تشوق النفوس اليهن لأنهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال، وفتنة النساء أشد من جميع الأشياء، قال صلى الله عليه وسلم:" ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء"[٧٥٦]

ويقال في النساء فتنتان فإحداهما أن تؤدى إلى قطع الرحم لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات . والثانية يبتلى بجمع المال من الحلال والحرام[٧٥٧]

وإما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه ، قال صلى الله عليه وسلم:" حبب إلىّ النساء والطيب وجعلت قرة عينى في الصلاة"[٧٥٨]

إن شهوة الجماع أحبها الأنبياء والصالحون لما فيها من المصالح الدينية والدنيوية من غض البصر وكسر الشهوة عن الزنا وحصول النسل الذى تتم به عمارة

754 مسند أحمد ، ج٣، ص ١٥٣، وسنن الترمذى الجامع الصحيح ، ج٤، ص٦٩٣

755 مسند الأمام أحمد ، ج٤، ص ٤٢٠

756 البخارى ، صحيح البخارى ، ج٦، ص ١٢٤، ومسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٣٦، ص ٧٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، ج١٧، ص ٥٤، وسنن الترمذى ، الجامع الصحيح ، ج٥، ص ١٠٣

757 القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيرو١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٤، ص ٢٠-٢١

758 مسند الأمام أحمد ، ج٣، ص ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥

الأرض والدنيا وتكثر الأمة الى يوم القيامة وسائر الشهوات يقسى تعاطيها القلب إلا هذه فإنها ترقق القلب[٧٥٩]

٣. حب البنين

وحب البنين الفتنة فيهم ما ابتلى بجمع المال لأجلهم

عن يعلى العامرى انه جاء حسن وحسين رضى الله عنهما يستبقان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمهما إليه وقال :" إن الولد مبخلة مجبنة"[٧٦٠]

ويكون حب البنين أحياناً للتفاخر والزينة واحياناً لتكثير النسل وتكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ممن يعبد الله وحده لاشريك له وهذا محمود ممدوح لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم"[٧٦١]، وبالزواج يتم التحصين من الشيطان، ودفع الشهوة التي لو اطلق لها العنان لعاثت في الأرض فساداً، وغض البصر وحفظ الفرج، قال صلى الله عليه وسلم:" من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[٧٦٢]

٤. حب المال ويكون أحياناً للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء وهذا مذموم، وأحياناً يكون للنفقة على الأهل وصلة الأرحام ، والقرابات ووجوه البر والطاعات وهذا ممدوح محمود شرعاً، قال صلى الله عليه وسلم:" فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم"[٧٦٣]، قال تعالى:" فقال لصحبه وهو يحاوره

759 السيد رشيد رضى ، مجموعة الحديث النجدية ، م.ع.س، المدينة المنورة ، ط٣، ١٣٨٣هـ، ص ٦٥
760 مسند أحمد ، ج٤، ص ١٧٢
761 سنن أبى داوود ، ج٢، ص ٢٢٠
762 مسلم ، الجامع الصحيح ،ج٢، ص ١٢٨ ، وصحيح البخارى ، ج٦، ص ١١٧
763 مسند أحمد ، ج٤، ص ١٣٧، ٣٢٧

أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً"[٧٦٤]

وقال تعالى :" المال والبنون زينة الحياة الدنيا والبقيت الصلحت خير عند ربك ثواباً وخير أملاً"[٧٦٥]

٥. حب الخيل ويكون على ثلاثة أقسام:-

أ- ربطها أصحابها معدة لسبيل الله تعالى متى احتاجوها غزوا عليها فهؤلاء يثابون.

ب- تربط فخراً ونواء لأهل الإسلام فهذه على صاحبها وزر

ت- تربط للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر[٧٦٦]

قال صلى الله عليه وسلم:" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة. الخيل لثلاثة هي لرجل أجر، وهى لرجل ستر ، وهى على رجل وزر ، فأما الذى له أجر فالذى يتخذها في سبيل الله فيعدها له ، هي له أجر لا يغيب في بطونها شيء إلا كتب له أجراً"[٧٦٧]

وكانت الخيل قديماً أصل الحروب وهى أقوى القوة وأشد العُدة وحصون الفرسان وبها يجال في الميدان ، أما اليوم تغيرت عُدة الحروب.

٦. حب الأنعام أي الإبل والبقر والغنم

٧. والحرث يعنى الأرض المتخذة للزراعة

٨. وكل هذه الخيرات إنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة والله عنده حسن المرجع والثواب للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن

764 سورة الكهف ، آية ٣٤-٣٥

765 سورة الكهف ، آية ٤٦

766 ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج١، ص ٣٥١-٣٥٢

767 سنن الترمذى ، الجامع الصحيح ، ج٤، ص ٧٣

سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهم ماكثين فيها أبد الآباد لا يتحولون عنها ولهم أزواج مطهرة من الدنس والخبث والآذى والحيض والنفاس وغير ذلك مما يعترى نساء الدنيا، ورضوان الله يحل عليهم فلا يسخط عليهم بعده أبداً ، والله يعطى كلا بحسب ما يستحقه من العطاء[٧٦٨].

ويرى العلماء أن الله تعالى ذكر أربعة أصناف من المال كل نوع من المال يتمول به صنف من الناس

أ- الذهب والفضة يتمول بها التجار

ب- الخيل المسومة يتمول بها الملوك

ت- الأنعام يتمول بها أهل البوادى

ث- الحرث يتمول بها أهل الرساتيق

وعلى ذلك يكون فتنة كل صنف في النوع الذى يتمول ، أما النساء والبنون ففتنة للجميع[٧٦٩]

قال تعالى :" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقنطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعم والحرث ذلك متع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب"[٧٧٠]

كما نرى في الآية السابقة شهوات مستحبة مستلذة وليست مستقذرة ولا كريهة. والتعبير لا يدعو إلى استقذارها وكراهيتها ، إنما يدعو فقط إلى معرفة طبيعتها وبواعثها. ووضعها في مكانها ولا تطغى على ما هو أكرم في الحياة وأحسن والتطلع إلى آفاق أخرى بعد أخذ الضرورى من هذه الشهوات في غير استغراق.

ويمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية وقبولها بواقعها. وتهذيبها لا كبتها وقمعها، والذين يتحدثون اليوم عن الكبت وأضراره والعقد النفسية التي ينتجها الكبت

---

768 ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج١، ص ٣٥٢

769 القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٤، ص ٢٤

770 سورة آل عمران ، آية ١٤

والقمع يقررون أن السبب الرئيسى للعقد هو الكبت وليس هو الضبط. وهو استقذار دوافع الفطرة واستنكارها من الأساس مما يوقع الفرد تحت ضغطين متعارضين : ضغط من شعوره الذى كونه الإيحاء أو كونه الدين أو كونه العرف بأن دوافع الفطرة دوافع قذرة لا يجوز وجودها، فهى خطيئة ودافع شيطانى.

وضغط هذه الدوافع التي لا تغلب لأنها عميقة في الفطرة ، وذات وظيفة أصيلة في كيان الحياة البشرية لا تتم إلا بها ، ولم يخلقها الله عبثاً. وفى ظل هذا الصراع تتكون العقد النفسية ، ولو سلمنا بصحة هذه النظريات النفسية نرى الأسلام قد ضمن سلامة الكائن الإنسانى من هذا الصراع بين شطرى النفس البشرية بين نوازع الشهوة واللذة ، والارتفاع والتسامى وحقق لهذه وتلك نشاطها المستمر فى حدود التوسط والاعتدال.

والشهوات التي ذكرت نموذج لشهوات النفوس ، يمثل شهوات البيئة التي كانت مخاطبة بهذا القرآن ، وبعضها شهوة كل نفس على مدار الزمان ، والقرآن يعرضها ثم يقرر قيمتها الحقيقية لتبقى في مكانها هذا لا تتعداه ، ولا تطغى على ما سواه.

إن هذه من اللذائذ المحببة ، وسائر ما يماثله من اللذائذ والشهوات متاع الحياة الدنيا لا الحياة الرفيعة ، متاع هذه الأرض القريب وأما من أراد الذى هو خير من ذلك كله. خير لأنه أرفع في ذاته وخير لأنه يرفع النفس ويصونها من الأستغراق في الشهوات والانكباب على الأرض دون التطلع إلى السماء ، من أراد الذى هو خير فعند الله من المتاع ما هو خير وفيه عوض عن تلك الشهوات[٧٧١]

الحب المحرم :-

قال تعالى:" وقال نسوة في المدينة أمرات العزيز تراود فتها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين ، فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكئاً

[771] سيد قطب ، في ظلال القرأن ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ،ط١٠، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ص ٣٧٤-٣٧٥

وءاتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ، قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما ءامُرُهُ ليسجنن وليكوناً من الصغرين ، قال رب السجن أحبُّ إلىّ مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجهلين"[٧٧٢]

يخبر الله تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في مصر حتى تحدث به الناس مثل نساء الكبراء والامراء ينكرن على امرأة العزيز وهو الوزير ويعبن ذلك عليها بأنها تراود غلامها عن نفسه وتدعوه إلى نفسها لأن حبها له وصل إلى شغاف قلبها ولذلك هي ضالة في عملها هذا من حبها فتاها ومراودتها إياه عن نفسه.

وقلن هذا عندما سمعن عن حسن وجمال وبهاء يوسف عليه السلام فأحببن أن يشاهدنه فقلن ذلك ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته.

وعندما علمت بمكرهن امرأة العزيز دعتهن إلى منزلها لتضيفهن ومجلسها معد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالسكاكين من أترج ونحوه وهذا مكيدة منها ومقابله لهن في احتيالهن على رؤيته.

وكانت قد خبأت يوسف عليه السلام في مكان ن آخر ثم امرته أن يخرج عليهن فلما خرج ورأينه أعظمن شأنه وأجللن قدره ومن شدة دهشتهن برؤيته وجماله قطعن أيديهن أو جرحن أيديهن والله اعلم ، وهن يظن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين

وعندما أحسسن بالألم أخذن يولولن فقالت لهن أنتن من نظرة واحدة فعلتن هذا فكيف ألامى.

[772] سورة يوسف ، آية ٣٠-٣٣

فقلن لها وما نرى عليك من لوم بعد هذا الذى رأينا ، لأنهن لم يرين في البشر شبيهه ولا قريباً منه فإنه عليه السلام أعطى شطر الحسن والجمال[٧٧٣]، قال صلى الله عليه وسلم:" أعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطر الحسن"[٧٧٤]

فردت عليهن معتذة بأن هذا يحب لجماله وكماله ، وأخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن وهى العفة مع هذا الجمال الساحر ، ثم توعدته وهددته بالسجن إذا لم ينصاع لما تطلبه منه.

ولكن يوسف عليه السلام استعاذ من شرهن وكيدهن وأن يجنبه الله تعالى الفاحشة حتى ولو سُجن. وأن لا يكله إلى نفسه فليس له منها قدرة ولا يملك لها ضراً ولا نفعاً إلا بحول الله تعالى وقوته انت المستعان وعليك التكلان فلا تكلنى إلى نفسى.

ويوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا في غاية الكمال أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته وهى امرأة عزيز مصر وهى في غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفاً من الله تعالى ورجاء ثوابه[٧٧٥].

قال صلى الله عليه وسلم:" سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل كان قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"[٧٧٦]

---

773 ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢، ص ٤٧٦

774 مسند أحمد ، ج٣، ص ٢٨٦، ٢٩٢

775 ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢، ص ٤٧٧

776 سنن الترمذى ، الجامع الصحيح ، ج٤، ص ٥٩٨، والبخارى ، صحيح البخارى ، ج٨، ص ٢٠، ج١، ص ١٦١

النجاة في مخالفة الهوى:-

الهوى ميل الطبع الى ما يحبه، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه وتكاثره فلولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح ، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه، فالهوى لا يذم مطلقاً ولا يمدح مطلقاً والغضب كذلك ، وإنما يذم المفرط منهما، وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار العاجلة والآجلة.

لذلك لم يذكر الله تعالى الهوى في القرآن الكريم إلا ذمه وكذلك في السنة لم يأتي إلا مذموماً إلا ما جاء منه مقيداً كقوله صلى الله عليه وسلم :" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"[٧٧٧].

قال تعالى:" وما ينطق عن الهوى"[٧٧٨]، وقوله تعالى:" إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطن إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى"[٧٧٩]

وسمى هوى لأنه يهوى بصاحبه ويحث على نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سبباً لأكبر الآلام عاجلاً وآجلاً والهوى يعمى صاحبه من ملاحظتها.

وامتحن الله تعالى الإنسان المكلف بالهوى من بين سائر المخلوقات وجعل فيه حاكمان: حاكم العقل وحاكم الدين والدين والعقل والمروءة ينهى عن لذة تعقب ألماً، وشهوة تورث ندماً، فمدمنى الشهوات يصبحون في حالة لا يلتذون بها ومع ذلك لا يستطيعون تركها فمثلاً مدمن الخمر لا يلتذ به ، غير أن العادة مقتضية ذلك فيلقى نفسه في المهالك لما تطلبه العادة ، ويصبح كالطائر المخدوع بحبة القمح لا هو نال الحبة ولا هو تلخص من الفخ الذى وقع فيه[٧٨٠]

---

777 مجموعة الحديث النجدية ، ص ٩١، ٢٣٢، ٢٦٣، والنووى ، الأربعين النووية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مطابع التراث ، ١٤١٠هـ، ص ٦٠

778 سورة النجم ، آية ٣

779 سورة النجم ، آية ٢٣

780 ابن القيم ، روضة المحبين ، مرجع سابق ، ص ٤٦٧-٤٦٨

قال تعالى:" والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا"[٧٨١]، ربط الله تعالى الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظم جهاداً وأعظم الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا فمن جهاد هذه الأربعة في الله تعالى هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما ترك من الجهاد.

ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً، فمن نصر عليها نصر على عدوه ، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه[٧٨٢]

١. الله تعالى ميز الإنسان عن الحيوان بالعقل ، فإذا لم يميز به ما يضره وما ينفعه أو ميز ولكنه آثر ما يضره كان حال الحيوان أفضل منه ، لأن الحيوان يأخذ من لذة المطعم والمشرب والمنكح ما لا يناله الإنسان مع عيش هنى لآنه خال من الفكر والهم ، لذلك تساق إلى منحرها وهى منغمسة على شهواتها لعدم العلم بالعواقب. والإنسان لا ينال ما يناله الحيوان لكثرة الفكر الشاغل وغير ذلك.

فلو كانت الشهوات فضيلة ما بخس منه حق الإنسان وإزداد منه حظ الحيوان ، ولكن توفير حظ الأنسان من العقل والعلم والمعرفة بدل ذلك.

٢. يتأمل الإنسان في عواقب الهوى كم أضاعت معصيته من فضيلته وكم أوقعت في رذيلة ، وكم أكله منعت أكلات ، وكم من لذة أضاعت لذات ، وكم من شهوة كسرت جاهاً ونكست رأساً وقبحت ذكراً وأعقبت ذلاً، لكن عين صاحب الهوى عمياء.

٣. أن يتصور الإنسان انقضاء حاجته ممن يهواه ثم يتصور حاله بعد قضائها وما فاته وما حصل له.

٤. أن يتصور ذلك في حق غيره حق التصور ثم ينزل نفسه تلك المنزلة فحكم الشى حكم نظيره

---

781 سورة العنكبوت ، آية ٦٩

782 ابن قيم الجوزية ، فوائد الفوائد ، رتبه وعلق عليه / على بن حسن بن عبد الحميد ، دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع ، م.ع.س، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٧٧

٥. أن يفكر فيما تطالبه فيه نفسه من ذلك ويسأل عنه عقله ودينه يخبرانه بأنه لا قيمة له

٦. أن لا يقبل لنفسه ذل طاعة الهوى، فإنه ما أطاع أحد هواه الا ذل نفسه ، ولا يصيبه الغرور بصوله اتباع الهوى فهم أذل الناس بواطن ، وقد جمعوا بين الكبر والذل[٧٨٣]

٧. أن يوازن بين سلامة الدين والعرض والمال والجاه ونيل اللذة ، فإنه لا يجد بينهم أي نسبة.

كيفية التخلص من وقع في تلبية هواه:-

يتم التخلص بعون الله تعالى بعدة أمور:-

١. عزيمة حر يغار لنفسه وعليها

٢. يصبر نفسه على مرارة تلك اللحظات

٣. قوة إرادة تشجعه على الصبر

٤. ملاحظته حسن العاقبة والشفاء بالصبر

٥. ملاحظته الألم الأكبر على لذة طاعة هواه

٦. بقاؤه على منزلته الكريمة عند الله تعالى وفى قلوب عباده وهو أنفع له في الدنيا والآخرة من لذة موافقة الهوى

٧.إ يثاره لذة العفة وعزتها على لذة المعصية

٨. فرحه بغلبة عدوه وقهره له ورده بغيظه حيث لم ينل منه امنيته ، قال تعالى:" ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صلح"[٧٨٤]

٩. التفكر في انه لم يخلق للهوى بل لأمر عظيم لا يناله إلا بمعصيته للهوى

---

[783] شمس الدين ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٤٦٩-٤٧٣

[784] سورة التوبة ، آية ٢٠

١٠. أن يتفكر بعقله وقلبه في عواقب الهوى فيتذكر كم أماتت معصيته من فضيلة وأوقعت في رذيلة ، وكم من شهوة كسرت جاهاً وقبحت ذكراً وأعقبت ذلاً وألزمت عاراً

١١. أن لا يكون أقل من الحيوان البهيم لأن الحيوان يصيب من لذة المطعم والمشرب والمنكح ما لا يناله الأنسان مع عيش هنئ خال من الفكر والهم ، ولهذا تساق الى مذبحها وهى منهمكة على شهواتها لفقدان العلم بالعواقب ، أما في حظ الإنسان من العلم والعقل والمعرفة عوض عن ذلك

١٢. أن يتصور الفاعل حاله قبل وبعد انقضاء غرضه ممن يهواه ثم يتصور هذا في حق غيره ويضع نفسه مكانه

١٣. أن يأبى لنفسه من ذل طاعة الهوى ، فما أطاع أحد هواه إلا وجد في نفسه ذلاً دائماً

١٤. أن يوازن بين سلامة الدين والعرض والمال والجاه ونيل اللذة المطلوبة العاجلة فإنه لا يجد بينهما نسبة أبداً

١٥. أن يأبى لنفسه أن يكون تحت قهر عدوه ، فإن الشيطان إذا رأى ضعف عزيمة العبد وميله إلى هواه صرعه وزين له هواه وساقه حيث أراد ، وإذا أحس منه قوة عزم لم يطمع فيه إلا اختلاساً وسرقة

١٦. أن يعلم أن الهوى إذا خالط شيئاً أفسده ، فإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء ، وإن وقع في الحكم قاد صاحبه إلى الظلم وبعده عن الحق

١٧. أن يعلم أن الشيطان ليس له مدخلاً على الإنسان إلا من هواه ، فيسرى معه سريان السم في الأعضاء.

١٨. جعل الله تعالى الهوى مضاداً لما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقسم الناس الى قسمين: أتباع الوحى وأتباع الهوى ، قال تعالى:" فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم"[٧٨٥].

١٩. شبه الله تعالى أتباع الهوى بالكلب ، قال تعالى:" ولو شئنا لرفعنه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث"[٧٨٦].

٢٠. جعل الله سبحانه وتعالى متبع هواه بعابد الوثن ، قال تعالى:" أرءيت من اتخذ إلهه هواه"[٧٨٧]

٢١. إن الهوى يؤدى بصاحبه إلى جهنم ، قال صلى الله عليه وسلم:" حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات"[٧٨٨]

٢٢. قد يخاف على متبع هواه ان ينسلخ من الإيمان وهو لا يشعر ، قال صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"[٧٨٩]، وقال صلى الله عليه وسلم:" أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغى في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى"[٧٩٠]

٢٣. إن متبع الهوى ليس أهلاً للامامة والطاعة ولا متبوعاً ، فإن الله تعالى نهى عن إمامته وطاعته ، أما عزله فإن الله تعالى قال لخليله إبراهيم :" إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين"[٧٩١]، أي لا ينال عهدى بالامامة ظالماً وكل من اتبع هواه فهو ظالم ، قال تعالى:" بل

785 سورة القصص ، آية ٥٠
786 سورة الآعراف ، آية ١٧٦
787 سورة الفرقان ، آية ٤٣
788 مسند أحمد ، ج٣، ص ١٥٣، وسنن الترمذى الجامع الصحيح ، ج٤، ص ٦٩٣
789 مجموعة الحديث النجدية ، ص٩١، ٢٣٢، ٢٦٣
790 مسند أحمد ، ج٤، ص ٤٢٠
791 سورة البقرة ، آية ١٢٤

اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم"[٧٩٢]، وأما النهى عن طاعته ، قال تعالى:" ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه"[٧٩٣]، كما أن اتباع الهوى من المهلكات ، قال صلى الله عليه وسلم:" ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات فتقوى الله عزوجل في السر والعلانية ، والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغنى والفقر ، وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه"[٧٩٤]

٢٤. ان الهوى داء ودواؤه مخالفته وان اتباع الهوى يغلق أبواب التوفيق ويفتح أبواب الخذلان

٢٥. أن مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه وكلما تمرن على مخالفة هواه اكتسب قوة إلى قوته.

٢٦. إن أكثر الناس مرؤة أشدهم مخالفة للهوى

٢٧. ما من يوم الا والهوى والعقل يتصارعان في صاحبه ، فأيها قوى على صاحبه طرده وتحكم وكان الحكم له.

٢٨. إن الله تعالى جعل اتباع الهوى والخطأ قرينين ، وجعل الصواب ومخالفة الهوى قرينين، فإذا أشكل عليك أمر أن لا تدرى أيهما أفضل فخالف أقربهما من هواك ، فأقرب ما يكون الخطأ في متابعة الهوى.

٢٩. إن جهاد هوى النفس من أعظم الجهاد.

٣٠. ان اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق ، ويفتح عليه أبواب الخذلان.

٣١. ان من نصر هواه فسد عليه عقله ورأيه

٣٢. إن مخالفة الهوى طردة للداء عن القلب والبدن، فأمراض القلب كلها من متابعة الهوى ، كذلك أمراض البدن أكثرها منه

---

792 سورة الروم ، آية ٢٩

793 سورة الكهف ، آية ٢٨

794 مجموعة الحديث النجدية ، ص ٣٨٩-٣٩٠

٣٣. إن من فسح لنفسه في اتباع الهوى ضيق عليه في قبره ويوم معاده ، ومن ضيق عليها بمخالفة الهوى وسع عليها في قبره ومعاده ، قال تعالى :" وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً"[٧٩٥]

٣٤. إن اتباع الهوى يصرع العبد عن النهوض يوم القيامة ، عن السعي مع الناجين ، كما صرع قلبه في الدنيا عن مرافقتهم.

٣٥. إن اتباع الهوى يحل العزائم ويوهنها ومخالته تشده وتقويها ، والعزائم هي مركب العبد الذى يسيره إلى الله والدار الآخرة، فمتى تعطل المركوب أوشك أن ينقطع المسافر.

٣٦. إن مثل راكب الهوى كمثل راكب فرس حديد صعب جموع لا لجام له فيوشك أن يصرعه فرسه فى خلال جريه به إلى مهلك.

٣٧. إن التوحيد واتباع الهوى متضادان ، وكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه ، والله تعالى أرسل رسله لكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له ، وليس الاصنام المجسدة فقط وإنما كسر أصنام القلوب.

٣٨. إن أصل العداوة والشر والحسد والحقد بين الناس من اتباع الهوى ، فمن خالف هواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه فاستراح وأراح ، قال أبوبكر الوراق: إذا غلب الهوى أظلم القلب ، وإذا أظلم ضاق الصدر ، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق ، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق وأبغضهم ، فانظر ما ذا ينتج من التباغض من الشر والعداوة وترك الحقوق.

٣٩. إن الله تعالى جعل في العبد هوى وعقلاً فأيهما غلب توارى الآخر.

٤٠. إن الهوى رقُ في القلب ، وغُل في العنق وقيد في الرجل ومتابعة أسيرُ لكل سئ الملكة ، فمن خالفه عتق من رقه وصار حراً وخلع الغل من عنقه والقيد

[795] سورة الإنسان ، آية ١٢

من رجله وصار بمنزلة رجل سالم لرجل ، بعد أن كان رجلاً فيه شركاء متشاكسون[٧٩٦].

٤١. إن لكل عبد بداية ونهاية ، فمن كانت بدايته اتباع الهوى كانت نهايته الذل والحرمان والبلاء المتبوع بحسب ما اتبع من هواه ، ومن كانت بدايته مخالفة هواه وطاعة داعى رشده كانت نهايته العز والشرف والغنى والجاه عند الله وعند الناس.

٤٢. إن مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا والاخرة ، وعز الظاهر والباطن ، ومتابعته تضع العبد في الدنيا والاخرة وتذله في الظاهر والباطن[٧٩٧].

الصبر:-

قال أبو العباس :" الصبر حبس النفس على مكروه ، وعقل اللسان عن شكوى ، ومكابدة الغصص في تحمله، وانتظار الفرج عند عاقبته ، وهذا في طريق الخاصة تجلد ومناوأة وجرأة ومنازعة ، فإن حاصله يرجع إلى كتمان الشكوى في تحمل الأذى بالبلوى.

والصبر ثلاث مستويات مرتبة بالدرجات وهى:-

١. التصبر وهو تحمل مشقة ، وتجرع غصة ، الثبات على ما يجرى من الحكم وهذا هو التصبر لله وهو صبر العوام.

٢. الصبر وهو نوع سهولة تخفف عن المبتلى بعض الثقل وتسهل عليه صعوبة المراد ، وهو الصبر لله وهو نوع سهولة وهو صبر المريدين.

٣. الاصطبار وهو التلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار المولى وهذا هو الصبر على الله ، وهو صبر العارفين.

---

796 ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ٤٦٧-٤٨٠

797 ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ٤٨٠-٤٨٢

جمع الله تعالى بين الصبر والشكر:

١. قال تعالى:"إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور"[٧٩٨]، وقال صلى الله عليه وسلم:" والذى نفسى بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، إن اصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن"[٧٩٩]

٢. أي أن منازل الإيمان بين الصبر والشكر ويوضح ذلك ما يلى:

أ- أن العبد لا بد أن يكون في نعمة أو بلية ، فإن كان في نعمة فغرضها الصبر والشكر.أما الشكر فهو قيدها وثباتها والكفيل بمزيدها ، وأما الصبر فعن مباشرة الأسباب التي تسلبها ، وعلى القيام بالأسباب التي تحفظها فهو أحوج إلى الصبر فيها من حاجة المبتلى ، ومن هنا يتضح الغنى الشاكر والفقير الصابر ، وكلاهما محتاج إلى الشكر والصبر، لأن الشكر مستلزم للصبر لا يتم إلا به والصبر مستلزم للشكر لا يتم إلا به ، فمتى ذهب الشكر ذهب الصبر ، ومتى ذهب الصبر ذهب الشكر.

ب- وإن كان في بلية فيلزمها الصبر والشكر ، أما الصبر فظاهر ، وأما الشكر فللقيام بحق الله عليه في تلك البلية فإن لله على العبد عبودية في البلاء ، كما له عليه عبودية في النعماء ، وعليه أن يقوم بعبوديته في هذا وهذا ، فعلم أنه لا انفكاك له عن الصبر ما دام سائراً إلى الله.

٣. الصبر ثلاثة أقسام :-

أ- صبر عن المعصية فلا يرتكبها

ب- صبر على الطاعة حتى يؤديها

ت- صبر على البلية فلا يشكو ربه فيها

---

[798] سورة سبأ، آية ١٩

[799] مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٣٩، ص ٣٤٧، ٣٥١، وصحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٨، ص

وإذا كان العبد لا بد له من واحد من هذه الثلاثة فالصبر لازم له أبداً لا خروج له عنه البتة

٤. إن الله تعالى ذكر الصبر في القرآن الكريم في مائة وثلاثة موضعاً مره أمر به ومره أثنى على أهلة ومره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر به أهله ، مره جعله شرطاً في حصول النصر والكفاية ، ومره أخبر أنه مع أهله وأثنى به على صفوته من العالمين، وهم أنبياؤه ورسله فقال تعالى عن نبيه أيوب عليه السلام:" إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب"[٨٠٠]، وقال تعالى لخاتم أنبيائه ورسله:" فاصبر كما صبر أُ ولو العزم من الرسل"[٨٠١]، وقال تعالى:" واصبر وما صبرك إلا بالله"[٨٠٢]، وقال تعالى:" قالوا أءنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين"[٨٠٣]، وهذا يدل على أن الصبر أفضل منازل الإيمان ، وأن أخص الناس بالله وأولاهم به أشدهم قياماً وتحققاً به ،وأن الخاصة أحوج اليه من العامة.

٥. أن الصبر سبب في حصول كل كمال ، فأكمل الخلق أصبرهم ولم ينقص عن أحد كماله الممكن إلا من ضعف صبره ، فكمال العبد بالعزيمة والثبات ، ولهذا في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم:" اللهم إنى أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد"[٨٠٤]

ومعلوم أن الثبات والعزيمة لا يقومان إلا على الصبر ، قال صلى الله عليه وسلم:" ما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر"[٨٠٥]

800 سورة ص ، آية ٤٤
801 سورة الأحقاف ، آية ٣٥
802 سورة النحل ،آية ١٢٧
803 سورة يوسف ، آية ٩٠
804 رواه أحمد والترمذى والنسائى https://islam qa.info
805 صحيح البخارى ، ج٨، ص ١٠٨ ، ومسند أحمد ، ج٣، ص ٤٧، ٩٣

٦. الصبر حبس النفس على المكروه وعقل اللسان عن الشكوى، ومكابدة الغصص في تحمله ، وانتظار الفرج عند عاقبته ، وهذا أحد أقسام الصبر ، وهو الصبر على البلاء، وأما الصبر على الطاعة فقد يعرض فيه ذلك أو بعضه وقد لا يعرض فيه بل يتحلى بها ويأتي بها محبة ورضى ، ومع هذا فالصبر واقع عليها فإنه حبس النفس على مداومتها والقيام بها ، قال تعالى:" وأُصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون وجهه"[٨٠٦].

وأما الصبر عن المعصية فقد يعرض فيه ذلك أو بعضه ، وقد لا يعرض فيه لتمكن الصابر من قهر داعيها وغلبته.

ووجود التألم والتجلد على البلوى وحبس النفس عن التسخط واللسان عن الشكوى هو محصن العبودية والاستكانه وامتثال لأمر عبودية الله تعالى المفروضة على عبده في البلاء، وقال صلى الله عليه وسلم:" إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[٨٠٧]

وقال صلى الله عليه وسلم في مرض موته :" اللهم اغفر لى وارحمنى والحقنى بالرفيق"[٨٠٨]

" مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً"[٨٠٩]" اللهم الرفيق الأعلى"[٨١٠]

وقال صلى الله عليه وسلم:" إن الله عزوجل إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع"[٨١١]

806 سورة الكهف ، آية ٢٨
807 مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، ج٤٥، ص ١٠
808 صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١٥، ص ٢٠٨
809 صحح مسلم بشرح النووي ، ج١٥، ص ٢٠٨-٢٠٩
810 المرجع السابق ، ص ٢٠٩
811 مسند أحمد ، ج٥، ص ٤٢٧

٧. إن حاملة يرجع إلى كتمان الشكوى في تحامل الأذى بالبلوى والاستبشار باختيار المولى، وأن يرى العبد لطف صنع الله تعالى به وحسن اختياره له وبره به، وأن يشهد أن هذا مراد محبوبه ، وأنه بمرأى منه ومسمع ، وأن التذلل والمسكنة والتضرع لعزته وجلاله ، فيعلم العبد أن حقيقة المحبة هي موافقة المحبوب في محابه فيحب ما يحبه محبوبه ، فيحب العبد تلك الحال ولو كرهها من حيث الطبع البشرى فإن هذه الكراهة لا تنافى محبته لها كما يكره طبعه الدواء المر وهو يحبه من وجه آخر لأنه يشفيه[٨١٢]

وصبر عن المحبوب وصبر على المكروه والطاعة مفتقرة إلى الصبر عليها ، والمعصية مفتقرة إلى الصبر عنها ، والنفس مجبولة على حب الهوى وبالطبع تسعى في طلبه لذلك افتقرت إلى حبسها عما تؤذى عاقبته ، ولا يقدر على استعمال الصبر الا من عرف عيب الهوى وتلمح عقبى الصبر ، فحينئذ يهون عليه ما صبر عليه وعنه[٨١٣]

وحث الله تعالى على الصبر في القرآن الكريم وأمر به ومدح أهله ، قال تعالى:" سلم عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار"[٨١٤]

وقال تعالى :" إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين"[٨١٥]

أسباب الصبر عن المعصية :-

١. علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها ، وأن الله تعالى حرمها صيانة وحماية عن الرذائل.

812 ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، إدارة الشئون الدينية بدولة قطر ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٤٧٤-٤٨٠

813 ابن الجوزى ، ذم الهوى ، ص ٥٨

814 سورة الرعد ، آية ٢٤

815 سورة يوسف ، آية ٩٠

٢. الحياء من الله تعالى ، فإن العبد متى علم بأن الله تعالى يراه استحيى من ربه أن يتعرض لسخطه.

٣. مراعاة نعمه واحسانه إليك، لان الذنوب تزيل النعم ، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة نعمة حتى تسلب النعم كلها ، قال تعالى:" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[٨١٦]، وأعظم النعم الإيمان ، وقال بعض السلف : أذنبت ذنباً فحرمت قيام الليل سنة.

٤. خوف الله تعالى وخشية عقابه وهذا يقوى بالعلم واليقين ويضعف بضعفهما ، قال تعالى:" إنما يخشى الله من عباده العلموءا"[٨١٧]

٥. محبة الله تعالى وهى من أقوى الأسباب في الصبر ، فكلما قوى سلطان المحبة في القلب كان مسايراً للطاعة وترك المخالفة أقوى وتصدر المعصية والمخالفة من ضعف المحبة.

٦. شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها أن لا تختار الأسباب التي تحط وتضع قدرها، وتخفض منزلتها وتحقرها ، وتسوى بينها وبين السفلة.

٧. قوة العلم بسوء عاقبة المعصية ، وقبح أثرها والضرر الناشئ منها من سواد الوجه ، وظلمة القلب ، وضيقه وحزنه وألمه وضعفه عن مقاومة عدوه.

٨. قصر الأمل ، وعلمه بسرعة انتقاله وأنه كمسافر استظل في ظل شجرة ثم سار وتركها، فلهذا هو حريص على ترك ما يضره ولا ينفعه.

٩. مجانبة الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه واجتماعه بالناس ، فإنها تطلب له مصرفاً فيضيق عليها المباح فتتعداه الى الحرام ، ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته ، فإن النفس لا تقعد فارغة ، فإن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره

١٠. ثبات شجرة الإيمان في القلب وهو جامع لهذه الأسباب كلها.

816 سورة الرعد ، آية ١١

817 سورة فاطر ، آية ٢٨

أسباب الصبر على البلاء

١. شهود جزائها وثوابها

٢. شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها

٣. شهود القدر السابق الجارى بها ، وانها مقدرة في أُم الكتاب قبل أن تخلق فجزعه لا يزيده إلا بلاءَ

٤. شهوده حق الله تعالى عليه في تلك البلوى وواجبه الصبر

٥. شهود ترتبها عليه بذنبه ، قال تعالى:" وما أصبكم من مصيبة فبما كسبت أيدكم"[٨١٨]، ومن أعظم الأسباب التي ترفع المصائب الإستغفار.

٦. أن يعلم أن الله تعالى ارتضاه له واختارها وقسمها له، وأن العبودية تقتضى رضاه بما رضى له به الله تعالى

٧. أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع أرسله الله تعالى إليه العليم بمصلحته الرحيم به، فليصبر على تحمله ولا يتسخط ويشكو فيذهب نفعه باطلاً

٨. أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم، فإذا نفسه كرهت هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره ، قال تعالى:"وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيراً لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم"[٨١٩]، وقال تعالى:" فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً"[٨٢٠]

٩. أن يعلم أن المصيبة ماجاءت لتهلكه وتقتله ، بل جاءت لاختبار صبره وتبتليه ليتضح من يكون من حزب الله تعالى أم لا.

---

818 سورة الشورى ، آية ٣٠

819 سورة البقرة ، آية ٢١٦

820 سورة النساء ، آية ١٩

١٠. أن يعلم أن الله تعالى يربى عبده على السراء والضراء والنعمة والبلاء فالذي يعبد الله حقاً من قام بعبودية الله تعالى على اختلاف الأحوال[٨٢١]

عذاب اتباع الهوى في الإسلام :-

قال تعالى :" قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطناً وأن تقولو على الله ما لا تعلمون"[٨٢٢]

وضح الله تعالى هوى ابليس وتكبره وغروره عن طاعة الله تعالى عندما أمره بالسجود لأدم، فجعله هوى النفس وإعجابه بها أن عصى أمرالله تعالى وتكبر على طاعته، قال تعالى:" ثم قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا أبليس لم يكن من السجدين ، قال ما منعك ألا تسجد إذا أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين"[٨٢٣]، وخرج ابليس من رحمة الله تعالى وكان في الدرك الأسفل من النار

وضح الله تعالى حب آدم للخلود في الجنة وأن يصبحا ملكين ، فإتباع هوى النفس جعلهم يعصون ما أمرهم الله به ويأكلون من الشجرة التي نهاهم الله تعالى عنها.

قال تعالى :" ويأدم أُسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظلمين ، فوسوس لهما الشيطن ليبدى لهما ما وُرى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخلدين"[٨٢٤].

وكان نتيجة حب الهوى والشهوة أن أخرجه الله تعالى من الجنة إلى دار التعب والنصب والكبد في الحياة الدنيا ، قال تعالى:" قال أُهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم

---

821 ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، إدارة الشئون الدينية بدولة قطر ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٤٨٠-٤٩٥

822 سورة الآعراف ، آية ٣٣

823 سورة الأعراف ، آية ١١-١٢

824 سورة الأعراف ، آية ١٩-٢٠

في الأرض مستقر ومتع إلى حين ، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون"[٨٢٥].

ذكر الله تعالى قصة قوم نوح لم يؤمنوا بالله تعالى وكذبوا نبيهم واتبعوا أهوائهم فكان عذابهم في الدنيا الغرق وفى الآخرة النار وبئس المصير، قال تعالى:"لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم"[٨٢٦]

وقال تعالى:" فكذبوه فأنجينه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بأيتنا إنهم كانوا قوماً عمين"[٨٢٧].

ذكر الله تعالى قصة عاد وما أوصلهم اتباع الهوى والتكذيب بما أنزل الله تعالى فكان مصيرهم الهلاك والعقوبة المستمرة [٨٢٨]، قال تعالى:" وإلى عاد أخاهم هوداً قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون ، قال الملا الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكذبين "[٨٢٩]، وقال تعالى:" بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من نصرين"[٨٣٠]

وقال تعالى:" قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجدلوننى في أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما نزل الله بها من سلطن فانتظروا إنى معكم من المنتظرين ، فأنجينه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بأيتنا وما كانوا مؤمنين"[٨٣١]

كما ذكر الله تعالى قصة قوم لوط وقد بعثه الله تعالى إلى أمة تسمى سدوم وكانوا يأتون بالفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من الأمم السابقة لهم وكانوا يأتون هذه الفاحشة لمجرد قضاء الشهوة من غير أن يكون لهم غرض يوافق العقل فهم

825 سورة الآعراف ، آية ٢٤-٢٥
826 سورة الآعراف ، آية ٥٩
827 سورة الآعراف ، آية ٦٤
828 ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ٢٠٣
829 سورة الآعراف ، آية ٦٥-٦٦
830 سورة الروم ، آية ٢٩
831 سورة الآعراف ، آية ٧١-٧٢

كالبهائم لما يتقاضاها من الشهوة وتاركين في فعلهم هذا النساء اللواتى هن محل لقضاء الشهوة وموضع لطلب اللذة وأن الله تعالى أفنى كفارهم بعذاب شديد بأن أمطر عليهم مطراً غير ما يعتادونه وهو رميهم بحجارة من سجيل[٨٣٢]

قال تعالى:" ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العلمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ، وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغبرين وأمطرنا عليهم مطراً فأنظر كيف كان عاقبة المجرمين"[٨٣٣].

وقال تعالى:" فلما جاء أمرنا جعلنا عليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظلمين ببعيد"[٨٣٤]

وقال تعالى:" أتأتون الذكران من العلمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون"[٨٣٥]

والذى أتاه الله تعالى العلم ولكنه لم يتبع العلم بآياته تعالى وأخلد إلى الأرض واتبع هواه ولم يتبع الآيات ، وهذا مثل لكل من آتاه الله من علم الله ولم ينتفع بهذا العلم ولم يستقم على طريق الإيمان ، وانسلخ من نعمة الله تعالى ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان وليكون في مرتبة الحيوان ، والحياة البشرية مليئة بهذا النوع من الناس في كل زمان ومكان وفى كل بيئة لا يعملون بعلمهم كما أمرهم الله تعالى ويلهثون وراء حطام الدنيا ويخلدون إلى الأرض ويتبعون الهوى[٨٣٦]

قال تعالى:" واتل عليهم نبأ الذى ءاتينه ءايتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطن فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعنه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب

832 الشوكانى ، فتح القدير ، ج٢، ص ٢٢٢

833 سورة الأعراف ، آية ١٦٥-١٦٦

834 سورة هود ، آية ٨٢-٨٣

835 سورة الشعراء ، آية ١٦٥-١٦٦

836 سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط١٠، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج٣، ص١٣٩٨

أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بأيتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون"[٨٣٧]

وقال تعالى :" واصبر نفسك من الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من أغفنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً"[٨٣٨]

وفى الآية السابقة يوضح الله تعالى أن نجلس مجالس العلم مع الذين يذكرون الله ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشياً من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء ، ولا تتجاوز الفقراء إلى غيرهم يعنى تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة الذين انشغلوا عن الدين وعبادة الله بالحياة الدنيا ، وكانت أعمالهم سفه وتفريط ، وضياع واتباع لأهوائهم[٨٣٩]

قال صلى الله عليه وسلم :" ما تركت بعدى فتنة أضر من النساء على الرجال"[٨٤٠]

وفتنة العشق من أعظم الفتن ، قال تعالى :" ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا في الفتنة سقطوا"[٨٤١]

نزلت هذه الآية في الجد ابن قيس عندما غزا النبى صلى الله عليه وسلم تبوك قال له :" هل لك يا جد في بلاد بنى الأصفر تتخذ منهم السرارى والوصفاء؟ فقال جد: ائذن لى في القعود عنك. فقد عرف قومى أنى مغرم بالنساء وأنى أخشى إن رأيت بنات الأصفر أن لا أصبر عنهم ، فأنزل الله تعالى الآية السابقة [٨٤٢]

---

837 سورة الآعراف ، آية ١٧٥-١٧٦

838 سورة الكهف ، آية ٢٨

839 محمد على الصابونى ، مختصر تفسير ابن كثير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط٤، ١٤٠١هـ، ج٢، ص ٤١٦

840 البخارى ، صحيح البخارى ، ج٦، ص ١٢٤، وأحمد ، المسند ، ج٥، ص ٢١٠

841 سورة التوبة ، آية ٤٩

842 تفسير ابن كثير ، ج٢، ص ١٨٠

وقوله تعالى:" ألا في الفتنة سقطوا" ، ما سقط فيه من الفتنة بتخلفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عنه أعظم.

فالفتنة التي فر منها بزعمه هي فتنة محبة النساء وعدم صبره عنهن ، والفتنة التي وقع فيها هي فتنة الشرك والكفر في الدنيا والعذاب في الآخرة[٨٤٣]

الخاتمة :-

الحمد لله على توفيقه الذى يسر لى دراسة المحبة في القرآن الكريم وما تبثة المحبة بين أفراد المجتمع من التآلف والألفة والاخاء ونبذ الكراهية والعنف بين أفراد المجتمع والمجتمعات الأخرى .

النتائج والتوصيات:

النتائج:

١. ان محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلى درجات الحب وأوجبها على المسلم .
٢. كلما كان المسلم أكثر محبة لله ورسوله كان أكثر طاعة لله ورسوله والاتيان بالأوامر والنواهى التي أمرنا الله تعالى بها .
٣. الدين الاسلامى دين محبة واخاء،فقد جعل الإسلام الحب والبغض في الله ليس لمصلحة شخصيه أو منفعة خاصة .
٤. الحب في الله هو التوحيد والحب مع الله هو الشرك.
٥. المحبة أصل من أصول الدين الاسلامى.
٦. ان الانسان مجبول على حب العطاء والجمال والكمال وهذا كله عند الله تعالى ومن الله تعالى.

843 ابن القيم ، آغاثة اللهفان ، ج٢، ص ١٢٨-١٢٩

٧. من صور المحبة حب الله تعالى ورسوله والأهل والولد والزوج والزوجة والأصدقاء والأقارب والعشيرة والنعم والمتاع وحب المساكين والأعمال الصالحة وحب الأوطان.
٨. المسلمون في فقر للحب الذى جاء به الإسلام والقران الكريم .
٩. المسلمون تعم اليوم الفوضى بينهم والكراهيه والبغضاء في علاقات الناس وبعضهم البعض .
١٠. ان من أسماء الله تعالى الحسنى الودود اى الذى يحب عباده ويتقرب اليهم بكل أنواع العطاء .
١١. يجب على المسلم أن يقدم حب الله ورسوله على كل حب ومحبوب .
١٢. محبة الله تعالى ورسوله سبب في دخول الجنة .
١٣. المتحابون في الله يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله .

التوصيات :

١. على المسلم أن يحذر معصية الله .
٢. العمل بما شرع الله وكل ما يحبه الله ورسوله.
٣. ترك كل ما ينهى الله ورسوله فعله .
٤. على الإباء تربية الأبناء على حب الله تعالى ورسوله والدين الاسلامى .
٥. ان يكو ن الله ورسوله أحب اليك من نفسك وأهلك ووالدك وولدك .
٦. الانسان له عقل وقلب ويجب أن يوازن بين عقله وقلبه بين الحب والكره والبغض والرغبة والرهبة والرجاء والخوف وهذا كله يكون منضبط بالشرع يحب لله ويبغض لله ويخاف الله ويرجو الله .
٧. **نشر المحبة بين الناس والمجتمعات للقضاء على الفوضى والكراهية بين الناس والشعوب**
٨. نشر لغة الحوار والمحبة بين مختلف المذاهب والأديان .
٩. عدم نشر العنصرية والمذهبية بين المجتمعات .

المراجع

١. القرآن الكريم

٢. القرآن الكريم – تفسير quran.ksu.edu.sa

٣. ابن ابى العز الحنفى ، شرح العقيدة الطحاوية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٥، ١٣٩٩هـ

٤. ابن تيمية ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم ، أشرف على الطباعة والإخراج/ المكتب التعليمى السعودى بالمغرب ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب

٥. ابن الجوزى ، ذم الهوى ، تحقيق / مصطفى عبد الواحد ، مراجعة محمد الغزالى ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م

٦. ابن الجوزى ، صيد الخاطر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٧. ابن الجوزى ، نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة.

٨. ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، دار الديان للتراث ، القاهرة ، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

٩. ابن حزم الأندلسى ، طوق الحمامة ، تحقيق/ إحسان عباس ، دار المدى للثقافة والنشر ٢٠٠٢م، المؤسسة العربية للدراسات والنشرمع جريدة الحياة ١٩٩٣م

١٠. ابن حزم الأندلس ، طوق الحمامة ، تحقيق/ احسان عباس ، طبعة خاصة ، توزع مجاناً مع جريدة الحياة ، دار المدى للثقافة والنشر ، م.ع.س ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١، ١٩٩٣م

١١. ابن الخطيب السليمانى ، روضة التعريف بالحب الشريف ، علق حواشيه وقدم له / محمد الكتانى ، الرباط ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ١٩٧٠م

١٢.ابن عبدربه ، طبائع النساء ، تحقيق وتعليق/ محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
١٣.ابن العربى ، أحكام القرآن ، تحقيق/ على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، د.ت
١٤.ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٢، ١٩٦٩م
١٥.ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق/ محمد حامد الفقى ، منشورات /محمد على بيضون ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م
١٦.ابن قيم الجوزية ، الداء والدواء ، مكتبة الثقافة ، مكة المكرمة ، الحجون ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
١٧.ابن قيم الجوزية ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
١٨.ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، حققه وراجعه/ عبد الله إبراهيم الأنصارى ، إدارة الشئون الدينية بدولة قطر ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م
١٩.ابن قيم الجوزية ، فوائد الفوائد ، علق عليه / على حسن عبدالحميد الحلبى ، دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع ، م.ع.س، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م
٢٠.ابن قيم الجوزية ، مدارج السالكين ، تحقيق/ عماد زكى البارودى ، المكتبة التوفيقية ، ط٤، ٢٠١٢م
٢١.ابن كثير ، البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
٢٢.ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،١٣٨٨هـ|١٩٦٩م
٢٣.ابن مسكوية ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، قدم له الشيخ حسن التميم ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط٢، ١٣٩٨هـ

٢٤.ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت
٢٥.ابى حامد الغزالى ، احياء علوم الدين ، دار العلم ، بيروت ، لبنان
٢٦.ابى حامد الغزالى ، المنقذ من الضلال.مصر،دار الكتب الحديثة،ط٨، ١٣٩٤هـ١٩٧٤م
٢٧.أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبين تحقيق وشرح عبد الشلام محمد هارون ، مكتبة الخانجى بمصر ، ط٤، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م
٢٨.أبو يحيى محمد بن صمادح التجيبى، مختصر تفسير الإمام الطبرى ، قدم له وراجعه ، مروان سوار ، دار الفجر الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ط٧، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م
٢٩.أحمد محمد على الفيومى المقرى ، المصباح المنير ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧م
٣٠.أحمد نصيب المحاميد ، الحب بين العبد والرب
٣١.اسلام ويب fatwa.islamweb.net
٣٢.البخارى ، صحيح البخارى،المكتبة الإسلامية،استانبول،مكتبة العلم بالسعودية،١٩٨١م.
٣٣.البخارى ، مختصر صحيح البخارى ، تحقيق/ محمد ناصر الألبانى ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ط٥، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م
٣٤.البيهقى ، السنن الكبرى
٣٥.تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ط٢
٣٦.تفسير الطبرى al-awail.cp/qu
https//www.alimam.ws

٣٧.الجوهرى ، الصحاح ، تحقيق / أحمد عبدالغفور عطار ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٣٨.حسين نصار ، ديوان جميل شعر الحب العذرى ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، د.ت
٣٩.ديوان امرئ القيس ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط٣، ١٩٦٩م
٤٠.ديوان البحترى ، تحقيق/ حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف بمصر
٤١.ديوان ذي الرمة ، غيلان بن عقبة العدوى ، شرح الامام أبى نصر أحمد بن حاتم الباهلى صاحب الأصمعى ، رواية / أبى العباس ثعلب ، تحقيق / عبد القدوس أبو صالح ، موسسة الإيمان ، بيروت ، لبنان ، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
٤٢.رشيد الراشد التاذفى ، الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم / مكتبة النجاح ، طرابلس ، ليبيا، د.ت
٤٣.سنن الترمذى ، الجامع الصحيح ، در الحديث ، القاهرة
٤٤.السيد رشيد رضى ، مجموعة الحديث النجدية ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، م.ع.س. ط٣، ١٣٨٣هـ
٤٥.سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط١٠، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
٤٦.شهاب الدين الأبشيهى ، المستطرف في كل فن مستظرف ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٨م
٤٧.الشوكانى ، فتح القدير
٤٨.الشوكانى،نيل الاوطار،دار الجيل،بيروت،لبنان،١٩٧٣م.
٤٩.عبد الرحمن حبنكة الميدانى ، الأخلاق الإسلامية واسسها ، دار القلم، دمشق ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
٥٠.عبدالرحمن بن ناصر السعدى ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مجلة البيان ، م.ع.س، ١٤١٦/٩/٢٧م

٥١.عبدالله بن محمد بن خميس ، الأدب الشعبى في جزيرة العرب ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط٢، ١٤٠٢هـ

٥٢.فؤاد إفرام البستانى ، منجد الطلاب ، دار المشرق ، بيروت ، ط١٣

٥٣.الفيروزآبادى ، القاموس المحيط ، تحقيق / مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

٥٤.القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

٥٥.محمد السيد الزعبلاوى ، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، رسالة دكتوراة منشورة ، مؤسسة الكتب الثقافية ، مكتبة التوبة ، م.ع.س، الرياض ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

٥٦.محمد عبدالرحمن المبارى كفورى ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٥٧.محمد على الصابونى ، مختصر تفسير ابن كثير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط٤، ١٤٠١هـ

٥٨.محمد محمود دندش ، عظماء العرب ، المتنبى ، دار الشمال للطباعة والنشر ، طرابلس ، لبنان ، د.ت

٥٩.محمود سامى البارودى باشا ، ديوان البارودى ، حققه وصححه / على الجارم ومحمد شفيق معروف ، دار المعارف بمصر ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م

٦٠.مختار الشعر الجاهلى ، تحقيق / محمد سيد كيلانى ، مطبعة مصطفى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م

٦١.مختصر تفسير الطبرى بهامش القرأن الكريم ، ط٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

٦٢.مختصر تفسير الطبرى بهامش القرآن الكريم ، مذيلاً بأسباب النزول للنيسابورى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

٦٣.مسلم ، الجامع الصحيح ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان
٦٤.مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م
٦٥.مسلم ، مختصر صحيح مسلم ، تحقيق / محمد ناصر الألبانى ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
٦٦.مسند أحمد ، الموسوعة الحديثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م
٦٧.مسند أحمد وبهامشه كنز العمال ، دار الفكر
٦٨.مسند الامام أحمد ، دار الفكر العربى
٦٩.النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م
٧٠.النووي ، الأربعين النووية ، الثقافة للنشر والتوزيع ، مطابع التراث ، ١٤١٠هـ